بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات العليا

فرع اللغة والنحو والصرف

القلة و الكثرة
فيما جُمع بألف وتاء زائدتين
في القرآن الكريم

لنيل درجة الماجستير في تخصص النحو والصرف

مقدَّمة من الطالب / محمد بن مديس بن عيضة الثقفي

الرقم الجامعي ٤٣٤٨٨٢٥٩

إشراف الدكتور :

عبد الله بن سرحان القرني

لعام ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦ م

" ما جَهِلَ النَّاسُ ، ولا اختلفُوا إِلَّا لتركِهِمْ لِسَانَ العَرِبِ و ميلِهم إلى لِسَانِ أرسطا طاليس "

" الإمام الشافعي " ...

" إِنَّ لُغَةَ القرآنِ أفْصَحُ أَسالِيبِ العرَبيَّة على الإِطْلاقِ "

" أبو زكريا الفراء " ...

إهداء ..

أُهدي هذا العمل المتواضع ..

ـ إلى قدوتي و نبراس حياتي الذي ينير دربي، إلى من علمني أن أصمد أمام الصعاب، و أعطاني ولا يزال يعطيني بلا حدود .... إلى والدي الغالي.

ـ إلى من نذرت عمرها في أداء رسالةٍ صنعتها من أوراق الصبر، وطرزتها في ظلام الدهر،على سراج الأمل بلا فتور أو كلل . فجاءت رسالتها رسالةً تُعلِّمُ العطاءَ كيف يكون العطاء، وتُعلِّمُ الوفاء كيف يكون الوفاء ... إلى ذلك النبع الصافي ، والزهرة التي لا تذبل ، والظل الذي آوي إليه في كل حين .... إليك أمي الحبيبة الغالية .

ـ إلى من شجعتني على مواصلة مسيرتي التعليمية، وتحملت عني الكثير من متاعب الحياة، لتمنحني الوقت الكافي؛ لكتابة هذا البحث ..... إليك زوجتي الغالية..

ـ إلى كل شمعة تذوب لتنير دروب الآخرين ، و إلى كل وردة تذبل لتفوح بأنسام الياسمين ، إلى من علمني و الكثير و الكثير .. إليك أستاذي الغالي .

شكر و تقدير

قال صلى الله عليه وسلم: " لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يشَكُرُ النَّاسَ" صححه الألباني.

من هذا المنطلق أستميحكم عذراً بأن أنسب الفضل لأهله ، وأن أشكر كل من وقف معي وساهم في هذه الرسالة بمشورة أو إبداء رأي، وعلى رأسهم أستاذي الفاضل الدكتور : عبدالله بن سرحان القرني ، الذي تكرم علي بإشرافه على هذه الرسالة ، فلم يبخل عليَّ بجهدٍ أو نصيحة، فجزاه الله خير الجزاء.

كما يسعدني أن أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى عضوّي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور : رياض بن حسن الخوَّام ، والأستاذ الدكتور : عبد الحميد النوري. ـ وفقهما الله ـ على ما تفضلا به عليَّ بقبول مناقشة الرسالة، و بما بذلاه من جهد و وقت في قراءتها وتقويمها ، و بما سيبديانه من إرشادات و توجيهات و ملحوظات، أعتز بها من أستاذين كريمين و أستفيد منها.

كما أتقدم بخالص الشكر و التقدير لهذا الصرح التعليمي الشامخ ـ كلية اللغة العربية ـ بجامعة أم القرى ممثلة في قسم الدراسات العليا، ورئيسه: الدكتور / عبدالله بن محمد المسملي، وجميع الأساتذة الكرام الأفاضل الذين نهلت من علمهم.

و ختاماً أقول لكل من كان له يد في عوني أثناء مسيرتي التعليمية و أثناء إعداد هذا البحث : بارك الله فيكم جميعاً و جزاكم الله خير الجزاء .

و الحمد لله رب العالمين .

ملخص رسالة ماجستير بعنوان :

(القلة و الكثرة فيما جمع بألفٍ وتاء زائدتين في القرآن الكريم)

وهي دراسة استقرائية وصفية، تبحث في القلة والكثرة فيما جمع بألفٍ وتاء زائدتين في القرآن الكريم؛ إذ إن ما جمع بألفٍ وتاء زائدتين هو عند النحاة من جموع القلة، غير أن في القرآن الكريم ما يخالف هذه الظاهرة أحياناً، فكانت هذه الدراسة تبحث في تفسير هذه الظاهرة، وما لها من أثر على تفسير القرآن، وجاءت بعد مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة. و بيان ذلك كالآتي:

المقدمة : ذكرت فيها مشكلة البحث، وأسباب اختيار الموضوع.

التمهيد :تحدثت فيه عن أنواع الجموع في العربية و دلالاتها ، وما يجمع بألف وتاء.

الفصل الأول: ذكرت فيه ما جُمع بألف و تاء زائدتين في القرآن الكريم دالاً على القلة على قاعدة النحاة، وذلك في أكثر من اثنين وستين موضعاً، وما جمع بألف وتاء زائدتين في القرآن الكريم دالاً على الكثرة على قاعدة النحاة، وذلك في أكثر من ستة وثمانين وأربع مئة موضعٍ.

الفصل الثاني: ذكرت فيه ما جُمع بألف وتاء زائدتين في القرآن الكريم دالاً على القلة على قاعدة النحاة في موضع الكثرة، وذلك في أكثر من أربعة و ثمانين موضعاً. كما جاء فيه ما جمع بألف وتاء زائدتين دالاً على الكثرة على قاعدة النحاة في موضع القلة، وذلك في أكثر من اثنين وتسعين و مئة موضع، وقد جاءت تلك الظاهرة لأغراض بلاغية وتفنن في الأسلوب القرآني.

الفصل الثالث: تحدثت فيه عن أثر القرائن اللفظية والمعنوية في الدلالة على القلة أو الكثرة في بعض المواضع القرآنية التي جاء فيها ما جمع بألف وتاء زائدتين دالاً على القلة في موضع الكثر و العكس.

الخاتمة : ذكرت فيها أبرز ما توصلت إليه من نتائج .

الباحث: **إشراف سعادة الدكتور:** **عميد كلية اللغة العربية:**

محمد بن مديس الثقفي عبدالله بن سرحان القرني أ.د. عبدالله بن ناصر القرني

Abstract

Pluralization in Multiplicity and Pluralization in Fewness in What Is Pluralized Using the First and Third Letters of the Arabic Alphabet Additionally in the Holy Quran

This is a descriptive and inductive study in pluralization in multiplicity and pluralization in fewness in what is pluralized using the first and third letters of the Arabic Alphabet additionally in the Holy Quran since the Arabic grammarians consider what is pluralized using the first and third letters of the Arabic Alphabet additionally is one of pluralization in fewness but the Holy Quran sometimes includes different trends. Upon that, this study aims to explore and interpret this phenomenon in relation to its effect on Quran interpretation. The study includes an introduction, a preface, three chapters and a conclusion, as follows.

The introduction includes the study problem and reasons for subject selection.

The preface includes types of pluralization in Arabic in relation to indication and what is pluralized using the first and third letters of the Arabic Alphabet in Arabic.

Chapter one deals with what is pluralized using the first and third letters of the Arabic Alphabet additionally in the Holy Quran indicating pluralization in fewness as the trend of the Arabic grammarians in 62 positions, and what is pluralized using the first and third letters of the Arabic Alphabet additionally in the Holy Quran indicating pluralization in multiplicity as the trend of the Arabic grammarians in 486 positions.

Chapter Two deals with what is pluralized using the first and third letters of the Arabic Alphabet additionally indicating pluralization in fewness as the trend of the Arabic grammarians in the position of pluralization in multiplicity in 84 positions, and what is pluralized using the first and third letters of the Arabic Alphabet additionally indicating pluralization in multiplicity as the trend of the Arabic grammarians in the position of pluralization in fewness in 192 positions. This phenomenon came upon rhetoric principles and creativity in Quranic Style.

Chapter Three deals with the impact of verbal and moral clues in indication on pluralization in multiplicity and pluralization in fewness in some Quranic verses in what is pluralized using the first and third letters of the Arabic Alphabet additionally indicating pluralization in fewness in the place of pluralization in multiplicity and vice versa.

The conclusion includes the main results.

Researcher	Supervisor	Dean
Mohammed M. Al-Thagafi	Dr. Abdullah S. Al-Garni	Prof. Abdullah N. Al-Garni

المقدمة:

﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا﴾ ، والصلاة والسلام على خير البرية و معلم البشرية، وعلى آلة وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين. أما بعد ...

فإن الدارسين النحويين القدماء لم يغفلوا عن الصلة الوثيقة بين علم النحو وعلم المعاني، غير أن سطوة التعليل المنطقي و الفلسفي لظواهر اللغة كثيرا ما أدت إلى الفصل بينهما، فكان أن نحرت المعاني على عتبات النحو بأسياف القواعد المنطقية الصارمة، و أقصي في كثير من الأحيان دور السياق والعلائق النصية في تحديد الدلالة .

و سوف نرى بإذن الله تعالى جانباً من تلك الصلة الوثيقة بين علم النحو وعلم المعاني من خلال هذا البحث و الذي هو بعنوان:

(القلة و الكثرة فيما جمع بألف و تاء زائدتين في القرآن الكريم) .

فالأصل عند جمهور النحاة أن ما جُمع بأَلِفٍ وتاءٍ زائدتين، مثل :مَرْيَم مَرْيَمات غابة غابات، حافَّة حافَات. داخل في جموع القلة، والقلة عندهم ما بين الثلاثة إلى العشرة، و قد جاء ذلك عندهم واضحا صريحا، فهذا سيبويه رحمه الله يقول بأن الجمع بالألف و التاء للقلة، و نص كلامه: " وأما ما كان على فَعْلة، فإنك إذا أردت أدنى العدد جمعتها بالتاء، وفتحت العين، وذلك كقولك: قصعة وقصعات، فإذا جاوزت أدنى العدد كسرت الاسم على فعال، وذلك قصعة و قصاع."[1]

(١) ينظر : الكتاب لسيبويه . ٣ / ٥٧٨

وقال المبرد في المقتضب: " وَمَا كَانَ من الْمُذكر مجموعاً بِالْوَاو وَالنُّون نَحْو مُسلمُونَ وصالحون فَهُوَ أدنى الْعدَد؛ لِأَنَّهُ على منهاج التَّثْنِيَة، وَنَظِير ذَلِك من الْمُؤَنَّث مَا كَانَ بِالْألف وَالتَّاء، نَحْو مسلمات وصالحات وكريمات " [1]

وقد نظمه أبو الحسن الدباج، من نحاه إشبيلية، ذيلاً لجموع القلة مع التكسير في بيتين قائلاً:

بأفْعُالٍ و بأفْعَالٍ و أفْعِلةٍ *** و فُعْلَةٍ يُعرفُ الأدنى من العددِ

وسالمُ الجمع أيضاً داخلٌ معه *** فهذه الخمس فاحفظها ولا تزد.

وذكر ذلك أيضا الزمخشري في المفصل قائلا :" جمع القلة العشرة فما دونها، وأمثلته أفعل أفعال فعلة، كأفلس وأثواب وأجربة وغلمة ،ومنه ما جمع بالواو والنون، والألف والتاء، وما عدا ذلك جموع كثرة."[2]

ثم يذكر النحاة أن جمع القلة إذا قُرِنَ بأل التي للاستغراق، أو أضيف إلى ما يدل على الكثرة انصرف بذلك إلى الكثرة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾. [3]

وقد جمع الأمرين قول حسان:

لنا الْجَفناتُ الغر يَلْمعنَ في الضحى ... وأسيافنا يقْطُرن من نَجْدَة دمَا.[4]

وعلى هذا فإن ما جمع بالألف و التاء يُشترط في دلالته على القلة أن يأتي بصيغة التنكير، ما لم يقترن به ما يبيِّن أن المراد به الكثرة ؛ كأن يستعمل في السياق معرَّفاً بـ(أل) غير العهدية، أو مضافاً ، فحينئذ دل على الكثير؛ كما تدل عليه جموع الكثرة .

---

(١) ينظر : المقتضب . ٢ / ١٥٦

(٢) ينظر : المفصل في صنعة الإعراب . ١/ ٢٣٥

(٣) ينظر : توضيح المقاصد و المسالك بشرح ألفية ابن مالك . ٣ / ١٣٧٨ ، و ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك . ١ / ٤٤١ ، و ينظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني . ٤ / ١٧٢

(٤) ينظر : ديوان حسان بن ثابت . ١٣١ ، و ينظر : حزانة الأدب . ٨ / ١٠٦

وهذا ما أشار إليه ابن جني، واحتج له بقوله تعالى:﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ [الأحزاب:٣٥]، فالغرض في جميع ذلك الكثرة، لا القلة.(١)

و قرَّره أبو حيَّان أيضًا عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ [لقمان: ٢٧] ردًّا على الزمخشري الذي ذهب إلى أن ﴿كَلِمَاتُ﴾ جمع قلة، فقال:" وعلى تسليم أن ﴿كَلِمَاتُ﴾ جمع قلة، فجموع القلة، إذا تعرفت بالألف واللام غير العهدية أو أضيفت، عمَّت وصارت لا تخص القليل، والعام مستغرق لجميع الأفراد."(٢)

فكأنَّ القاعدة النحوية عند النحاة :أن ما جمع بألف و تاء زائدتين هو جمع قلة ما دام في حالة التنكير، فإذا عرف ب (أل) الاستغراقية ، أو أضِيف عمَّ وصار للكثير لا للقليل.

والأصل في كلام العرب(أن يكون جمع القلة للقلة، وجمع الكثرة للكثرة)، وقد جاء القرآن على ذلك الأصل في مواضع كثيرة منها قوله تعالى:﴿ وَقالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ ﴾[يوسف ٤٣]. فعندما كانت الأبقار في الرؤيا سبعا دون العشرة و السنابل كذلك جاء الجمع في كلمتي ﴿ بَقَراتٍ ﴾ و ﴿ سُنْبُلاتٍ ﴾ نكرة ليدل على القليل، بخلاف قوله تعالى في سورة هود: ﴿إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾ [آية ١١٤]، فإن (أل) جعلت الجمع في كلمة ﴿الْحَسَناتِ﴾ و ﴿السَّيِّئاتِ﴾ داخلاً في الكثرة لا في القليل دون العشرة .

(١) ينظر : المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. لابن جني . ١ / ١٨٧

(٢) ينظر: البحر المحيط . ٨ / ٤٢٢

غير أننا نجد في الكتاب العزيز ظاهرة مخالفة لهذه المطابقة ، وذلك أننا نجد جمعاً بألف و تاء يدل على القلة في موضع الكثرة أحياناً، و ما يدل على الكثرة في موضع القلة أحياناً أخرى.

فمثال الأول ما ذكره أبو حيان في البحر نقلاً عن الزمخشري في قوله تعالى:﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة ٢٥] . قال: قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: الْجَنَّةُ اسْمٌ لِدَارِ الثَّوَابِ كُلِّهَا، وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى جِنَانٍ كَثِيرَةٍ مَرَتَّبَةٍ مَرَاتِبَ عَلَى حَسَبِ اسْتِحْقَاقِ الْعَامِلِينَ، لِكُلِّ طَبَقَةٍ مِنْهُمْ جَنَّةٌ مِنْ تِلْكَ الْجِنَانِ" انْتَهَى كَلَامُهُ.(١)

فالزمخشري يذكر أن الجنان كثيرة و مرتبة وهذا يعني أنها تخرج من جمع القلة إلى جمع الكثرة، إلا أنها جاءت في الآية السابقة بصيغة القلة ﴿جَنَّاتٍ﴾، غير معرفة ب (أل) ولا مضافة كما ذكر جمهور النحاة فيما دل عندهم على الكثرة.

ومن ذلك أيضا ما ذكره السمين الحلبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء ٣٤] حيث قال ما نصه " قرأ عبد الله وهي في مصحفه كذلك ﴿فالصوالحُ قوانتٌ حوافظٌ ﴾ بالتكسير. قال ابن جني:"وهي أشبهُ بالمعنى لإعطائها الكثرةَ، وهي المقصودةُ هنا"، يعني أنَّ فواعل من جموع الكثرة، وجمعُ التصحيحِ جمعُ قلة ما لم يَقْتَرِنْ بالألفِ واللام، وإذا ثبت أن الصالحات جمعُ كثرة لزم أن يكون ﴿قانتات﴾ و﴿حافظات﴾ للكثرة أيضا لأنه خبرٌ عن الجميع، فيفيدُ الكثرة ." (٢)

(١) ينظر: البحر المحيط . ١ / ١٨١

(٢) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٣ / ٦٧٢

و مثال ما جاء في القرآن للكثرة في موضع القلة قوله سبحانه وتعالى:﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ ﴾ [الإسراء ٤٤] . فقد جاء العدد في الآية صريحا (السبع) دالاً على القلة إلا أننا نجد كلمة ﴿السَّماواتُ﴾ معرفة بـ(أل) التي جعلتها للعموم و أدخلتها في الكثير ،كما ذكر الجمهور، و يؤكد هذا ما ذكره الفراء في المعاني بقوله: "﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ ﴾ أكثر القراء عَلَى التاء. وهي فِي قراءة عبد الله (سبَّحت لَهُ السموات السبع) فهذا يقوِّي الَّذِينَ قرأوا بالتاء. ولو قرئت بالياء لكان صواباً كما قرأوا ﴿ تَكادُ السَّماواتُ ﴾ و ﴿ يَكادُ ﴾ وإنَّما حسنت الياءُ لأنه عددٌ قليلٌ، وإذا قلَّ العددُ من المؤنث والمذكر كانت الياءُ فِيهِ أحسنَ من التاء".[1]

ومن ذلك أيضاً ما ذكره أبو حيان في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جاءَكُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظالِمُونَ ﴾ [البقرة٩٢] فقد ذكر أبو حيان أن ﴿الْبَيِّناتِ﴾ هي التسع الآيات التي جاء بها موسى إلى قوم فرعون، وهذا نص كلامه " أَيْ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وَهِيَ الْوَاضِحَةُ الْمُعْجِزَةُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِهِ. وَقِيلَ: التِّسْعُ، وَهِيَ: الْعَصَا، وَالسُّنُونَ، وَالْيَدُ، وَالدَّمُ، وَالطُّوفَانُ، وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَفَلْقُ الْبَحْرِ. وَهِيَ الْمَعْنِيُّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾" [2]

فكلمة ﴿الْبَيِّناتِ﴾ جاءت معرفة بـ (أل) داخلة بها في العموم الدال على الكثرة، علما أن الآيات عددها تسع . دون العشرة . أي جمع قلة، كما رأينا في كلام أبي حيان وهذا مما جاء دالا على الكثرة في موضع القلة .

فكان مما دعاني للبحث في هذا الموضوع ما ذكرته سابقا، من وجود تلك الظواهر في كتاب الله عز وجل، و التي هي في ظاهرها مخالفة لما قرره النحاة و قعدوا له، لاسيما أن القرآن الكريم هو المصدر الأول الموثوق به والمحفوظ من رب العالمين للغتنا العربية، وهذا

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء . ٢ / ١٢٤

(٢) ينظر : البحر المحيط . ١/ ٤٧٦

البحث بإذن الله سيقف بنا على مقاصدها وعلل استعمالاتها، و ربما ساعدنا هذا البحث في ضبط أحكام القلة والكثرة .

ثم إنني لم أجد دراسات سابقة في هذا الموضوع ، و إن كان هناك مجموعة من الأبحاث حول الجموع في اللغة العربية، مثل :

١ . جموع التكسير في القرآن الكريم . للطالبة: عفاف محمد البار . جامعة أم القرى . كلية اللغة العربية.

٢ . الجوانب البلاغية للجموع القرآنية – خلود محمد الحواري – الجامعة الأردنية.

٣ . صيغ الجموع في القرآن الكريم – وسمية المنصور– جامعة عين شمس .

٤ . التثنية والجمع أحكامهما واستعمالاتهما في القرآن الكريم ـ إبراهيم أديكنلي سنوسي ـ جامعة أم القرى .

إلا أنها كلها لم تتطرق لشيء مما سأورده في هذا البحث، و الذي سأحاول فيه جاهداً، الوصول للإجابات عن بعض التساؤلات و التي منها:

ـ هل قاعدة القلة والكثرة التي وضعها النحاة لما جمع بالألف والتاء الزائدتين مطردة أم لا ؟

ـ ما تفسير مجيء بعض المواضع في القرآن مطرداً مع ما ذكره النحاة، و مخالفة الكثير منها لذلك ؟

ـ هل نستطيع من خلال هذه الدراسة ضبط قاعدة القلة والكثرة فيما جمع بالألف والتاء الزائدتين؟

و قد جعلت هذا البحث في ثلاثة فصول يسبقها مقدمة وتمهيد ويعقبها خاتمة.

المقدمة : ذكرت فيها مشكلة البحث و أسباب اختيار الموضوع.

التمهيد : و جعلته في مبحثين.

المبحث الأول : أنواع الجموع في العربية و ودلالتها.

المبحث الثاني : ما يجمع بألف وتاء زائدين.

الفصل الأول: ما جُمع بألف و تاء زائدتين في القرآن الكريم . و تحته مبحثان:

المبحث الأول: ما جُمع بألف و تاء زائدتين دالاً على القلة .

المبحث الثاني: ما جُمع بألف و تاء زائدتين دالاً على الكثرة .

و سوف أتناول في المبحث الأول بإذن الله تعالى من هذا الفصل الآيات القرآنية التي جاءت فيها كلمات مجموعة بألف وتاء زائدتين نكرات دالة على القلة، مطردةً مع ما ذكره النحاة في تقعديهم ، مستدلاً بأقوال النحاة و المفسرين حول تلك الآيات، و التي من أمثلتها في كتاب الله قوله تعالى:﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾[الزمر ٦] .

ثم أذكر في المبحث الثاني من هذا الفصل الآيات القرآنية التي ذكرت فيها جموع بألف وتاء زائدتين معرفة بـ (أل) أو بالإضافة دالة على الكثرة مطردةً مع ما ذكره النحاة، معقباً بأقوال النحاة والمفسرين حول تلك الآيات و من أمثلتها في كتاب الله قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [الأعراف ٤٢].

الفصل الثاني: ما جمع بألف و تاء زائدتين في القرآن الكريم مما ظاهره عدم مراعاة القلة والكثرة.و قد جعلته في مبحثين :

المبحث الأول: ما جُمع بألف و تاء زائدتين دالاً على القلة في موضع الكثرة .

المبحث الثاني :ما جُمع بألف و تاء زائدتين دالاً على الكثرة في موضع القلة .

ففي المبحث الأول منه سأعرض الآيات التي جاءت فيها جموع بألف وتاء زائدتين منكرة، دالة على القلة حسبما قعد له النحاة، والتي هي في موضع الكثرة، ثم أذكر أقوال النحاة و كبار المفسرين حولها ؛ لنصل في نهاية كل آية إلى دليل يوجهنا إلى دلالة تلك

الكلمة وهل جاءت للقلة أم للكثرة في تلك الآية، ومن أمثلة الآيات التي سنعرض لها في هذا المبحث قوله سبحانه:﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾[البقرة ٢].

ثم أورد في المبحث الثاني من هذا الفصل الآيات التي احتوت على كلمات مجموعة بألف و تاء زائدتين معرفة بـ (أل) أو مضافة دالة على الكثرة على تقعيد النحويين، إلا أنها في موضع للقلة، معقباً بأقوال النحاة و المفسرين حول كل آية منها حتى تتجلى المسألة و يتضح ما فيها من إشكال بإذن الله تعالى، ومن أمثلة الآيات التي سأتناولها بالبحث والدراسة في هذا المبحث قوله تعالى:﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة ٢٣٨]

الفصل الثالث: أثر القرينة فيما جُمع بألف و تاء زائدتين للدلالة على الكثرة في موضع القلة، أو العكس . و تحته مبحثان:

المبحث الأول: ما دل على القلة بوجود قرينة لفظية أو معنوية.

المبحث الثاني: ما دل على الكثرة بوجود قرينة لفظية أو معنوية.

وفي هذا الفصل الثالث ومن خلال مبحثين، سأورد بإذن الله تعالى القرائن اللفظية والمعنوية في الآيات القرآنية التي تمت دراستها في الفصل الثاني، والتي وردت فيها كلمات مجموعة بألف وتاء دالةً على القلة في موضع الكثرة والعكس؛ لأذكر أثر تلك القرائن في تحديد دلالة الكلمة المجموعة بألف وتاء زائدتين على القلة أو الكثرة في تلك الآيات.

وختمت هذا البحث بخاتمة ذكرت فيها ما توصلت إليه من نتائج حول القلة والكثرة فيما جمع بألف وتاء زائدتين، و ذيلته بفهارس فنية و فهارس للموضوعات.

و طريقة دراستي، أنني أورد الآية القرآنية المحتوية على كلمة مجموعة بألف وتاء زائدتين، ثم أقوم بدراسة تلك الكلمة في ضوء ما قاله النحاة و المفسرون، و إن ذكروا سراً من أسرار

القلة و الكثرة حول الآية بينته، ثم أُنبِّه إلى بعض الأسرار التي لم يذكروها في المسألة ما استطعت، فإن لم أجد اكتفيت بما ذكره العلماء .

هذا و في الختام أتقدم بالشكر الجزيل إلى جامعة أم القرى ممثلة في معالي مديرها، و أساتذتي بالدراسات العليا لما قدموه لي من عون و تشجيع ،و أخص بالذكر منهم سعادة الدكتور: عبدالله بن سرحان القرني المشرف على هذه الرسالة ، وسعادة الأستاذ الدكتور: رياض بن حسن الخوام ، لما بذلاه من جهد يشكران عليه.

كما أتقدم بالشكر و العرفان لأبويَّ الفاضلين اللذين كانا عوناً لي دائماً أثناء مسيرتي التعليمية فجزاهما الله خير ما جزى محسناً على إحسانه .

سائلاً المولى القدير أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، و الله المستعان، وعليه التُّكلان ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وصلى الله على نبينا محمد و على آله وصحبه أجمعين ..

التمهيد

وفيه مبحثان:

الأول : أنواع الجموع في العربية و ودلالتها.

الثاني : ما يجمع بألف وتاء زائدين.

المبحث الأول: أنواع الجموع في العربية ودلالاتها

توطئة: تعريف الجمع:

قيل:" ضم اسم إلى أكثر منه بشرط اتفاق الألفاظ والمعاني أو كون المعنى الموجب للتسمية فيهما واحدا "[1]

وقيل: "الجمع عبارة عن ضم مفردٍ إلى أكثر منه وإنما اختص بالأسماء لأنها محتاجة إليه، لأن الاسم المفرد لا يدل على أكثر من نفسه ،كرجل وفرس ولم تجمع الأفعال، لأن فائدة الجمع التكثير، وذلك حاصل من الفعل تقول: قام زيد وإن كان قد قام ألف مرة. ولم تجمع الحروف لأن الجمع ضرب من التصريف، والحروف لا تصرف وإن شئت قلت: الحروف نائبة عن الأفعال، والأفعال لا تجمع فكذلك نائبها".[2]

معرفه أقل الجمع:

اختلف الصحابة والفقهاء والمفسرون والنحاة في هذه المسألة فقد حكى ابن حزم في الإحكام اختلاف الصحابة والفقهاء وذكر أن فريقاً منهم وهم: عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت ومالك وداود والقاضي أبو بكر و أبو إسحاق وجماعة من أصحاب الشافعي كالغزالي، وغيره ذهبوا إلى أن أقله اثنان. واستدلوا بالكتاب والسنة واللغة:

وأما أدلتهم من الكتاب كما ذكرها ابن حزم فقوله تعالى: ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء ١٥]. وأراد به موسى وهارون، وقوله تعالى:﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ [الحجرات ٩] وقوله تعالى:﴿ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ [ص ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ [النساء ١١] وأراد به الأخوين، وقوله تعالى:﴿ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾[يوسف ٨٣]، وأدار يوسف وأخاه، وقوله تعالى:﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ

(١) ينظر: شرح جمل الزجاجي . ١٤٥/١

(٢) ينظر: توجيه اللمع – شرح كتاب اللمع لابن جني . ص ٩٢

شَاهِدِينَ ﴾ [الأنبياء ٨٧] وأدار به داود وسليمان، وقوله تعالى:﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾[الحج ١٩]، وقوله تعالى:﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[التحريم ٤].

وأما أدلتهم من السنة فذكر ابن حزم ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "والاثنان فما فوقهما جماعة ". (١)

وأما أدلتهم من اللغة فذكر أن اسم الجماعة مشتق من الاجتماع وهو ضم شيء إلى شيء وهو متحقق في الاثنين كتحققه في الثلاثة وما زاد عليهما . وأما من جهة الإطلاق فمن وجهين:

الأول: أن الاثنين يخبران عن أنفسهما بلفظ الجمع، فيقولان: قمنا، قعدنا كما تقول الثلاثة.

الثاني: أنه يصح أن يقول القائل إذا أقبل عليه رجلان في مخافة: أقبل الرجال. وذلك كله يدل على أن لفظ الجمع في الاثنين حقيقة؛ إذ الأصل في الإطلاق الحقيقة.

وذكر ابن حزم فريقاً آخر، هم: ابن عباس والشافعي وأبو حنيفة ومشايخ المعتزلة، وجماعة من أصحاب الشافعي فهؤلاء ذهبوا إلى أن أقل الجمع ثلاثة .

وأوَّلوا قوله تعالى: ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ بأن المراد به موسى وهارون وفرعون وقومه. وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ بأن الطائفة جمع، وقوله تعالى :﴿ خَصْمَانِ ﴾ بأن الخصم يطلق على الواحد وعلى الجمع . وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ بأن المراد الثلاثة وحيث ورَّثناه السدس مع الأخوين لم يكن ذلك مخالف لمنطوق اللفظ بل مفهومه، وقوله تعالى:﴿ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ بأن المراد به يوسف وإخوته وشمعون، وقوله تعالى:﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ بأن المراد به داود وسليمان والمحكوم له. وقوله تعالى: ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ بأنه قد يطلق اسم القلوب على ما يوجد للقلب الواحد مجازا.

(١) ينظر : المعجم الأوسط . للطبراني . ٦ / ٣٦٣ رقم الحديث (٦٦٢٤)

و أوَّلوا الحديث "الاثنان جماعة" بأن المراد به حكمهما حكم الجماعة في انعقاد صلاة الجماعة بهما . وذكر ابن حزم دليل هؤلاء العلماء وهو: أن أهل اللغة فرقوا بين رجلين ورجال، وفوقوا بين ضمير التثنية والجمع . فلو صح إطلاق الرجال على رجلين؛ لصح نعتهما بما ينعت به الرجال. فكان يصح أن يقال: ما رأيت رجالاً بل رجلين، وأنه لو قال قائل: عليَّ دراهمُ، لا يُقبلُ تفسيره بأقل من ثلاثة، وكذا في النذر والوصية.(١)

وأما اختلاف النحاة في المسألة، فقد ذهب فريق، ومنهم سيبويه، والفراء مذهب عمر بن الخطاب، وهو أن الاثنين جمع. قال سيبويه: "وقد قالت العرب في الشيئين اللذين كل واحد منهما اسم على حدة وليس واحدٌ منهما بعض شيء ،كما قالوا في (ذا) لأن التثنية جمع ... قال الله عز وجل : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ [ص ٢١] ثم قال سبحانه : ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ ﴾ [ص ٢٢] وقال سبحانه: ﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء ١٥]. وزعم يونس أنهم يقولون: ضرب رأسيهما".(٢)

وقال الفراء عند قوله تعالى: ﴿ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾ [طه ١٣٠] وإنما للنهار طرفان فقال المفسرون: وأطراف النهار: صلاة الفجر والظهر والعصر ويكون لصلاتين ، فيجوز ذلك إن يكونا طرفين فيخرجا مخرج الجماع، كما قال:﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم ٤] وهو أحب الوجهين إليَّ لأنه قال: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ ﴾[هود ١١٤].(٣) وذهب فريق آخر على رأسهم الاخفش والمبرد وابن فارس إلى أن أقل الجمع ثلاثة قال الاخفش عند قوله تعالى: ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾[البقرة ٣٦] :" فإنما قال ﴿ اهْبِطُوا ﴾ والله أعلم لأن إبليس ثالثهم فلذلك جمع."(٤)

(١) ينظر : الإحكام في أصول الأحكام . ٢ / ٢٠٤ - ٢٠٨

(٢) ينظر : الكتاب لسيبويه. ٣ / ٦٢٢

(٣) ينظر : معاني القرآن للفراء . ٢ / ١٩٥ ، ٢ / ٢٠٨

(٤) ينظر : معاني القرآن للأخفش . ١ / ٧٤

وقال المبرد: "فأدني العدد فيه (أفعال)... فإذا جاوزت الثلاثة إلى العشرة فقد خرجت من أدنى العدد".[١]

وقال ابن فارس: "الرُّتَبُ في الأعداد ثلاث: رتبة الواحد ورتبة الاثنين ورتبة الجماعة فهي للتوحيد والتثنية والجمع لا يزاحم في الحقيقة بعضها بعضا فإن عُبِّر عن واحد بلفظ جماعة وعن اثنين بلفظ جماعة فذلك كله مجاز، والتحقيق ما ذكرناه وقول القائل: إن أقل ذلك أن يجمع واحد إلى واحد فهذا مجاز، وإنما الحقيقة أن يقال: كان واحد فثنى ثم جُمع، ولو كان الأمر على ما قالوه لما كان للتثنية ولا للاثنين معني بوجه، ونحن نقول: خرجا ويخرجان فلو كان الاثنان جمعاً، لما كان لقولنا: يخرجان معنى ، وهذا لا يقوله أحد ".[٢]

أنواع الجموع في العربية:

ذهب بعض النحاة إلى أن الجمع جمعان: جمع تكسير وما ينوب منابه وجمع سلامة، وهو نوعان:مذكر ومؤنث بالألف والتاء، وهو أيضاً عوض من العطف في الأسماء المختلفة.[٣]

وذهب بعضهم إلى أنه جمعان: ضرب يجري في إعرابه مجرى التثنية بالحروف، وله لقبان أحدهما: الجمع السالم والثاني: الجمع الذي على حد التثنية . وهو قسمان أحدهما: خاص وهو ما كان مقصوراً على المذكر . و الثاني: متوسط وهو ما كان مقصوراً على المؤنث.

وضرب يجري في إعرابه مجرى الواحد بالحركات، وهو جمع التكسير وهو عام.[٤]

وذهب بعضهم إلى أن الجمع أقسام: جمع سلامة، وجمع تكسير، واسم جنس، واسم جمع.

---

(١) ينظر : المقتضب للمبرد . ١ / ١٣١

(٢) ينظر:الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. ١٤٢/١

(٣) ينظر : شرح جمل الزجاجي ٢٨٠/١

(٤) ينظر : البديع في علم العربية . ٨٨/١

أولاً: جمع التكسير.

تعريفه:

عُرَّف بتعريفات كثيرة متقاربة منها: تعريف الزُبيدي حيث قال: "الذي يتغير فيه بناء الواحد عما كان عليه من حركة أو سكون".[١]

وعرفه أبو علي الفارسي بقوله :"ما جمع واحده عليه جمعا مطرداً وقيس في أكثر الأمر ما لم يُسمع منه على ما سُمِّع".[٢]

وقال فيه ابن جني: "كل جمع تغير فيه نظم الواحد وبناؤه، ويكون لمن يعقل ولما لايعقل وإعرابه جارٍ على آخره، كما يجري على الواحد الصحيح وتقول هذه دور وقصور".[٣]

وذهب العكبري في تعريفه إلى أنَّه: "كل اسم جمع تغير فيه لفظ واحده".[٤]

وهو عند ابن مالك: "جعل الاسم القابل دليل ما فوق اثنين بتغير ظاهر أو مقدر".[٥] وقد تابع ابن مالك في هذا التعريف كثير من النحاة منهم: ابن الناظم[٦] وابن عقيل[٧] وابن هشام[٨] وابن كمال باشا.[٩]

---

(١) ينظر :كتاب الواضح . ص : ٦٨

(٢) ينظر: المسائل الحلبيات .. ص : ١٦٢ ، ١٦٣

(٣) ينظر: اللمع في العربية لابن جني . ص : ٢٢ .

(٤) ينظر: اللباب في علل البناء و الإعراب . ٢ / ١٨٧

(٥) ينظر : تسهيل الفوائد وتكميل القاصد. ص ١٢

(٦) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك. ص : ١٥

(٧) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفيه ابن مالك. ٤ / ١١٤.

(٨) ينظر: شرح أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك المؤلف . ٤ / ٢٧٦.

(٩) ينظر: أسرار النحو . ص : ٢١٦ – ٢١٧

دلالته العددية :

ينقسم جمع التكسير من حيث الدلالة العددية قسمين:

جمع قلة، وجمع كثرة. فأما جمع القلة فلأدنى العدد، بمعني أن كل واحد من جموع القلة يدل على العدد من الثلاثة فما فوقها إلى العشرة.

وأما جمع الكثرة، فدلالته على ما فوق العشرة إلى مالا نهاية، وقيل جموع الكثرة من الثلاثة إلى ما لا نهاية له، فيكون جمع القلة والكثرة يتفقان في الابتداء، ويختلفان في الانتهاء.

قال سيبويه رحمه الله:" وأعلم أن لأدنى العدد أبنيةً هي مختصة به، وهي له في الأصل، وربما شَرِكَه فيه الأكثر، كما أن الأدنى ربما شَرِكَ الأكثر." ثم قال : " فأبنية أدني العدد أفْعُل نحو: أكلب، وأكعب. وأفْعَال نحو: أجمالٍ، وأعدالٍ . وأفِعله نحو: أجربةٍ، وأنصبهِ، وأغربهِ. وفِعلة نحو: صبيةٍ، وفتيةٍ، وإخوةٍ، وولدةٍ. فتلك أربعة أبنية، وما خلا هذا فهو في الأصل للأكثر"[1]

ثانياً: جمع السلامة :

وينقسم جمع السلامة قسمين جمع مذكر وجمع بألف وتاء.

عرَّف سيبويه جمع المذكر السالم بالعلامة التي تلحق به قائلاً: "وإذا جمعتَ على حدَّ التثنية لحقتْها زائدتان: الأولى منهما حرف المد والين، والثانية نون. وحال الأولى في السكون وتركِ التنوين وأنّها حرف الإعراب، حال الأولى في التثنية، إلا أنها واو ومضموم ما قبلها في الرفع، وفي الجر والنصب ياءٌ مكسورٌ ما قبلها ونونها مفتوحة، فرقوا بينها وبين نون الاثنين كما أنَّ حرف اللين الذي هو حرف الإعراب مختلِفٌ فيهما. وذلك قولك: المسلمُوَن، ورأيت المسلِمينَ ومررت بالمسلمين. ومن ثَمّ جعَلوا تاء الجمْع في الجرَّ

(١) ينظر: الكتاب لسبيويه . ٣ / ٤٩٠

والنصب مكسورة، لأنهم جعلوا التاء التي هي حرف الإعراب كالواو والياء، والتنوينَ بمنزلة النُّون لأنها في التأنيث نظيرة الواو والياء في التذكير فأجروها مجراها."[1].

وتبعه في ذلك المبرد والزجاجي . وأبو البركات وابن مالك، وأبو حيان ومعظم من عرَّفه.

أما الجمع بالألف والتاء فقد عرَّفه النحاة بتعريفاتٍ عدة نذكر منها:

أولاً: عقد سيبويه باباً في كتابه أسماه (باب يجمع فيه الاسم إن كان لمذكر أو مؤنث بالتاء، كما يجمع ما كان آخره هاء التأنيث) ومع ذلك فليس فيما ذكر تعريف لهذا النوع من الجمع قال:" وتلك الأسماء التي آخرها تاء التأنيث ،فمن ذلك بنتُ إذا كان اسماً لرجل تقول: بنات ومن قِبَل أنها تاءُ التأنيث، لا تثبتُ مع تاء الجمع كما لا تثبت الهاء، فمن ثم صُيِّرت مثلها. وكذلك هَنْتٌ وأخْتٌ لا يُجاوز هذا فيها . وإن سميت رجلاً بذيتَ ألحقت تاء التأنيث فتقول ذيَّات، وكذلك هنْتٌ اسم رجل تقول هناتٌ". [2]

ثانياً: عند المبرد ويُعبِّر عن هذا الجمع بـ (جمع المؤنث بالألف والتاء)، وبـ (جمع المؤنث على حد التثنية)، لسلامة بناء مفرده كما هي الحال في المثني.[3]

مثال ذلك قوله في باب ما كان جمع المؤنث بالألف والتاء :"فهذا الجمع في المؤنث نظير ما كان بالواو والنون في المذكر لأنك فيه تسلم بناء الواحد كتسليمك إياه في التثنية".[4] وتبعه ابن معط في اعتباره جمع السلامة.

ثالثا: ويُعبِّر عنه الشلوبين بقوله:" جمع بالإلف والتاء، وهو المؤنث في الغالب كهندات وقد جاء في غيره شاذا كسرادقات". [5]

(١) ينظر: الكتاب . لسبيويه . ١ / ١٨

(٢) ينظر: الكتاب لسبيويه . ٣ / ٤٠٦

(٣) ينظر : المقتضب للمبرد . ٢ / ١٥٦

(٤) ينظر: الفصول الخمسون. ص : ١٦٢

(٥) ينظر: التوطئة . للشلوبين . ص: ١٦٢ .

رابعاً: عَبَّر عنه ابن مالك بقوله: ما جمع بالألف والتاء، وتابعه من بعده كأبي حيان.[1]

و قال: الأشموني مرجحاً تعبير ابن مالك على غيره ممن يُعبِّر عنه بجمع المؤنث السالم: "وإنما لم يُعبِّر بجمع المؤنث السالم كما عَبَّر به غيره؛ ليتناول ما كان منه لمذكر، كحمامات وسرادقات، وما لم يسلم فيه بناء الواحد نحو: بنات وأخوات.[2]

و قال السيوطي: " وذِكرُ الجمعِ بألف وتاء أحسن من التعبير بـ (جمع المؤنث السالم) لأنَّه لا فرق بين المؤنث كهندات والمذكر كاصطبلات ولا بين السالم كما ذكر، والمغير نظم واحده كتَمَرات وغُرُفات وكِسَرات ، ولا حاجة إلى التقييد بـ (مزيدتين) ليخرج نحو: قضاة وأبيات، لأن المقصود ما دل على جمعيته بالألف والتاء ،والمذكورات ليسا كذلك ".[3]

وذهب الأستاذ عباس حسن من النحويين المعاصرين إلى أنه بالرغم من فِرارِ كثيرٍ من النحاة من تسمية هذا الجمع بجمع المؤنث السالم لمجيئه من مذكر كسرادقات، وعدم سلامة مفرده أحياناً كسعدى وسعديات وغير ذلك، و بالرغم من ذلك كله لا مانع من التسمية الثانية لأنها اشتهرت بين النحاة وغيرهم حتى صارت اصطلاحاً معروفا وخاصة الآن. [4]

قلت: فالراجح هو ما عليه المبرد ومن قبله كسيبويه وذلك للخروج من الإشكال الذي يترتب على تسميته بجمع المؤنث السالم.

دلالة الجمع بألفٍ وتاء العددية :

أولاً: ذهب النحاة إلى أن جمعي التصحيح لأدني العدد قال سيبويه: "وأما ما كان على (فِعْلَة) فإنك إذا أردت أدني العدد جمعتها بالتاء وفتحت العين وذلك قولك: قَصْعَة وقصَعات فإذا جاوزت أدنى العدد كسَّرت الاسم على (فِعال) وذلك قَصْعَة وقِصاع ... وقد يجمعون بالتاء، وهم يريدون الكثير.

(١) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . ٤ / ١٠٩

(٢) ينظر : شرح الأشموني على ألفيه ابن مالك . ١ / ٧٠

(٣) ينظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع . ١/ ٨٣

(٤) ينظر : النحو الوافي . (حاشية الصفحة) ١٤٧/١

قال الشاعر: وهو حسان بن ثابت:

لنا الجَفَناتُ الغرُّ يلمعنَ بالضُحى *** وأسيافنا يقطرنَ من نجدةٍ دما. [1]

فلم يُرد أدنى العدد ". [2]

وإليه ذهب المبرد [3] و السيرافي [4] وابن يعيش [5] وابن مالك. [6]

ثانياً: ذهب ابن خروف: أن جمعي التصحيح مشترك بين القليل والكثير. وقال الفيومي معلقاً على مذهب ابن خروف: وهذا أصح من حيث السماع ويؤيد هذا القول قوله تعالى:﴿ وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة ٢٠٣] المراد أيام التشريق وهي قليلة، وقال تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة ١٨٤] وهذه كثيرة.[7]

ثالثاً: ذكر الفيومي أن جماعة ذهبوا إلى أن جمعي السلامة يدلان على الكثرة ؛ لذلك ردوا ما ورد في قول النابغة عندما ردَّ على حسان بن ثابت . [8]

وبعد أن أوردنا بعض أقوال النحاة في الدلالة العددية لجمعي السلامة ، إلا أن الذي عليه جمهور النحاة أن جمعي السلامة ومنه (ما جمع بألف وتاء) لأدنى العدد ، كما رأينا عند سيبويه رحمه الله ، وقد ذكر ذلك المبرد في المقتضب بقوله : " وما كان من المذكر

(١) ينظر: ديوانه . ص: ١٣١ ، و ينظر : خزانة الأدب . ٨ / ١٠٦

(٢) ينظر : الكتاب لسيبويه . ٣ / ٥٧٨ ، ٣ / ٤٩١

(٣) ينظر : ينظر المقتضب. ٢ / ١٥٦ – ١٥٧

(٤) ينظر :شرح كتاب سيبويه . ص : ٢٢٨– ٢٢٩

(٥) ينظر : شرح المفصل للزمخشري . ٥ /١١

(٦) ينظر : شرح الكافية الشافية . ٤ / ١٨١٠

(٧) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . ٢ / ٦٩٥ .

(٨) ينظر: شرح الكافية الشافية . ١ / ٢٦٧.

مجموعاً بالواو والنون نحو مسلمات وصالحون فهو لأدني العدد ولأنه على منهاج التثنية ونظير ذلك من المؤنث ما كان بالألف والتاء نحو مسلمات وصالحات وكريمات"[1]

ونظمه أبو الحسن الدباج من نحاه إشبيلية ذيلاً لجموع القلة مع التكسير في بيتين قائلاً :

فأفعل وبأفعال وأفعله** *** وفعلةٍ يعرف الأدنى من العدد.

وسالم الجمع أيضاً داخل معه***** فهذه الخمس فأحفظها ولا تزد

وذكر ذلك أيضا الزمخشري في المفصل قائلا:"جمع القلة العشرة فما دونها أمثلة أفعل أفعال فعله كأفلس وأثواب وأجربه وغلمة ومنه ما جمع بالواو والنون والألف والتاء، وما عدا ذلك جموع كثرة".[2]

أما ما ذكره الفيومي ، معلقاً به على مذهب ابن خروف ، من أن جمعي السلامة مشترك بين القلة والكثرة ، واحتج بقوله تعالى :﴿ وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة ٢٠٣] و أن المراد أيام التشريق وهي قليلة، وقوله تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة ١٨٤] و أن المراد أيام شهر رمضان وهذه كثيرة ،فليس بحجة ، وسوف يأتي الحديث عنه في بابه لاحقاً بإذن الله في هذا البحث.

وبهذا يترجح ما ذكره جمهور النحاة بأن جمعي السلامة ، ومنه (ما جمع بألف وتاء) من جموع القلة .

ثم يذكر النحاة أن جمع القلة إذا قُرِنَ بأل التي للاستغراق، أو أضيف إلى ما يدل على الكثرة انصرف بذلك إلى الكثرة كما في قوله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ}. [3]

---

(١) ينظر: المقتضب . ١٥٦/٢

(٢) ينظر : المفصل في صنعة الإعراب . ص: ٢٣٥

(٣) ينظر : توضيح المقاصد و المسالك بشرح ألفية ابن مالك . ٣ / ١٣٧٨ ، و ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك . ١ / ٤٤١ ، و ينظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني . ٤ / ١٧٢

وهذا ما أشار إليه ابن جني واحتج له بقوله تعالى:﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَات وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَات وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَات وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَات وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَات وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَات وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَات وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَات وَالذَّاكِرِينَ﴾ [الأحزاب :٣٥] فالغرض في جميع ذلك الكثرة لا القلة.(١)

وقَّرر ذلك أبو حيان أيضا عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْض مِنْ شَجَرَة أَقْلَام وَالْبَحْر يَمُدّهُ مِنْ بَعْده سَبْعَة أَبْحُر مَا نَفِدَتْ كَلِمَات اللَّه﴾ [لقمان : ٢٧] .

رداً على الزمخشري الذي قال:" فَإِنْ قُلْتَ: الْكَلِمَاتُ جَمْعُ قِلَّةٍ، وَالْمَوَاضِعُ مَوَاضِعُ التَّكْثِيرِ لَا التَّقْلِيلِ، فَهَلَّا قِيلَ: كَلِمُ اللَّهِ؟ قُلْتُ: مَعْنَاهُ أَنَّ كَلِمَاتِهِ لَا تَفِي بِكَتْبِهَا الْبِحَارُ، فَكَيْفَ بِكَلِمَهِ؟ انْتَهَى".(٢) قال أبو حيان: "على تسليم أن (كلمات) جمع قلة، فجموع القلة إذا تعرفت بالألف واللام الاستغراقية أو أضيفت، عمَّت وصارت لا تخص القليلَ، والعام مستغرِقٌ لجميع الأفراد".(٣)

و بما أن ما جمع بألف وتاء هو من جموع القلة ، فهو يدخل في قاعدة النحاة، أي أنه إذا اقترن بأل الاستغراقية أو غير العهدية أو أضيف فقد عمَّ و صار لا يخص القليل ، بل هو للكثرة .

والله أعلم .....

(١) ينظر : المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. لابن جني . ١ / ١٨٧

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري . ٣ / ٥٠١

(٣) ينظر: البحر المحيط . ٤٢٢/٨

المبحث الثاني: ما يجمع بألف وتاء زائدتين

في هذا المبحث بإذن الله سوف أذكر أقوال النحاة وعلماء العربية حول ما يجمع بألف وتاء زائدتين ، وسوف يأتي الحديث في ذلك على قسمين :

أولاً : ما يجمع بألف وتاء زائدتين مطرداً :

١. يجمع هذا الجمع ما فيه تاء التأنيث مطلقاَ، سواءً كان علماً لمؤنث كفاطمة أو مذكر كطلحة . أو اسم جنس كتمرة أو صفة كنسابة أو أبدلت تاؤه في الوقف هاء أم لا، كبنت وأخت، و يُستثنى من ذلك: شاة وشفة وأمَة فلا تُجمع بالألف والتاء على الأصح، ولو سمي بها؛ استغناءً بتكسيرها على: شياه ، وشفاه، وإماه.

٢ . علم المؤنث مطلقاً سواءً كان فيه التاء – كما تقدّم – أم لم يكن كزينب، و سعدى، عفراء، سواءً كان لعاقل أم لغيره.(١)

٣ . صفة المذكر الذي لا يعقل كجبال راسيات ، بخلاف صفة المؤنث كـ حائض ، والعاقل كـ العالم.

٤ . مصغر المذكر الذي لا يعقل كـ (فُليسات) ، و(دُرِيهمات) بخلاف مصغر المؤنث نحو: أُرَيْنِب ، وخُنَيْصِر.

٥ . اسم الجنس المؤنث بالألف سواءً كان اسما كـ بُهمى، وصحراء أو صفة كحبلى وحُله و سِيراء، ويُستثني فَعْلى فعلان كسكرى فلا يقال: سكريات، و فعلاء أفعل كحمراء فلا يقال: حمراوات كما لا يجمع مذكرهما بالواو والنون. وأجازه الفراء و هو قياس قول الكوفيين، ومحل الخلاف ما داما باقيين على الوصفية، فإن سمي بهما جُمعا بالألف والتاء بلا

(١) ينظر : شرح الرضى على الكافية. ٤ / ٣٥٧ – ٣٥٨

خلاف. وأجاز ابن كيسان: حمراوات وسكرانات، كما أجاز في المذكر: أحمرون وسكرانون.[1]

٦ . ما يصح تذكيره وتأنيثه إذا لم يأت له مكسر ولم يجز جمعه بالواو والنون، كالألفات والتاءات إلى آخرها، وذلك لانسداد أبواب الجموع إلا هذا، ويجمع هذا الجمع أيضا مطرداً.[2]

٧ . علم غير العاقل المصدَّر بإضافة (ابن) أو (ذو) نحو ابن عرس وابن مُقْرِض وذو القعدة و ذو الحجة.[3]

ثانياً : ما يُجمع على هذا الجمع غير مطرد:

و يكون غالباً في نوعين من الأسماء:

أحدهما: اسم جنس مذكر لا يعقل إذا لم يأت له تكسير كحمامات وسرادقات كذا كل خماسي أصلي الحروف كسفرجلات لأن تكسيره مستكره. وعند الفراء هذا القسم أيضا مطرد. وأما إذا تكسر فإنه لا يجمع هذا الجمع فلم يقولوا: جوالقات لقولهم : جوالق ، وأما بوانات مع ثبوت بون فشاذ .

ثانيهما: الجموع التي لا تكسر نحو: رِجالات وصَواحِبات وبُيوتات فلا يقال: أَكلُبات لقولهم: أكلب.

وذكر ابن يعيش في المفصل بعد أن ذكر الأنواع الخمسة التي تجمع من الأسماء بالألف والتاء، أسماءً تجمع بالألف والتاء غير مطردة فقال :" أن هذه الأسماء، لما لم يدخلها التكسير، وكانت قد تصير إلى تأنيث الجمع، تَخيلوا فيها التأنيثَ، فجمعوها بالألف والتاء على حدِّ ما فيه تاء التأنيث، فقالوا: "سُرادِقاتٌ"، والواحد: "سُرادِقٌ"، وهو البيت من

(١) ينظر: شرح الرضى على الكافية. ٤ / ٣٥٩

(٢) ينظر: شرح المفصل . لابن يعيش . ٣ / ٣٠٦

(٣) ينظر: المرجع السابق. ٤ / ٣٥٨

القُطن. وقالوا: "جِمالٌ سِبَحْلاتٌ"، والواحد: "سِبَحْلٌ" مثلُ "قِمَطْرٍ"، وهو البعير الضخم. وقالوا: "سِبَطْراتٌ"، والواحد: "سِبَطْرٌ"، أي: ممتدّ طويل، وقالوا: "جُوالِق"، ولم يقولوا: "جوالقات"، فيجمعوه بالألف والتاء حيث كسروه، وقالوا: "جَوالِيقُ"، و"الجوالق": وعاءٌ من صوف وغيره. وقالوا: "بُوَاناتٌ" مع قولهم: "بُونٌ"، والواحد: "بِوانٌ" بكسر الباء، وهو عمود من أعمدة الخَيْم، فجمعوه بالألف والتاء مع أنّهم قد كسّروه. وذلك قليل، وما كان من هذا الجمع، فسبيلُه أن يُحفَظ ولا يقاس عليه."[1]

و الله أعلم .

وصلى الله على نبينا محمد و آله وصحبه و سلم

(١) ينظر : شرح المفصل .لابن يعيش . ٣ / ٣٤٦

الفصل الأول

ما جُمع بألف وتاء زائدتين في القرآن الكريم

و تحته مبحثان :

- **المبحث الأول: ما جُمع بألفٍ و تاءٍ زائدتين دالاً على القلة .**

- **المبحث الثاني: ما جُمع بألفٍ وتاء زائدتين دالاً على الكثرة .**

المبحث الأول: ما جُمع بألفٍ و تاءٍ زائدتين دالاً على القلة .

سوف أتناول في هذا المبحث بإذن الله تعالى من هذا الفصل، كل ما ورد في القرآن الكريم من كلمات مجموعة بألف وتاء زائدتين دالة على القلة، مطردةً مع ما ذكره النحاة في تقعيدهم، وقد أوردت تلك الكلمات مرتبة بالترتيب الهجائي على النحو الآتي:

١ . كلمة (آيات) و ردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في اثنين و ثلاثين موضعاً من كتاب الله تعالى، حيث جاءت على قسمين : ففي القسم الأول جاءت مميزة لعدد من أعداد القلة وذلك في ثلاثة مواضع . بينما جاءت في القسم الثاني وقد أُسند إليها مايشير إلى القلة أو يدل عليها، وذلك في تسعة وعشرين موضعاً. وسوف أتناول شواهد على كل قسم من القسمين .

أولاً : المواضع التي جاءت فيها كلمة (آيات) مميزة لعدد من أعداد القلة وهي :

١. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء ١٠١]

٢ . قال تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [النمل الآية ١٢]

٣ . قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴾ [الأعراف ١٣٣]

تذكر الآيات السابقة الآيات و المعجزات المبهرات اللاتي جاء بها موسى عليه السلام إلى فرعون ،و قيل في الآية الأولى: إن وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنَّ المعجزاتِ المذكورة كأنَّها مساوية لتلك الأمور التي اقترحها كفار قريش ، بل أقوى منها ، فليس عدم الاستجابة لما طلبوه

من الآيات إِلَّا لعدم المصلحة في استئصالهم إِن لم يؤمنوا بها. وفي الآية الثانية أن اليد داخلة في تسع آيات، قال ذلك المهدوِيُّ. و قال القُشَيريُّ : تقول خرجتُ في عشرةِ نفر ، وأنت أحدهم. و في الآية الثالثة : لما أخبرُوا عن أنفسهم أنَّهم لا يؤمنون بشيءٍ ممَّا يجيء به موسى من الآيات التي هي بزعمهم من السِّحر، نزلت بهم العقوبة من اللَّه عزَّ وجلَّ المبيَّنة بقوله تعالى:﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ ﴾ (١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في الآية السابقة هي كلمة ﴿آيَاتٍ﴾ و هي جمع بألف وتاء زائدتين لكلمة (آية) و قد وقعت في محل جر بالإضافة ؛ إذ هي مميزة للعدد (تسع) وهو عدد داخل في القلة ، وهذا يدل على أن هذه الكلمة ـ آيات ـ جاءت في هذا الموضع دالةً على القلة .

قال ابن عطية الأندلسي رحمه الله :"وقوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ ﴾ اتفق المتأولون والرواة أن الآيات الخمس التي في سورة الأعراف هي من هذه التسع ، وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع و الدم ، واختلفوا في الأربع ، فقال ابن عباس : هي يده ولسانه حين انحلت عقدته ، وعصاه و البحر ، و قال محمد بن كعب القرظي : هي البحر و العصا و الطمسة و الحجر ".(٢)

و قال رحمه الله في آية سورة النمل : وقوله ﴿ فِي تِسْعِ آياتٍ ﴾، متصل بقوله أَلقِ وأدخل ، وفيه اقتضاب وحذف تقديره نمهد ونيسر ذلك لك في جملة تسع آيات، وهي العصا واليد

(١) ينظر : فتح القدير . ٤ / ١٤٧

(٢) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٤ / ٢٥٢

والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والحجر، وفي هذين الأخيرين اختلاف والمعنى: تجيء بهن إلى فرعون وقومه ". [1]

و قال الطبري رحمه الله في جامعه : " قوله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ قال : التسع الآيات البينات: يده ، و عصاه ، و لسانه، و البحر، و الطوفان ، و الجراد، و القمل ، و الضفادع ، و الدم آيات مفصلات" . [2]

و قال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴾ في سورة النمل ، إن الله أمر نبيه موسى عليه السلام أن يدخل يده في جيبه لتخرج بيضاء من غير سوء ، فهي آية في تسع آيات مرسل بهن إلى فرعون وقومه . [3]

و مما سبق من أقوال النحاة والمفسرين نجد أن كلمة﴿آياتٍ ﴾في الآية السابقة جاءت دالة على القلة ؛ وذلك أنها ميزت عدداً من أعداد القلة ، ثم إن المفسرين يذكرون الآيات بأنها الخمس الواردة في سورة الأعراف وهي في قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴾ [الأعراف ١٣٣] و يختلفون في الأربع الباقيات ، إلا أنهم مجمعون على أن الآيات تسعٌ لا زيادة فيها بنص الآيات ، كما أن كلمة ﴿آياتٍ ﴾ في آية الأعراف جاءت في موضع نصبٍ على الحال من الأشياء الخمسة المذكورة ، والخمسة من أعداد القلة ، ثم وصفت أيضاً بقوله: ﴿ مُفَصَّلَاتٍ﴾ و هو جمع أيضا بألف و تاء وهذا من توافق الصفة مع الموصوف .

وهذا يعني أن كلمة ﴿آياتٍ ﴾ دلت على القلة ، إذ هي في موقع الحال من تلك العقوبات الخمس ، ولا يمكن أن يأتي حالٌ كثير من قليل ؛ لذلك جاءت جمعاً بألف وتاء نكرة على شرط النحويين في دلالته على القلة . و الله أعلم

(١) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٤ / ٢٥٢

(٢) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن . ١٧ / ٥٦٤

(٣) ينظر :جامع البيان في تأويل القرآن. ١٩ /٤٣٥

ثانياً : المواضع التي جاءت فيها كلمة (آيات) قد أُسند إليها ما يشير إلى القلة أو يدل عليها، وهي تسعة وعشرون موضعاً ، سوف أتناول منها موضعاً واحداً بالبحث والدراسة وما يقال فيه يمكن القول به على بقية المواضع ، و موضع البحث هو :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة ١٦٤]

لَمَّا ذكر تعالى أنَّه واحد، وأنَّه منفردٌ بالإلهيَّة، لم يكتفِ بالإخبارِ حتَّى أورد دلائل الاعتبارِ. ثمَّ مع كونها دلائل، بل هي نِعَمٌ مِنَ اللَّهِ على عبادهِ، فكانتْ أوضحَ لمنْ يتأَمَّل وأَبْهَرَ لمنْ يعقِلُ، إذ التَّنبيهُ على ما فيه النَّفعُ باعثٌ على الفِكْرِ. لكنْ لا تَنفَعُ هذه الدَّلائلُ إلَّا عند مَنْ كان متمكِّنًا مِنَ النَّظرِ والاستدلالِ بالعَقلِ الموهوبِ مِنْ عند الملكِ الوهَّابِ.(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿آياتٍ ﴾، وهي جمع بألف وتاء نكرة دالة على القلة على قاعدة النحاة ، و هي في موقع نصب اسم (إنَّ) مؤخر و خبرها مقدم في قوله تعالى :﴿ فِي خَلْقِ ﴾ ، و ﴿آياتٍ ﴾ أي : علامات ودلالات ؛ و المعنى : إن في كل واحدة من تلك الأشياء الثمانية والتي هي :(خلق السماوات، و خلق الأرض و اختلاف الليل والنهار ، و الفلك التي تجري في البحر، و إنزال الماء من السماء ، وإحياء الأرض بعد موتها ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض) آية هي من أكبر الآيات و العلامات والدلائل على وحدانية الله تعالى .

فلما ذكر الله تلك العلامات والدلائل على وحدانيته سبحانه ، و جعلها ثمانية جاءت كلمة ﴿آياتٍ ﴾ بدلالة القلة؛ إذ إن تلك الثمانية الأشياء خبرٌ لكلمة ﴿آياتٍ﴾و الخبر لا بد أن يتطابق مع المخبر عنه.

(١) ينظر : تفسير البحر المحيط . لأبي حيان . ٢ / ٨٣

وقد جعلها أبو حيان تسعة وذلك بأن قدر موصولاً محذوفا في قوله تعالى:﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ والتَّقديرُ: وما بَثَّ فيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، فيكون ذلك أعظَمَ في الآيات. و جعلها باعتبارٍ آخر تصِير إلى أربعَةٍ: خَلْقٌ، وَاخْتِلَافٌ، وَإِنْزَالُ مَاءٍ، وَتَصْرِيفٌ. (١) و كل ذلك داخل في القلة .

ومن أمثلة ما ذكرناه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النمل ٨٦]

و المعنى : إن في جعلنا اللَّيلَ مُظلمًا آية و في سكنكم فيه آية ، و في جعلنا النَّهَارَ مُبصِرًا آية ، وفي تصرفكم فيه آية ، فهذه أربع أشياء كلها آيات؛ لذلك جاءت كلمة ﴿آياتٍ﴾جمعاً بألف وتاء نكرة دالة على القلة ، إذ هي اسم إن خبره الجار والمجرور في قوله :﴿ فِي ذَلِكَ ﴾ و المشار به إلى تلك الأشياء الأربعة والتي هي من أعداد القلة .

و كذلك هو الأمر في بقية المواضع التي لا يتسع المقام لذكرها ودراستها . و الله أعلم .

٢ . كلمة (سماوات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في خمسة مواضع من كتاب الله تعالى وسوف أتناول موضعين منها بالبحث ، وما يقال فيهما يمكن القول به على بقية الآيات .

١ . قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة آية ٢٩].

٢ . قال تعالى :﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [فصلت آية ١٢]

تبين الآية الأولى أن الله سبحانه وتعالى خلق الأرض لأجل عباده بما فيها من الكائنات والمخلوقات ، ثم بعد ذلك عمد سبحانه وتعالى إلى السماء ، فسواهن سبع سماوات. قال بعض المفسرين : إنه لما خلق الماء أرسل عليه الريح فثار منه دخان فارتفع وسما، فسمّاه سماءً. و قال بعضهم : إنه لما خلق الأرض أرسل عليها ناراً، فارتفع منها دخان فسما ، ثم جاءت مدة

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان . ٢ / ٨٠ ـ ٨٣

خلقها في يومين ، قال ابن عباس وعبد الله بن سلام: وهما يوم الخميس ويوم الجمعة. وقال مقاتل: الأحد والاثنين . [1]

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هاتين الآيتين هي كلمة ﴿ سماواتٍ ﴾ وهي جمعٌ بألف و تاء زائدتين لكلمة(سماوة).[2] و هي دالة هنا على القلة ؛ إذ من المعلوم أن السماوات سبع ، لذا جاءت منكرة على قاعدة جمهور النحاة ، و مميزة للعدد (سبع) ، و قد ذكر الفراء في معانيه أن السماء في معنى الجمع لذلك جاءت كلمة ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾لأنه من المعروف أن السماوات سبع. [3] وقد وقع الخلاف في إعراب (سبع سماوات) ، فمنهم من قال : إنها بدل من الضمير في ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ و﴿فَقَضَاهُنَّ﴾و الذي هو عائد على السماء ، و منهم من جعلها في محل نصب مفعول به للفعل (سوَّى ، وقضى) ، و منهم من قال : إنها في محل نصب حال . كما وقع الخلاف بين المفسرين في أيهما خلق أولاً ، وليس هذا من مجال دراستنا هنا ، إلا أننا نذكر أقوال النحاة و المفسرين حول قوله سبحانه: ﴿ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ فنقول :

قال أبو جعفر النحاس : " ﴿ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ ﴾ قال محمد بن الوليد: سبع منصوب على أنه بدل من الهاء والنون أي فسوّى سبع سموات ، قال أبو جعفر: يجوز عندي أن يكون فسوّى منهن كما قال جلّ وعزّ: وَاخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ . " [4]

و قد رجح أبو حيان إعراب (سبعَ سماواتٍ) بدلاً من الضمير في (سواهن) ، و رد قول أبي جعفر حين أجاز أن تكون من باب قوله تعالى :﴿و اختار موسى قومه ﴾

(١) ينظر : زاد المسير في علم التفسير . ١ / ٤٩ ـ ٤ / ٤٧

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج . ١ / ١٠٧

(٣) ينظر : معاني القرآن للفراء. ١ / ٢٥

(٤) . ينظر : إعراب القرآن للنَّحَّاس . ١ / ٤١

فقال : " وقد أَعرب بعضهم سبع سموات بدلا منَ الضمير ، على أَنَّ الضميرَ عائد على ما قبله، وهو إِعراب صحيح ، نحو: أَخوك مررتُ به زيدٌ ، و أَجازوا في سبع سموات أَنْ يكون منصوبا على المفعول بِهِ ، و التقدير: فسوَّى منهن سبع سموات ، و هذا ليس بجيد من حيث اللفظ وَمِن حيث المعنى. أَمَّا من حيث اللفظ فإِنَّ سوى ليس مِن باب اختار، فيجوز حذف حرف الجر منه في فصيح الكَلام ، و أَمَّا مِن حيثُ المعنى فلأَنَّه يدل على أن السموات كثيرةٌ، فسوَّى منهنَّ سبعًا ، و الأَمر ليس كذلك، إِذ المعلوم أن السموات سَبعٌ. و أَجازوا أَيضًا أَنْ يكون مفعولا ثانيًا لسوَّى ، ويكون معنى سوَّى: صير، وهذا ليس بجيدٍ، لأَنَّ تعدي سوَّى لواحد هو المعلوم فِي اللُّغة، فسوَّاكَ فعدلك ، ﴿ قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ ﴾. و أَمَّا جعلهَا بمعنى صيَّر، فغير معروف في اللُّغة . و أَجازوا أَيضًا النَّصب على الحال، فتلخَّصَ في نصب سموات أَوجه البدل باعتبارينِ، و المفعول به، ومفعولٌ ثَانٍ، وحالٌ، والمختَارُ البدلُ باعتبارِ عودِ الضَّميرِ على ما قبله و الحالُ، ويترجَّح البدلُ بعدم الاشتقاقِ." [1]

و في قوله تعالى:﴿فقضاهن سبع سماوات ﴾ يقول أبو حيان : " فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ: أَي صنعهنَّ و أوجدهنَّ، كقول ابن أبي ذؤَيبٍ:

و عليهِما مسرودتان قضاهمَا ... داود أَو صَنِعُ السَّوَابِغِ تبع

وعلى هذا انتصبَ سبعَ على الحالِ. و قال الحوفِيُّ : مفعولٌ ثَانٍ ، كأَنَّه ضمَّنَ قضاهنَّ معنى صيَّرهنَّ فعدَّاهُ إِلى مفعولينِ، و قال الزَّمخشرِيُّ: و يجوزُ أَنْ يكون ضميرًا مبهما مفسرا سبع سموات على التمييزِ. و يعني بقوله مبهمًا، ليس عائدًا على السماءِ، لا مِنْ حيثُ اللفظِ و لا من حيثُ المعنى، بخلاف الحال أَوِ المفعولِ الثاني ، فإِنَّه عائدٌ على السماءِ على المعنى ". [2]

و يذكر الطبري رحمه الله أن السماوات خلقت سبعا منذ أن كانت دخاناً فيقول : " فإن قال لنا قائل: فإنك قد قلت إن الله جل ثناؤه استوَى إلى السماء وهي دخان قبل أن يسويها

(١) . ينظر : البحر المحيط في التفسير. ١ / ٢١٨

(٢) . ينظر : البحر المحيط . ٩ /٢٩٢

سبع سموات ، ثم سواها سبعًا بعد استوائه إليها ، فكيف زعمت أنها جِماع ؟ قيل: إنهن كنّ سبعًا غيرَ مستويات ، فلذلك قال جل ذكره : فسوَّاهن سبعًا." (١)

و مما سبق من أقوال النحاة والمفسرين في المسألة ، نجد أن كلمة ﴿ سماواتٍ ﴾ جمع لكلمة (سماوة) وهذا ما ذكره المبرد في المقتضب عندما ذكر قول الشاعر : سماءُ الإِلهِ فوقَ سَبْعِ سَمائيا. فذكر المبرد أن الشاعر جمع سَمَاء على فعائل وَالَّذِي يُعْرف من جمعهَا سماوات . (٢)

كما نجد أيضاً ، أن جمهور النحاة والمفسرين مجمعون على أن السماوات سبعٌ في عددهن ، لذلك رد أبو حيان قول من قال بجواز نصب (سبع) على تقدير حذف (من) ، وحجته في ذلك أنه يخالف اللفظ والمعنى ، حيث إن (سوى) ليست بمعنى اختار في اللفظ ، وحيث إن السماوات سبع و المعنى بتقدير (من) يجعلها أكثر من السبع وهذا لا يصح .

و لما كانت السماوات سبع ، و السبع عدد داخل في القلة ؛ جاءت كلمة ﴿ سماواتٍ ﴾ في الآيتين السابقتين مميزتين للعدد (سبع) مجموعتين بألف وتاء زائدتين منكرتين ؛ لتدل على معنى القلة كما تذكر قاعدة النحويين. لاسيما أن أكثر النحاة مجمعون في إعرابهم لـ (سبع سماوات) على أنها بدل من الضمير في قوله: ﴿ فسواهن ﴾، و﴿ قضاهن ﴾ و الذي هو عائد على كلمة (السماء) في بداية كل من الآيتين ، وقد ذكرنا آنفا قول أبي حيان عندما ذكر أن السماء في معنى الجمع مستدلا بمجيء ضمير الجمع (هن) في الآية عائد عليها .

فنقول :إنما ذُكِر العددُ سبع في الآية؛ ليبين سبحانه و تعالى عددهن بالتحديد؛ ثم جعل تمييز ذلك العدد كلمة ﴿ سماواتٍ ﴾ ، ولم يجعله على (سمائيا) علما أنه موجود في لغة العرب كما ذكر المبرد في المقتضب آنفاً ، فلماذا ذكرت كلمة ﴿سماواتٍ﴾ مع هذا العدد الداخل في أعداد القلة ؟؟ ولماذا جاءت نكرة غير معرفة ؟؟ إلا أنها من ألفاظ القلة في حال تنكيرها؛ و ذلك ليتناسب العدد مع المعدود. ويزيد الأمر وضوحاً قوله تعالى : ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطَّلَاق ١٢] أي في العدد ، قال أبو حيان : " اللَّه الذِي خَلَقَ

(١) . ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن . ١ / ٤٣١ ـ ٤٣٣

(٢) ينظر : المقتضب. للمبرد . ١ /١٤٤

سَبْعَ سَماواتٍ : لا خلاف أَنَّ السموات سبع بنصِّ القرآن والحديث ، كما جاء في حديث الإسراء، ولقوله صلَّى اللَّه عليه وسلم لسعد:«حَكَمْتَ بِحُكْمِ الْمَلِكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ» "[1]

و الله أعلم .

٣ . كلمة (بقرات ، و سنبلات ، يابسات) وردت هذه الكلمات نكرات دالة على القلة في موضع واحد من كتاب الله عز وجل مجتمعة في قوله تعالى :﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [يوسف ٤٣]

هذه الآية الكريمة هي الآية الثالثة والأربعون من سورة يوسف ، و قد بينت فضل الله على نبيه يوسف ، وذلك أنه لما دنا فرجه و اقتضت حكمة الله خروجه من السجن ، رأى ملك مصر رؤياه ، وطلب من الملأ أن يعبروها له ، فاعتذروا إليه عن تأويلها ، وقالوا : ﴿ أَضْغَاثُ أَحْلامٍ ﴾ ، فذكر ساقي الملك صدق يوسف فيها و فيما رأى عندما كان في سجنه ، فطلب منهم أي يرسلوه إلى يوسف فسأله عن رؤيا الملك ، فعبرها عليه السلام لهم ؛ فكانت سببا في خروجه من السجن . [2]

دراسة المسألة :

الكلمات المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي:﴿بَقَرَاتٍ﴾و﴿سُنْبُلَاتٍ﴾ و﴿يَابِسَات﴾ وكلها جمع بألف وتاء زائدتين لـ (بقرة ، سنبلة ، و يابسة) ، وكلها نكرات ، إي أنها دالة على القلة كما يرى جمهور النحاة ؛ إذ وقعت كلمتي :﴿بَقَرَاتٍ﴾و﴿سُنْبُلَاتٍ﴾ في محل جر بالإضافة مميزة للعدد (سبع) ؛ الذي هو من أعداد القلة . أما كلمة ﴿يَابِسَات﴾فقد وقعت في موضع نصب صفة لـ ﴿أُخَرَ﴾ و التي هي عطف نسق على (سبعَ) ، فالمعنى(وسبع أخر

(١) ينظر : البحر المحيط ١٠ / ٢٠٥

(٢) . ينظر : فتح القدير لشوكاني . ٣ / ٣٨

يابساتٍ) ، والصفة تطابق الموصوف ، والموصوف معطوف على ما هو للقلة ؛ لذا جاءت كلمة ﴿يَابِسَات﴾ في هذا الموضع دالة على القلة .

وقد ذكر ذلك الزمخشري ، مبيناً أن معنى كلمة ﴿أُخَرَ﴾ متناول لمعنى كلمة (سبع) ؛ ويكون قوله: ﴿ وَأُخَرَ يابِساتٍ ﴾ بمعنى وسبعاً أخر ؛ إذ الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد. (١)

و يزداد الأمر إيضاحا وجلاءً في الآيات التالية لهذه الآية، عندما عبر يوسف عليه السلام رؤيا الملك ، في قوله تعالى : ﴿ تزرعون سبع سنين ﴾ و قوله : ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد ﴾ . فيذكر الطاهر ابن عاشور : أن السبع البقرات السمان هي سنون الزراعة و الخصب ، والسبع العجاف سنون القحط والجدب ، و السبع السنبلات الخضر رمز لطعام ينتفع به، كل سنبلة بسنة ، و الأخر اليابسات رمز لما يدخر ، و كونها سبعا رمز لادخارها سبع سنين، و تأويل ذلك أن سنين الجدب أتت على ما أثمرته سنون الخصب . (٢)

و مما سبق ذكره آنفا ؛ نجد أن كلا من الكلمات ﴿بَقَرَاتٍ﴾و﴿سُنْبُلَاتٍ﴾ و﴿يَابِسَات﴾ مجموعةً بألف وتاء زائدتين في الآية الثالثة و الأربعون من سورة يوسف ، جاءت دالة على القلة ، موافقة لما ذكره جمهور النحاة في تقعيدهم لمسألة القلة و الكثرة في المجموع بألف و تاء، إذ هي نكرات ،و مميزة لعدد من أعداد القلة تارة كما في قوله تعالى:﴿ سَبْعَ بَقَرَاتٍ ﴾ وقوله: ﴿ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ ﴾ ، أو واصفة له تارة أخرى في قوله تعالى : ﴿ أُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾ . ولو أرد سبحانه الكثرة لقال سبحانه : في سبع سنبلات (سبع سنابل) كما في قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ [البقرة ٢٦١] ، و لا ملزم عليه سبحانه وتعالى . والله أعلم.

---

(١) . ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل . ٢/ ٤٧٣ ـ٤٧٤

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير . ١٢ / ٢٨٦

٤ .كلمة (شهادات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في موضعين من كتاب الله تعالى .

١ . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [النور الآية ٦]

٢ . قال تعالى : ﴿ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [النور الآية ٨]

الآية الأولى جاءت بعد أن ذكر حكم القذف على العموم ، فبينت حكم نوع من أنواع القذف ، ألا وهو حكم قذف الرجل للمرأة التي تحته بعقد نكاح ، وذلك في حالة لم يكن له على قذفه لها شهودا إلا نفسه ، فعليه أن يشهد أربع شهادات إنه لمن الصادقين فيما قاله ، ثم بينت الآية الثانية كيف للمرأة المقذوفة أن ترفع العذاب عن نفسها ، وذلك بشهادتها أربع شهادات إنه لمن الكاذبين . (١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في الآيتين السابقتين هي كلمة ﴿ شَهَادَاتٍ ﴾،و هي جمع بألف وتاء زائدتين لكلمة (شهادة) ، و قد وقعت في محل جر بالإضافة ؛إذ هي مميزة للعدد أربع ، و هو عدد دون العشرة ، أي أنها جاءت دالة على القلة في الآيتين السابقتين .

قال أبو حيان في البحر نقلا عن الشافعي :" وقال الشَّافعي: يقول أشهد باللَّه أنِّي لصادق فيما رميت به زوجتي فلانة بنت فلان، ويشير إليها إن كانت حاضرة أربع مرات ". (٢)

و قال الزجاج : " وقوله:﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ باللَّهِ﴾. ويقرأ أربعَ شهاداتٍ باللَّهِ بالنصب، فمن قرأ أربع بالرفع فعلى خبر الابتداء ، و المعنى فشهادة أحدهم التي تدرأ حدَّ

(١) ينظر : فتح القدير للشوكاني . ٤ / ١٢

(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان. ٨ / ١٨

القاذف أَربعٌ ، والدليل على ذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾.[النور الآية ٨]

ومن نصب أربعاً فالمعنى فعليهم أن يشهد أحدهم أربع شهاداتٍ، و المعنى فالذي يدرأُ عنها العذاب أَنْ يشهد أحدهم أربع شهاداتٍ. يَقُولَ: أَشْهَدُ باللَّه إني لمن الصادقين فيما قذفتها به، أو يقول: أحلف باللَّه إني لمن الصادقين فيما قذفتها به، أربع مَراتٍ، ويقول في الخامسة لعنة اللَّه عليه إن كان من الكَاذبين ". (١)

وقد ذكر ذلك الطبري في جامع البيان فقال : " ذلك أن معنى الكلام: ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين﴾ تقوم مقام الشهداء الأربعة في دفع الحدّ عنه. ويعني بقوله: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾ ، فحلف أحدهم أربع أيمان بالله " . (٢)

و مما سبق ذكره من أقوال النحاة والمفسرين حول كلمة ﴿شَهَادَاتٍ﴾ في الآيتين السابقتين ، نجد أنها جاءت دالة على القلة إذ هي مميزة لعدد من أعداد القلة و هو (أربع) ، بل وذكر المفسرون أن القاذف يشير أربع مرات كما نقل عن الشافعي ، و هي إلى ذلك نكرة مجموعة بألف وتاء زائدتين ، وهذا يوافق ما ذكره جمهور النحاة في تقعيدهم لما جمع بألف و تاء في حالة كونه للقلة .

و الله أعلم

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه. للزجاج ٤. / ٣٢ ـ ٣٣

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن . ١٩ / ١١٠

٥ . كلمة (مرات) و (عورات) وردت هاتان الكلمتان دالتان على القلة .في موضع واحد من كتاب الله تعالى :

١ . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ﴾ [النور ٥٨]

تبين هذه الآية الكريمة ، أدبا عظيما من الآداب الإسلامية ، ألا وهو أدب الاستئذان قبل الدخول ، الخطاب للمؤمنين ويدخل المؤمنات فيه تغليباً كما في غيره من الخطابات . وقد قيل المراد بـ ﴿ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانكُمْ ﴾ من العبيد والإماء ﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُم مِنْكُمْ ﴾ من الأحرار الذين عرفوا أمر النساء ، و﴿ ثَلَاث مَرَّات ﴾ في ثلاثة أوقات ﴿ مِنْ قَبْل صَلَاة الْفَجْر وَحِين تَضَعُونَ ثِيَابكُمْ مِنْ الظَّهِيرَة ﴾ أي وقت الظهيرة ﴿ وَمِنْ بَعْد صَلَاة الْعِشَاء ثَلَاث عَوْرَات لَكُمْ ﴾. (١)

دراسة المسألة :

الكلمتان المعنيتان بالبحث والدراسة في الآية السابقة هما ﴿ مَرَّاتٍ﴾ و ﴿عَوْرَات﴾ و هما مجموعتان بألف وتاء زائدتين لكلمتي (مرة و عورة) ، و قد وقعتا في موضع جر بالإضافة لكلمة ﴿ ثَلَاث﴾ و مميزة لها ، و ثَلَاث عدد داخل في أعداد القلة ، لذلك جاء التمييز له بكلمتي ﴿مَرَّاتٍ﴾ و ﴿عَوْرَات﴾ المجموعتان بألف و تاء زائدتين نكرة لتدل على القلة أيضا، ليتوافق العدد مع المعدود في الكم ، وهذا يوافق ما ذكره جمهور النحاة في المجموع بألف و تاء زائدتين ، ثم ذكر الله سبحانه تلك الأوقات و بين زمنها.

قال الألوسي : "ثَلاثَ مَرَّاتٍ أي ثلاث أوقات في اليوم و الليلة ، والتعبير عنها بالمرات للإيذان بأن مدار طلب الاستئذان مقارنة تلك الأوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين لا أنفسها

(١) ينظر: تفسير الجلالين . ١ / ٤٦٨

فنصب ثَلاثَ مَرَّاتٍ على الظرفية للاستئذان وهو الذي ذهب إليه الجمهور ويدل على ما ذكر قوله تعالى :﴿ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ﴾ إلخ.. فإن الظاهر أنه في محل النصب أو الجر كما قيل: إنه بدل من ثَلاثَ أو من مَرَّاتٍ بدل مفصل من مجمل ". (١)

و قال ابن عطية الأندلسي في إعراب قوله تعالى: ﴿ ثَلاثُ عَوْراتٍ ﴾ : " ثَلاثُ عَوْراتٍ نصب على الظرف لأنهم لم يؤمروا بالاستئذان ثلاثا، إنما أمروا بالاستئذان في ثلاثة مواطن ، فالظرفية في الثَلاثَة بينة، قرأ جمهور السبعة ﴿ثلاثُ عوراتٍ﴾ برفع ﴿ثلاثُ﴾ وهذا على الابتداء، وقرأ حمزة و الكسائي وأبو بكر عن عاصم ﴿ ثلاثَ عورات ﴾ بنصب ﴿ثلاث﴾ ، وهذه على البدل من الظرف في قوله:﴿ثَلاثَ مَرَّاتٍ﴾، وهذا البدل إنما يصح معناه بتقدير (أوقات ثلاث عورات) فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وعَوْراتٍ جمع عورة وبابه في الصحيح أن يجيء على فعلات بفتح العين كجفنة و جفنات ونحو ذلك وسكنوا العين في المعتل كبيضة وبيضات وجوبة وجوبات ونحوه لأن فتحه داع إلى اعتلاله فلم يفتح لذلك ".(٢)

و ذكر الطبري في جامعه أن المقصود بثلاث مرات أي ثلاث أوقات من ليلكم ونهاركم يجب فيها الاستئذان عن غيرها . (٣)

و مما سبق من أقوال النحاة والمفسرين حول الآية السابقة نجد أن كلمتي ﴿مَرَّاتٍ﴾ و﴿عَوْرَات﴾ يقصد بها الأوقات الثلاثة التي يجب فيها استئذان المذكورين في الآية قبل الدخول وهذه الأوقات هي (من بعد صلاة الفجر ، وحين الظهيرة والقيلولة ، و من بعد صلاة العشاء) و هذه أوقات ثلاثة مذكورة صريحة بالعدد والبيان في الآية ، ويؤيِّد ذلك قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : «الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ» والثلاثة من جموع القلة ؛ لذا جاء التعبير عنها بكلمتي ﴿مَرَّاتٍ﴾ و﴿عَوْرَات﴾ لأنهما يدلان على القلة ؛ إذ هما مجموعان بألف و تاء زائدتين منكرتين .

والله أعلم

(١) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . ٩ /٤٠٢

(٢) ينظر: المحرر الوجيز . ٤ / ١٩٤

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري . ١٩ /٢١٢

٦ . كلمة (ظلمات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة ، في موضع واحد من كتاب الله عز وجل .

قال تعالى :﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر٦]

تبين هذه الآية جانبا من جوانب قدرة الله عز وجل في خلقه ، وكيف أنه خلقهم من نفس واحدة ، ثم خلق منها زوجها ، ثم أنعم عليهم بأن جعل لهم من الأنعام ثمانية أزواج (من الضأن اثنين و من المعز اثنين و من البقر اثنين و من الإبل اثنين) ، ثم بين سبحانه أنه يبتدئ خلقهم في بطون أمهاتهم خلقا من بعد خلق ، وذلك أنه يحدث فيها نطفة ، ثم يجعلها علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاما ، ثم يكسو العظام لحما ، ثم يُنْشئه خلقا آخر ، تبارك الله و تعالى ، فذلك خلقه إياه خلقا بعد خلق ، ويكون ذلك الخلق في ظلمات ثلاث . (١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ وهي جمع بألفٍ و تاء زائدتين لكلمة (ظلمة) ، و قد وقعت في موقع جر بحرف الجر ، و هي على قاعدة النحاة تدل على القلة ؛ إذ هي نكرة ، لاسيما أنها موصوفة هنا بكلمة﴿ثَلَاثٍ﴾و هو عدد داخل في القلة ، و القاعدة النحوية تستوجب تطابق الصفة مع الموصوف .

قال النحاس : " قال تعالى ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ قال مجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك: في ظلمة الرحم وفي ظلمة المشيمة وفي ظلمة البطن، وقيل: في الصلب ثم في الرحم ثم في البطن وهذا مذهب ابي عبيدة و الأول أصح". (٢)

(١) ينظر: انظر جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري ٢١ / ٢٥٩

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس . ٦ / ١٥٤

وذكر ذلك ابن كثير رحمه الله تعالى ، و نسبه إلى ابن عباس رضي الله عنه و مجاهد و غيرهما ونص كلامه : " وقوله جل و علا : في ظلمات ثلاثٍ يعني في ظلمة الرحم وظلمةَ المِشيمة التي هي كالغشاوةِ والوقاية على الولد وظلمة البطن. كذا قال ابن عباس رضي اللَّهُ عنهما ومجاهدٌ وعكرمة وأبو مالك و الضَّحَّاك وقتادة و السُّدِّيُّ وابن زيد " .(١)

و مما سبق ذكره يتبين لنا أن كلمة ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ في الآية السادسة من سورة الزمر ، جاءت دالة على القلة ؛ ذلك أن الظلمات المعنية في الآية هي التي ذكرها المفسرون آنفا ، و هي ظلمة الرحم ، و ظلمة المشيمة ، و ظلمة البطن ؛ لذلك جاءت الآية تبين مراحل خلق الجنين في بطن الأم ، و توضح أن تلك المراحل تكون في ظلمات قليلة ، ثم وصف الله سبحانه تلك الظلمات بأنها ثلاث ؛ حتى لا يتوهم السامع أنها خمس أو سبع أو غير ذلك مما هو دون العشرة من أعداد القلة ، و هذه الأقوال كلها تجعلنا نقول أن كلمة ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ في هذه الآية جاءت في موضع القلة و دلت عليها ، لذا جاءت نكرة موافقةً لما ذكره النحاة في تقعيدهم .

والله تعالى أعلم.

٧ . كلمتي (محكمات و متشابهات) وردت هاتان الكلمتان نكرتان دالتان على القلة ، في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله تعالى وذلك في قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران ٧]

يخبر تعالى في هذه الآية أنَّ في القرآن آياتٌ محكمات ﴿هنَّ أُمِّ الْكِتَابِ﴾ أي بيِّنات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ، ومنه آياتٌ أخر فيها اشتباه في الدَّلالة على كثيرٍ من النَّاس أو بعضهم ، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكَّم محكمه على متشابهه عنده؛ فقد اهتدى ، ومن عكس انعكس ، ولهذا قال تعالى :﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أي أصله .(٢)

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ٧ /٧٦

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٢ / ٤

دراسة المسألة :

﴿مُحْكَمَاتٌ ﴾ و ﴿ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ جمعان بألف وتاء زائدتين لكلمتي (محكمة و متشابهة)، دالتان على القلة ؛لأنهما نكرتان ، وذلك على قاعدة النحاة لهذا النوع من الجمع، و كلمة ﴿مُحْكَمَاتٌ ﴾ في محل رفع صفة لـ ﴿آيَاتٌ﴾، و هي لفظ للقلة أيضاً. لكن هل الآيات المحكمة في كتاب الله قليلة ؟ كيف نقول بذلك و الله سبحانه وتعالى يقول :﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ [هود ١] ، فآيات الكتاب كلها محكمة ، وكذلك كلمة ﴿ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ جاءت في الآية دالة على القلة ، وهي صفة مرفوعة لكلمة ﴿أُخَرُ﴾ و التي عطفت عطف نسق على آيات .[1] والله سبحانه وتعالى يقول:﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ [الزمر ٢٣]. فالكتاب كل آياته متشابهة فكيف يوصف الكثير بالقليل في هذه الآية ؟؟ أم أن هذا كسر للقاعدة النحوية ؟ أم أن هناك حكمة استدعت مجيء هذه الكلمات دالة على القلة في هذا الموضع؟؟

ذكر المفسرون أقوالاً مختلفة في المقصود بالمحكم والمتشابه في هذه الآية، فقيل : المحكم النَّاسخ ، والمتشابه المنسوخ ، قاله ابن عبَّاسٍ ، وابن مسعودٍ ، وقتادة ، والرَّبيع ، والضَّحَّاك . وقال مجاهدٌ ، وعكرِمةُ : المحكم : ما بيَّن تعالى حلاله وحرمه فلم تشتبه معانيه ، و المتشابه : ما اشتبهت معانيه. بل وذكر بعضهم تحديداً للمحكم في كتاب الله ، فقال أبو عثمان: المحكم، الفاتحة. وقال محمَّد بن الفضل : سورة الإخلاص لأنه ليس فيها إلَّا التَّوحيد فقط .[2]

و قيل : المحكمات هي الآيات الثلاث في سورة الأنعام ، ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١] الآيات، ونظيرها في بني إسرائيل ﴿وقضى رَبُّكَ أَلاَّ تعبدوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] . المتشابهات: حروف التهجي في أوائل السور. و هو القول المشهور قاله ابن عباس و مقاتل .[3]

---

(١) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٣ / ٢٦

(٢) ينظر : البحر المحيط في التفسير . ٣ / ٢٢

(٣) ينظر : اللباب في علوم الكتاب . ٥ / ٣

لكنا نعلم أن القرآن الكريمَ كلَّه محكمٌ من جهة الإحكام والإتقان والفصاحة وصحة المعاني؛ كونه كلاماً حقًّا فقد قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: ١] ، وقال:﴿تِلْكَ آيَاتُ الكتاب الحكيم﴾ [يونس: ١] فهو أفضل من كل كلام يوجد فيه هذه المعاني، ولا يمكن لأحد أن يأتي بكلام يساويه فيها ، والعرب تقول في البناء الوثيق ، والعقد الوثيق الذي لا يمكن حَلُّه: محكم. كما أن القرآن كلُّه متشابه من حيث إنه يشبه بعضهُ بعضاً في الحُسن ، ويصدِّقُ بعضُهُ بعضاً ؛ لقوله تعالى :﴿كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ﴾[الزمر: ٢٣].

لهذا نقول: إن الراجح من أقوال المفسرين حول المحكم والمتشابه هو ما نُقل عن ابن عباس ومقاتل : أن المحكمات هي الآيات الثلاث في سورة الأنعام ، ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] وهي قوله تعالى :﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ و قوله:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ و قوله : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾و قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾. قال مقاتل : لأنهن فِي اللوح المحفوظ مكتوبات وهن محرمات على الأمم كلها فِي كتبهم . وإنما تسمين أم الكتاب لأنهن مكتوبات فِي جميع الكتب التي أنزلها اللَّه- تبارك وتعالى- عَلَى جميع الْأَنْبِيَاء ، وليس من أَهْل دين إِلَّا وَهُوَ يوصي بهن .[1] المتشابهات: حروف التهجي في أوائل السور ، آلم. المص. المر. الر.

و عليه فإن كلمتي ﴿مُّحْكَمَاتٌ ﴾ و ﴿ مُّتَشَابِهَاتٌ﴾ دالتان على القلة على قاعدة النحاة ، وقد جاءتا صفتين لكلمتي ﴿آيَاتٌ﴾ و ﴿أُخَرُ﴾؛ لتدل بهما على القلة أيضا ؛ إذ الآيات المحكمة والمتشابهة في كتاب الله قليلة في أشهر أقوال المفسرين ، ولو لم توصف كلمة ﴿آيَاتٌ﴾ بهذه الصفة؛ لظُنَّ بها الكثرة ، فهي جمع لكلمة (آية) و لم تجمع في القرآن لقليل أو الكثير إلا على (آيات) ؛ لذلك وصفت بما يدل على القلة ؛ لأن الموضع هنا يستوجب ذلك .

و الله أعلم.

(١) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان . ١ / ٢٦٤

٨ . (مُسْلِمَاتٍ ، مُؤْمِنَاتٍ ، قَانِتَاتٍ ، تَائِبَاتٍ ، عَابِدَاتٍ ، سَائِحَاتٍ ، ثَيِّبَاتٍ) وردت هذه الكلمات نكرات دالات على القلة مجتمعة في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله ، وذلك في سورة التحريم في قوله تعالى: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم ٥].

في الصَّحيح أنَّ هذه الآية نزلت على لسان عمر رضي اللَّه عنه : فعن أنس رضي الله عنه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال: بلغني عن بعض أمهاتنا، أمهات المؤمنين شدّة على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وأذاهنّ إياه، فاستقريتهنّ امرأة امرأة، أعظها وأنهاها عن أذى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وأقول: إن أبيتنّ أبدله الله خيرًا منكنّ، حتى أتيت، حسبت أنه قال على زينب، فقالت: يا ابن الخطاب، أما في رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ما يعظ نساءه حتى تعظهنّ أنت؟ فأمسكت، فأنزل الله ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ﴾ .[1]

دراسة المسألة :

الكلمات المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي: ﴿ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ ﴾ و كلها صفات جمعت بألف وتاء زائدتين نكرات تدل على القلة على قاعدة النحاة في هذا النوع من الجمع ، كما أنها وقعت في محل نصب على أنها نعت لـ ﴿أزواج﴾، وكلمة (أزواج) مفردها زوج ، وقد جمعت في هذه الآية على(أفعال) ، وهو من جموع القلة ، و لا جمع لكلمة (زوج) في العربية إلا عليه ، فهو جمع يستوي فيه الكثير و القليل ؛ لذلك نعت هذا الجمع (أزواج) بهذه الصفات الدالة على القلة ، ليتبن أن

(١) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن .لابن جرير الطبري . ٢٣ / ٤٨٨

المراد منه القلة لا الكثرة ، لاسيما أن الخطاب في الآية موجه إلى بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم .

قال ابنُ جريرٍ الطبري : حدَّثنا سعيد بن يَحيى ، حدَّثنا أبي، حدَّثنا محمد بنُ إسحاق، عن الزُّهريِّ، عن عُبيد اللَّه بنِ عبد اللَّه، عن ابن عبَّاسٍ قال: قلت لعمر بن الخطَّاب من المرأتان؟ قال: عائشة وحفصة. وكان بدء الحديث في شأن أمِّ إبراهيم القبطيَّة، أصابها النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في بيت حفصة في نوبتها ، فوجدت حفصةُ، فقالت: يا نبيَّ اللَّه، لقد جئت إليَّ شيئًا ما جئت إلى أحدٍ من أزواجك، في يومي، وفِي دوري، وعلى فراشي. قال: " أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أُحَرِّمَهَا فَلَا أَقْرَبَهَا؟ ". قالت: بلى. فحرَّمها وقال: " لَا تَذْكُرِي ذَلِكَ لِأَحَدٍ". فذكرته لعائشة، فأظهره اللَّه عليه، فأنزل اللَّه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ .(1)

و مما سبق ذكره نجد أن كلاً من: ﴿ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ ﴾ جاءت في هذه الآية دالة على القلة ؛ إذ هي مجموعات بألف وتاء زائدتين نكرات ، وذلك على قاعدة النحاة . والله أعلم .

٩ . كلمة (معدودات) وردت هذه الكلمة نكرةً دالةً على القلة في موضعين من كتاب الله الموضع الأول هو :

١ . قوله تعالى : ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ... الآية ﴾ .[البقرة ١٨٣-١٨٤]

(١) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن .لابن جرير الطبري . ٢٣/ ٤٧٧

يقول الله سبحانه مخاطباً المؤمنين في هذه الآية الكريمة ، و آمرا لهم بالصيام الذي فرضه الله عليهم كما فرضه على الذين من قبلهم ؛ لأن فيه طهارة و تزكية للنفوس وتنقيتها من الأخلاط الرَّديئة والأخلاق الرَّذيلة ، ثم يبين سبحانه مدت هذه الفريضة وأنها أياماً قليلة ، و هذا كان قبل أن يفرض صيام شهر رمضان ، حيث كان على المؤمنين في بداية الإسلام أن يصوموا ثلاثة أيام من كل شهر، وهذا من حكمة الله تعالى حتى لا يشق ذلك على المؤمنين فينفروا من الدين ذكر ذلك جملة من المفسرين كابن كثير وغيره.(١)

دراسة المسألة

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ ، و النحاة متفقون على أن إعراب ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ صفة لـ (أيام) المنصوبة ، و التي اختلف النحاة في عامل نصبها ، إلا أنهم يتفقون في كونها جمع قلة ، لأنها على وزن (أفعال) وهو أحد أوزان القلة ، وقد وصفت بكلمة ﴿معدودات﴾ مجموعة بألف و تاء زائدتين منكرة لتدل على القلة أيضاً كما يقول جمهور النحاة ، وهذا من التطابق في هذا الموضع .

قال السمين في الدر المصون :" و معدوداتٍ صفةٌ ، وجَمْعُ صفةِ ما لا يَعْقِل بالألفِ والتاءِ مُطَّرِدٌ. "(٢)

وقال أبو جعفر النحاس :" مَعْدُوداتٍ نعت لأيام إلّا أن التاء كُسرت عند البصريين لأنه جمع مُسلّم ، وعند الكوفيين لأنها غير أصلية."(٣)

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ١ / ٣٦٤

(٢) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٢ / ٢٦٩

(٣) ينظر : إعراب القرآن للنحاس . ١ / ٩٤

و قال الدرويش في إعرابها : "مَعْدُوداتٍ صفة للأيام وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم، والتنوين يفيد القلة تسهيلاً على المكلفين." (١)

و قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :" يَقُولُ تَعَالَى مُخَاطِبًا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَآمِرًا لَهُمْ بِالصِّيَامِ، وَهُوَ: الْإِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَ الْوِقَاعِ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِمَا فِيهِ مِنْ زَكَاةِ النَّفْسِ وَطَهَارَتِهَا وَتَنْقِيَتِهَا مِنَ الْأَخْلَاطِ الرَّدِيئَةِ وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ . إلى أن قال : ثُمَّ بَيَّنَ مِقْدَارَ الصَّوْمِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، لِئَلَّا يَشُقَّ عَلَى النُّفُوسِ فَتَضْعُفَ عَنْ حَمْلِهِ وَأَدَائِهِ، بَلْ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ. وَقَدْ كَانَ هَذَا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ يَصُومُونَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ. وَقَدْ رُوِي أَنَّ الصِّيَامَ كَانَ أَوَّلًا كَمَا كَانَ عَلَيْهِ الْأُمَمُ قَبْلَنَا، مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ – عَنْ مُعَاذٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَطَاءٍ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ. وَزَادَ: لَمْ يَزَلْ هَذَا مَشْرُوعًا مِنْ زَمَانِ نُوحٍ إِلَى أَنْ نَسَخ اللَّهُ ذَلِكَ بِصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ" (٢)

وقال الإمام القرطبي . رحمه الله . :﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ﴾ أَيْ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ،﴿كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وَهُمُ الْيَهُودُ- فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ- ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ. ثُمَّ نُسِخَ هَذَا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِشَهْرِ رَمَضَانَ. وَقَالَ مُعَاذُ بن جبل: نسخ ذلك ب﴿ أَيَّامٍ مَعْدُوداتٍ﴾ ثُمَّ نُسِخَتِ الْأَيَّامُ بِرَمَضَانَ ".(٣)

(١) ينظر : إعراب القرآن وبيانه ، للدرويش . ١ / ٢٦١

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ١ / ١٥٨

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن. ٢ / ٢٧٥ .

و يظهر مما سبق من أقوال النحاة والمفسرين أن كلمة ﴿معدودات﴾ في قوله تعالى :﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ... الآية ﴾ . جاءت لتدل على القلة ، موافقة لما ذكره النحاة في تقعيدهم لما جمع بألف وتاء زائدتين ؛ ثم إنها جاءت نكرة أيضا .

فقد ذكر ذلك السمين بقوله : وجَمْعُ صفةِ ما لا يَعْقِل بالألفِ والتاءِ مُطَّرِدٌ ، و زاد الدرويش الأمر إيضاحاً عندما ذكر أن التنوين في كلمة ﴿معدوداتٍ﴾ للقلة تخفيفاً على المكلفين ـ الصائمين ـ ، وهذا ما أشار إليه جمهور المفسرين حين ذكروا أن المعنى في قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ أي صيام ثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشورا كما زاده القرطبي نقلا عن ابن عباس، والثلاثة جمع قلة، و﴿معدوداتٍ﴾تدل على القلة فهذا الموضع من مواضع التطابق والاتفاق في اللفظ والمعنى . والله أعلم

الموضع الثاني :قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة ٢٠٣]

يأمر الله عباده في هذه الآية بذكره و تعظيمه بالتكبير والتهليل ، في أيام محصيات معدودات ، ثم يبين تلك الأيام و يشير إليها بقوله :﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ ، وهذا يدل على أنها أيام منى الثلاثة –أيام التشريق – التي تلي يوم النحر ، لأن الحاج فيها يكون بين حالين اثنين لا ثالث لهما إما متعجلاً ، وهو من أقام في منى يوم الحادي عشر والثاني عشر من شهر ذي الحجة ، أو متأخراً و هو من زاد على ذلك فأقام يوم الثالث عشر .

دراسة المسألة

كلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي ﴿معدوداتٍ﴾ ، وقد وقعت موقع الصفة لكلمة ﴿أيامٍ﴾ منصوبة وعلامة النصب فيها الكسرة نيابة عن الفتحة ؛لأنها مجموعة بألف و تاء زائدتين (جمع مؤنث سالم) ، وهي نكرة غير معرفة ، دالة على القلة كما يقول النحاة في هذا النوع من الجمع ، بدليل وصفها لكلمة ﴿أيامٍ﴾ التي جاءت على وزن أفعال ، وهو من أوزان جموع القلة .

قال أبو جعفر النحاس: " ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُوداتٍ ﴾ قال الكوفيون: الألف والتاء لأقل العدد، وقال البصريون: هما للقليل والكثير. قال أبو جعفر: وقد ذكرنا المعدودات والمعلومات وقول العلماء فيهما، ونشرح ذلك ها هنا فنقول: أصحّ ما قيل في المعدودات: إنها ثلاثة أيام: بعد يوم النحر، وقيل المعدودات والمعلومات واحد، وهذا غلط لقوله جل وعز: ﴿فمن تعجّل في يومين ﴾ ، والتقدير في العربية فمن تعجل في يومين منها، والمعنى في أيام معدودات لذكر الله تعالى " . (١)

قال محيي الدين درويش :"﴿مَعْدُوداتٍ﴾ صفة لأيام، وهي أيام التشريق الثلاثة ، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر وهو مذهب الشافعي،أو يوم النحر ويومان بعده وهو مذهب أبي حنيفة".(٢)

وقال أبو حيان : " والأيامُ المعدودات ثلاثةُ أيام بعد يوم النَّحر، وليس يوم النَّحر من المعدودات، هذا مذهب الشَّافعي، وأحمدَ، ومالك وأبي حنيفة، قاله: ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وإبراهيم، وقتادة، والسُّدِّيُّ، والرَّبيعُ، وَالضحاك. أو يوم النحر ويومان بعده، قاله: ابن عمر، وعليَّ، وقال: اذبح في أيها شئت، أَو يوم النحر وثلاثة أيام التَّشرِيق، قاله: المروَزِيُّ . أو أيام العشر، رواه مجاهد عن ابن عباس، قيل: وقولهم أيامُ العشر، غلطٌ من الرُّواة، وقال ابن

(١) . إعراب القرآن للنحاس . ١ / ١٠٣

(٢) . إعراب القرآن وبيانه للدرويش . ١ / ٣٠٣

عطيَّةَ: إِمَّا أَنْ يكون من تصحيف النَّسخة، وإما أن يريد الشعر الذي بعد يوم النَّحر، وفي ذلك بعد. ثم قال : واستدلَّ ابن عطيَّةَ للقول الأول وهو: أَنَّ الأيام المعدودات: أيام التَّشريق وهي الثَّلاثة بعد يوم النَّحر، وليس يومُ النَّحْر منها. بأنْ قال: ودلَّ على ذلك إجماع النَّاس على أَنَّهُ لا ينْفر أحدٌ يوم القرِّ. وهو ثاني يوم النَّحْرِ، ولو كان يومُ النَّحْرِ في المعدودات لساغ أَنْ ينفر مَنْ شاءَ متعجِّلًا يوم القَرِّ، لأنه قد أخذ يومين من المعدودات ".(١) انْتَهَى كَلَامُهُ.

وقال صاحب اللباب : " قال هنا: ﴿ أيَّام معدوداتٍ﴾ ، وفي سورة الحجِّ : ﴿وَيَذْكُرُواْ اسم الله في أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨] ، فقال أكثر أهل العلم ، الأيَّام المعلومات: عشر ذي الحجَّة، آخرهن يوم النَّحر. والمعدودات: هي أيَّام التَّشريق؛ وهي أيَّام منى، ورمي الجمار، وسمِّيت معدودات لقلَّتهن ؛ كقوله: ﴿ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ [يوسف: ٢٠] ولقوله تعالى بعده:﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ، وأجمعت الأمَّة على أنّ هذا الحكم إنّما يثبت في أيَّام منى؛ وهي أيَّام التَّشريق ".(٢)

و قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ :" قال أبو جعفر: يعني جَلّ ذكره: أذكروا الله بالتوحيد والتعظيم في أيام مُحصَيات، وهي أيام رَمي الجمار. أمر عباده يومئذ بالتكبير أدبارَ الصلوات، وعند الرمي مع كل حصاة من حَصى الجمار يرمي بها جَمرةً من الجمار ".(٣)

ثم ذكر رحمه الله أقوال أهل التأويل و أهل الحديث قائلاً : " حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله:" واذكروا الله في أيام معدودات"، قال: أيام التشريق.

حدثني محمد بن نافع البصري، قال: حدثنا غندر: قال: حدثنا شعبة، عن هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مثله.

---

(١) . ينظر البحر المحيط . ٢ / ٣١٨

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب . ٣ / ٤٤٥

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري . ٤ / ٢٠٨

حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله:" واذكروا الله في أيام معدودات"، يعني الأيام المعدودات أيامَ التشريق، وهي ثلاثة أيام بعد النحر ".(١)

و بعد أن ذكرنا أقوال النحاة والمفسرين حول قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾، وجدنا أن كلمة ﴿معدوداتٍ﴾ في هذه الآية صفة لكلمة ﴿أيامٍ﴾، و هي أيام التشريق الثلاثة ، وهو المروي عن ابن عباس ، و جاءت هذه الكلمة . معدودات . مجموعة بألف و تاء زائدتين نكرة لتدل على القلة ؛ حيث أن عدد تلك الأيام عدد قليل ، فهي ثلاثة أيام ، وهذا ما ذكره النحاس عن الكوفيين ؛ ولذلك جاءت كلمة﴿أيامٍ﴾ أيضاً جمع تكسير على وزن القلة ، و لأن كلمة (يوم) لا تجمع إلا على هذا الوزن وليس لها جمع غيره ، وحتى لا يتوهم أنها للكثير هنا ، جاء وصفها بما يؤكد قلتها ، فوصفت بكلمة﴿معدوداتٍ﴾؛ وبهذا يتضح أن كلمة ﴿ معدوداتٍ ﴾في هذا الموضع تدل على القليل لا على الكثير. و الله أعلم.

١٠ . كلمة (معلومات) وردت هذه الكلمة دالة على القلة في موضعين من كتاب الله تعالى ، وسوف أتناولهما بالبحث والدراسة .

١ . قال تعالى :﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة ١٩٧]

تبين هذه الآية الكريمة أن الْحَجَّ واقع في ﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ عند المخاطبين، مشهورات ، بحيث لا تحتاج إلى تخصيص ، كما احتاج الصيام إلى تعيين شهره ، وكما بين تعالى أوقات

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري . ٤ / ٢٠٨

الصلوات الخمس. فقد كان الحج من ملة إبراهيم ، التي لم تزل مستمرة في ذريته معروفة بينهم.[1]

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿مَعْلُومَاتٌ﴾ ، و هي جمع بألف و تاء زائدتين لكلمة (معلومة) ، نكرة دالة على القلة كما يقول جمهور النحاة ؛ إذ هي صفة لكلمة ﴿أَشْهُرٌ﴾ و التي هي جمع قلة على (أفعال)؛ بدليل قوله: ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ ﴾ ، فالضمير (هن) يعود على الأشهر ، و ضمير الإناث يعود على ما هو للقلة ، بخلاف ضمير المفرد فهو يعود على الكثرة . قال السمين : " والضميرُ في (فيهن) يعودُ على (أشهر) ، وجيء به كضمير الإناث لما تَقَدَّم مِنْ أَنَّ جمعَ غير العاقلِ في القلَّةِ يُعامَل معاملةَ جمْعِ الإناثِ على الأفصحِ ، فلذلك جاء (فيهنَّ) دونَ (فيها) ، وهذا بخلافِ قولِهِ:﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة: ٣٦] . لأنه هناك جمعُ كثرة ".[2]

و ذكر الإمام الشوكاني اختلاف العلماء في هذه الأشهر ، وأنهم على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول : أن أشهر الحج هي شوال و وذو القعدة وذو الحجة ، قال به : ابن مسعود، و ابن عمر و عطاء والربيع و مجاهد .

المذهب الثاني :أن أشهر الحج شوال و ذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، قال به ابن عباس و السدي و الشعبي و النخعي .

و المذهب الثالث : على أن أشهر الحج كل أشهر السنة ، و إنما نص على الثلاثة الأشهر لبيان فضلها ، و احتجوا بقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ فجعل الأهلة كلها مواقيت للحج ، رُوي ذلك عن مالك و أبي حنيفة و إسحاق بن راهويه ،

(١) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . ١ / ٩١

(٢) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٢ / ٣٢٢

و يجاب على أصحاب هذا الرأي : بأن هذه الآية عامة و تلك آية خاصة و الخاص مقدم على العام .

ثم قال الشوكاني :" والحق ما ذهب إليه أهل المذهب الأول ؛ إن كانت الأشهر المذكورة في قوله تعالى :﴿الحَجُ أشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ هي المختصة بالثلاثة المذكورة بنص أو إجماع ، فإن لم يكن كذلك فالأشهر جمع شهر ، وهو جمع قلة ، والقلة ما بين الثلاثة إلى العشرة ، والثلاثة هي المتيقنة فيجب الوقوف عليها ".(١)

و قال ابن عاشور : الأشهر المقصودة هي شوال و ذو القعدة و ذو الحجة لا غير ، و إنما اختلفوا في أنَّ ذا الحجة كله شهر ، أو العشر الأوائل منه ، أو التسع فقط ، أو الثلاثة عشر منه ، فقال بالأول ابن مسعود و ابن عمر و الزهري ، و قال بالثاني ابن عباس و السدي و أبو حنيفة . و قال بالثالث الشافعي ، و الرابع ذكره ابن الحاجب عن ابن مالك في المختصر . وإطلاق الشهر على الشهرين أو على بعض الشهر ، مخرَّج على إطلاق الجمع على الاثنين ، أو على أن الدخول في الشهر أو السنة كاستكماله عند العرب ، كما قالوا : ابن سنتين لمن دخل في الثانية . (٢)

ومما سبق ذكره نجد أن كلمة ﴿مَعْلُومَاتٌ﴾ في الآية السابقة ، جاءت دالة على القلة؛ إذ هي صفة لـ ﴿أَشْهُرٌ﴾ و الذي هو من جموع القلة . و يعضد هذا القول عود الضمير (هن) عليها في قوله : ﴿ فمن فرض فيهن ﴾ ، و هو ما أشار إليه السمين الحلبي في الدر المصون كما ذكرنا آنفا .

و الله أعلم .

(١) ينظر : فتح القدير . ١ / ٢٣٠

(٢) ينظر: التحرير والتنوير . ٢ / ٢٣٢

٢ . قال تعالى:﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ [الحج آية ٢٨]

بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى خليله إبراهيم عليه السلام ، أن يؤذن في الناس بالحج ، بين سبحانه وتعالى المنافع التي يكتسبها العباد أثناء خروجهم لأداء هذه الشعيرة ،وهي منافع في الدنيا و منافع في الآخرة . قال الألوسي:" منافع في الدنيا ومنافع في الآخرة فأما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى وأما منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم البدن في ذلك اليوم والذبائح والتجارات". (١) و قال العز بن عبد السلام :" ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ﴾ شهود المواقف وقضاء المناسك، أو المغفرة، أو التجارة في الدنيا والأجر في الآخرة ، و﴿مَّعْلُومَاتٍ﴾ عشر ذي الحجة أخرها يوم النحر ، أو أيام التشريق ، أو يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر . " (٢)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿مَعْلُومَاتٍ﴾ ، وهي جمع بألف و تاء زائدتين لكلمة (معلومة) ، وهي كذلك في محل جر صفة لـ (أيام) و التي هي من جموع القلة على وزن (أفعال) ، و بهذا تكون كلمة ﴿مَعْلُومَاتٍ﴾ في هذه الآية جاءت لتدل على القلة ؛ لأن الأيام جمع قلة؛ إذ هي أيام العشر أو أيام التشريق أو يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر ، وكل ذلك من أعداد القلة.

قال أبو حيان :"و الأيام المعلومات أيام العشر و هو قول ابن عباس و الحسن و إبراهيم و قتادة و أبي حنيفة ،و المعدودات أيام التشريق الثلاثة . وذكر قولاً آخرا نسبه إلى مالك وهو : أن المعلومات يوم النحر و يومان بعده ، والمعدودات أيام التشريق ، فيوم النحر معلوم لا معدود ، وأيام التشريق معدودة لا معلومة " . (٣)

(١) ينظر : روح المعاني . ٩ / ١٣٨

(٢) ينظر : تفسير القرآن ، للعز بن عبد السلام . / ٣٥١

(٣) ينظر : البحر المحيط . ٧ / ٢٠٥

مما سبق نجد أن كلمة ﴿مَّعْلُومَاتٍ﴾ في الآية الثامنة والعشرين من سورة الحج ، جاءت دالة على القلة ؛ إذ هي صفة لجمع من جموع القلة و هو كلمة (أيام) ، فإن قال قائل فما فائدتها إن كانت كلمة (أيام) تدل على القلة بلفظها ؟ قلنا إن (أيام) جمعٌ لـ (يوم) ، و إنه لم يجمع على غيرها في العربية ، فهو جمع للقليل والكثير على حد سواء ، وحتى لا ينصرف الذهن إلى أن المراد الكثير دون القليل ؛ ولأن الأيام المعنية هي أيام العشر ، أو يوم النحر و أيام التشريق كما ذكر العلماء آنفاً ، والتي هي داخلة في القلة من حيث عددها ، لذا وصفت كلمة (أيامٍ) و التي يستوي فيها القليل مع الكثير بكلمة ﴿مَّعْلُومَاتٍ﴾ لتثبتَ قلتها ؛ إذ جاءت مجموعة بألف وتاء زائدتين نكرة على قاعدة النحاة . و الله أعلم.

١١. كلمة (نَحِسات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في موضع واحد من كتاب الله.وذلك في قوله تعالى :﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ} [فصلت ١٦] .

يذكر الله سبحانه و تعالى في هذه الآية الكريمة ، ما فعله بقوم عاد عليه السلام ، وذلك لما استكبروا في الأرض و عتوا و أعجبوا بقوتهم و بطشهم ، و جحدوا بآيات الله ، فعاقبهم الله بأن أرسل عليهم ريحا صرصرا ، في أيام نحسات . قال بعض المفسرين : ريحا باردة ، وقال بعضهم شديدة ذات صوت مزعج ، و الحق ما ذكره ابن كثير رحمه الله : أنها حملت كل صفات العذاب، فهي ريحٌ شديدة باردة مزعجة ،لذلك وصفت في موضع آخر بقوله سبحانه:﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة ٦]. (١)

(١) ينظر: تفسير ابن كثير. ٧ / ١٦٩

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في الآية السابقة هي كلمة ﴿نَحِسَاتٍ﴾و هي جمع بألف وتاء زائدتين لكلمة (نحسة) بكسر الحاء ، ذكر ذلك الألوسي .[1] و قد وقعت في موضع جر صفة لكلمة ﴿ أيامٍ ﴾ .[2] و كلمة (أيامٍ) جمع قلة على وزن (أفعال) ، لذلك جاء وصفها ، بكلمة ﴿نَحِسَاتٍ﴾ لتدل على القلة ؛ إذ هي مجموعة بألف وتاء زائدتين نكرة غير معرفة و لا مضافة ، وهذا موافق لما ذكره النحاة بأن ما جمع بألف وتاء زائدتين هو من جموع القلة .

قال أبو حيان في تفسير هذه الآية : " و نحساتٍ صفةٌ لأيام جمع بألفٍ وتاءٍ، لأنَّه جمع صفةٍ لما لا يعقل. قال مجاهدٌ ، و قتادةُ، و السَّدِّيُّ : مشائيمُ من النَّحسِ المعروف. وقالَ الضَّحَّاكُ: شديدة البرد، وحتَّى كان البرد عذابًا لهم. و أنشد الأَصمعيُّ في النَّحس بمعنى البرد:

كَأَنَّ سُلَافَةً عَرَضَتْ بِنَحْسٍ ... يَخِيلُ شَقِيقُهَا الْمَاءَ الزُّلَالَا

وقيل: سُميت بذلك لأَنَّها ذات غبارٍ، ومنه قول الرَّاجز:

قَدْ أَغْتَدِي قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ... لِلصَّيْدِ فِي يَوْمٍ قَلِيلِ النَّحْسِ .

يريد: قليل الغبار. وقال ابن عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ: متتابعاتٍ كانت آخر شوَّالٍ من أربعاءَ إلى أربعاءَ. وقال السُّدِّيُّ: أولها غداة يوم الأحد. وقال الرَّبيع بن أنسٍ: يوم الجمعة. وقال يحيى بن سلامٍ: يوم الأحد". [3]

و قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ : " وَقَوْلُهُ: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ أَيْ: مُتَتَابِعَاتٍ ، ومنه قوله:﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الْحَاقَّةِ: ٧] ، كَقَوْلِهِ:

---

(١) ينظر: ورح المعاني . ١٢ / ٣٦٥

(٢) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٩ / ٥١٩

(٣) ينظر : البحر المحيط ٩ / ٢٩

﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [الْقَمَرِ: ١٩] ، أَيِ: ابْتُدِئُوا بِهَذَا الْعَذَابِ فِي يَوْمِ نَحْسٍ عَلَيْهِمْ ، وَاسْتَمَرَّ بِهِمْ هَذَا النَّحْسُ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَبَادَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ ". (١)

و مما سبق من أقوال النحاة والمفسرين حول الآية السابقة ؛ نجد أن كلمة﴿نَحِسَاتٍ﴾ المجموعة بألف وتاء زائدتين قد جاءت في هذا الموضع دالة على القلة ؛ إذ وقعت صفة مجرورة لكلمة (أيام) ، و التي هي على وزن (أفعال) و هو وزن من أوزان جموع القلة ، و لأن كلمة (يوم) لا تجمع إلا على (أيام) ، فهي في حال الكثرة والقلة سواء ، و حتى لا يفهم منها الكثرة وصفت بـ ﴿ نَحِسَاتٍ ﴾ لتكسبها القلة ، لأن الأيام التي وقع فيها العذاب على قوم عاد كانت ثمانية أيام كما قال تعالى في سورة الحاقة :﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾(٢)

و قد ذكر ابن كثير رحمه الله كم أسلفنا أن النحس استمر بهم سبع ليالٍ ، وبهذا تكون كلمة ﴿ نَحِسَاتٍ ﴾ في هذا الموضع جاءت للدلالة على القلة ، مطردة مع قاعدة النحاة.

و الله أعلم .

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٧ / ١٦٩

(٢) ينظر : سورة الحاقة الآية (٧) .

المبحث الثاني : ما جُمع بألف وتاء زائدتين دالاً على الكثرة

في هذا المبحث من هذا الفصل سأورد الكلمات المجموعة بألف وتاء زائدتين ، و التي وردت في القرآن الكريم دالة على الكثرة ، كونها معرفة بـ (أل) الاستغراقية أو مضافة إلى ما يدل على الكثرة ،وذلك على قاعدة النحاة ، و سوف أورد تلك الكلمات مرتبة على الترتيب الهجائي على النحو الآتي:

أولاً : ما جُمع بألفٍ وتاء زائدتين دالاً على الكثرة. و جاء معرفاً بـ (أل) التي للاستغراق .

١ . كلمة (الأمانات) وردت هذه الكلمة معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في موضعٍ واحد من كتاب الله تعالى .

وقد جاءت في محل نصب مفعول به للفعل (تؤدوا) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمَ بيْن النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ الله فَنِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء ٥٨]

يخبر تعالى أنَّه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وفي حديث الحسن، عن سَمُرَةَ، أنَّ رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلم قال: "أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ".(١) وهذا يعمُّ جميعَ الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق اللَّه، عزَّ وجل على عباده من الصَّلوات ، والزَّكوات، والكفَّارات والنُّذور والصِّيام، وغير ذلك، ممَّا هو مؤتمن عليه لا يطَّلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك ممَّا يأتمنون به .(٢) فأمر اللَّه، عزَّ

(١) ينظر: الجامع الكبير – سنن الترمذي . برقم (١٢٦٤)

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٢ / ٣٣٨

وجلَّ، بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدُّنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة، كما ثبت في الحديث الصَّحيح أنَّ رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم قال: "لَتُؤَدَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا، حَتَّى يُقْتَصَّ لِلشَّاةِ الْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ"(١)

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿الْأَمَانَاتِ﴾، و هي جمع بألف وتاء لكلمة (أمانة)، و قد جاءت معرفة بـ (أل) لتدل على العموم، وهذا ما اشترطه النحاة في دلالة هذا النوع من الجموع على العموم والكثرة، وقد وقع الخلاف بين أئمة التفسير في سبب نزول هذه الآية، ومن هو المخاطب فيها، فقيل: إنها نزلت في قصة سادنَي الكعبة (عثمان بن طلحة و ابن عمه شيبة بن عثمان)، و ذلك أن رسول صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة أخذ مفتاح الكعبة منهما، فقال العباس اجعله لي مع السقاية يا رسول الله .فنزلت الآية، فردَّ عليه الصلاة و السلام المفتاح إليهما، وأسلم عثمان. وقال الرَّسول صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: (خُذُوهَا يَا بَنِي طَلْحَةَ خَالِدَةً تَالِدَةً لَا يَأْخُذُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ) . رواه أبو صالحٍ عن ابن عبَّاس، وقاله: مجاهد والزُّهريُّ وابن جُرَيجٍ ومُقاتل. و قيل: نزلت في الأمراء أن يؤَدُّوا الأمانة فيما ائتمنهم اللَّه من أمر رعيته. وقيل: نزلت عامة، وهو مروي عن: أُبي، وابن عبَّاس، والحسن، وقتادة. (٢) وهذا هو الصواب والعلم عند الله .

قال الطاهر ابن عاشور :" وَالْخِطَابُ فِي الآية لِكُلِّ مَنْ يَصْلُحُ لِتَلَقِّي هَذَا الْخِطَابَ وَالْعَمَلِ بِهِ مِنْ كُلِّ مُؤْتَمَنٍ عَلَى شَيْءٍ، وَمِنْ كُلِّ مَنْ تَوَلَّى الْحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحُقُوق".(٣)

(١) ينظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ج : ٥ رقم:(٢٥٨٢).
(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان . ٣ / ٦٨٤
(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور . ٥ / ٩١

و مما سبق من أقوال المفسرين حول توجيه الخطاب في الآية، وأيّا ما كان فالخطاب يعم كل أحد- كما أن الأمانات، وهي جمع أمانة مصدر سمي به المفعول- تعمُّ الحقوق المتعلقة بالذمم من حقوق الله تعالى، وحقوق العباد، سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية، وعموم الحكم لا ينافي خصوص السبب، وقد روي ما يدل على العموم عن ابن عباس وأبيّ وابن مسعود، و عليه فإن كلمة ﴿الْأَمَانَاتِ﴾ جمع بألف وتاء دالٌ على الكثرة ؛ لدخول (أل) التعريفية عليه، وهذا يوافق و يطرد مع ما قعَّد له جمهور النحاة في دالة جمع القلة على الكثرة .

و الله أعلم.

٢ .كلمة (الآيات) وردت هذه الكلمة معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في ثلاثة وثلاثين موضعاً من كتاب الله ، و سوف أتناول موضعاً واحداً من تلك المواضع بالبحث والدراسة ، ثم ما يجري عليه من أقوال يمكن القول بها على بقية الآيات ، و موضع الدراسة هو:

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة ١١٨]

اختلف أهل التأويل فيمن عَنى الله بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ ، فقال بعضهم: عَنى بذلك النصارى. وقال آخرون: بل عَنى الله بذلك اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال آخرون: بل عَنى بذلك مشركي العرب، وعن ابن عبَّاسٍ، قال: قال رافع بن حريملة لرسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: يا محمَّد، إن كنت رسولًا من اللَّه كما تقول، فقل للَّه فليكلمنا حتَّى نسمع كلامه. فأنزل اللَّه في ذلك قوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾،وقال أبو العالية، والرَّبيع بْن أنسٍ، وقتادة،

والسُّدِّيُّ في تفسير هذه الآية: هذا قول كفَّار العرب ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ قالوا: هم اليهود والنَّصارى.(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية هنا بالدراسة هي ﴿الْآيَاتِ﴾ جمع بألف وتاء لكلمة (آية) معرفة بـ (أل) لتدل على الكثرة على قاعدة النحاة في جمع القلة . حيث إن الآية جاءت كما ذكرنا سابقا رداً على المتعنتين من الذين لا يعلمون، وذلك حين طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهن بآية تجعلهم يؤمنون بنبوته، وذلك على سبيل التَّعنُّت؛ لأنه قد تقدم مجيء الآيات الواضحات البينات التي لا لبس فيها ولا شبهة، لذلك قال تعالى:﴿ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ ﴾، قال أبو حيان :" وفي جمع الآيات ردٌّ على من اقترح آيةً، إذ الآيات قد بُيِّنَت، فلم تكن آيةً واحدةً، فيمكن أن يدَّعى الالتباس فيها، بل ذلك جمع آياتٍ بيِّنات، لكن لا ينتفع بها إلَّا من كان من أهل العلم والتَّبصُّر واليقين".(٢)

و قد جاءت كلمة ﴿الْآيَاتِ﴾ مفعولاً به للفعل (بينا) وتبيين الآيات هو ما جاء من القرآن المعجز للبشر الَّذي تحدَّاهما الله به فلم يستطيعوا الإتيان بمثله، فالمعنَى قد بيَّنَّا الآيات لقومٍ من شأنهم أن يوقنوا ولا يشكِّكوا أنفسهم أو يعرضوا؛ وجيء بالفعل المضارع في ختام الآية ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ لدلالته على التَّجدُّد والاستمرار كنايةً عن كون الآيات كثيرة لمن أراد أن يتيقن . وقيل: قوله: ﴿ قَدْ بَيَّنَّا الآيات لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ يعنى القرآن وغيره من المعجزات كمجيء

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ١ / ٣٩٩

(٢) ينظر : البحر المحيط . لأبي حيان . ١ / ٥٨٨

الشجرة، وكلام الذِّئْب، وإشباع الخَلق الكثير من الطعام القليل، آيات قاهرةٌ، ومعجزات باهرة لمن كان طالباً لليقين.(١)

و عليه ومما سبق من الأقوال يتضح أن كلمة ﴿الْآيَاتِ﴾ في هذا الموضع جاءت دالة على الكثرة؛ إذ عُني بها آيات القرآن والمعجزات الباهرات، وهي كثيرة لا يقال بقلتها ؛ لذلك جاءت كلمة ﴿الْآيَاتِ﴾ معرفة بـ (أل) لتدل على الكثرة على قاعدة النحاة. والله أعلم .....

٣ . كلمة (الثمرات) وردت هذه الكلمة معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في اثني عشر موضعاً من كتاب الله، وقد جاءت في تلك المواضع كلها في محل جر، إلا أنها جرت بحرف الجر في ستة منها، و جُرَّت بالإضافة إلى كلمة (كل) في الستة المواضع الأخرى، كما أن كلمة (الثمرات) جاءت في أحد عشر موضعاً من تلك المواضع يقصد بها ثمار الأرض التي أخرجها الله لخلقة، و جاءت في موضع واحد في سورة محمد ويقصد بها ثمار الجنة التي وعد الله بها عباده و سوف أتناول موضعا واحد لكل نوع من تلك المواضع بالبحث والدراسة، ثم ما يجري عليه من أقوال يمكن القول بها على بقية الآيات، و مواضع الدراسة هي :

أولاً: المواضع التي جاءت فيها كلمة (الثمرات) و يقصد بها ثمار الأرض . و منها:

١ . قال تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة ٢٢]

تبين هذه الآية أن الله تعالى ذكره أنزل على خلقه من السماء ماءً، فأخرج بذلك الماء مما أنبته في الأرض من زرعهم وغَرْسهم ثمرات ؛ لتكون رزقًا لهم، غذاءً وأقواتًا. و هو بذلك ينبههم

(١) ينظر : اللباب في علوم الكتاب . ٢ / ٤٣٤

على قدرته وسُلطانه، ويذكرهم بآلائه ونعمه، وأنه هو الذي خلقهم، وهو الذي يَرزقهم ويكفُلُهم، دون من جعلوه له نِدًّا وعِدْلا من الأوثان والآلهة.(١)

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿الثَّمَرَاتِ﴾ و هي جمع بألف وتاء لكلمة (ثمرة) .ويُقالُ: ثَمَرٌ مثل شَجَرٍ. ويُقالُ ثُمُرٌ مثل خُشُبٍ. ويُقالُ: ثُمْرٌ مثل بُدْنٌ. وَثِمَارٌ مثل إِكَامٍ جمع ثَمَرٍ.(٢) و قد جاءت معرفة بـ (أل) غير العهدية و التي هي للجنس و تفيد الاستغراق ويقصد بها العموم، وقد رد أبو حيان بهذا القول على الزمخشري عندما قال :أنّ الثمر المخرج بالماء كثير، و ﴿الثَّمَرَاتِ﴾ جمع قلة، فلماذا لم يأت بالثمر والثمار و علل لذلك أن الجموع يتعاور بعضها وهذا نص كلام أبي حيان: " وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي الثَّمَرَاتِ لِتَعْرِيفِ الْجِنْسِ وَجُمِعَ لِاخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ وَ لَا ضَرُورَةَ تَدْعُو إِلَى ارْتِكَابِ أَنَّ الثَّمَرَاتِ مِنْ بَابِ الْجُمُوعِ الَّتِي يَتَفَاوَتُ بَعْضُهَا مَوْضِعَ بَعْضٍ لِالْتِقَائِهِمَا فِي الْجَمْعِيَّةِ، نَحْوُ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ ﴾ و نحو ﴿ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾، فَقَامَتِ الثَّمَرَاتُ مَقَامَ الثَّمَرِ أَوِ الثِّمَارِ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الزَّمَخْشَرِيُّ، لِأَنَّ هَذَا مِنَ الْجَمْعِ الْمُحَلَّى بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ، فَهُوَ وإن كان جمع قلة، فَإِنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ الَّتِي لِلْعُمُومِ تَنْقِلُهُ مِنَ الِاخْتِصَاصِ لِجَمْعِ الْقِلَّةِ لِلْعُمُومِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الثَّمَرَاتِ وَالثِّمَارِ، إِذِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ لِلِاسْتِغْرَاقِ فِيهِمَا ".(٣) و (مِنْ) في قوله: ﴿ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ للبعضية، و قيل لبيان النوع، وقيل زائدة، ولم يقل بزيادتها من النحويين سوى الأخفش، وهو رأي بعيد من وجهين: أحدهما أن المجرور بها معرفة، والثاني: كون المعنى بها زائدة أن جميع الثمرات رزقا لنا ؛ وهذا يخالف الواقعَ، إذ كثيرٌ من الثمرات ليس رزقاً، و جعلها الزمخشري لبيان النوع، و فيه نظر إذ لم يتقدَّمْ في الآية ما يبيِّنُ

(١) ينظر: تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري . ١ / ٣٦٧
(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . ٢ / ٦٠٥
(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط . ١ / ١٦٠

هذا .[1] و الصواب أنها للبعضية، و يعضد هذا القول مجيء كلمتي (ماء، و رزقا) في الآية منكرتين، حيث قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل: وأنزلنا من السماء بعض الماء، فأخرجنا به بعض الثمرات ؛ ليكون بعض رزقكم. وهذا هو المطابق لصحة المعنى، لأنه لم ينزل من السماء الماء كله، ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات، ولا جعل الرزق في الثمرات كلها. و الله أعلم.

كما أن في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾[النحل ٦٩]. نجد أن الله سبحانه أوحى إلى النحل و ألهمه أن يأكل من كل الثمرات، و(مِنْ) للتبعيض، أي كلي جزءاً أو شيئا من كل الثمرات.[2] إذ ليس من المعقول أن تأكل من الثمرات كلها، بل تأكل من الأشجار الطيِّبة والأوراق العطرة الشيء الذي يجعلها تلد من أجوافها عسلًا . و نقل عن ابن الخطيب قوله: أن الله سبحانه يُنَزِلُ في الليل طَّلاً لطيفاً فيقع على أوراق الأشجار وثمارها، فيلتقطه النحل بإلهام من الله فيتغذى عليه، و يدخر منه في مسكنه، فإذا اجتمع في بيوتها من تلك الأجزاءِ الطلِّية شيءٌ كثير ؛ أصبح عسلاً، وعلى هذا القول فإن (مِنْ) هنا للابتداء و ليست للتبعيض .[3]

و مما سبق فإن كلمة ﴿الثَّمَرَاتِ﴾ فيما سبق جاءت تفيد الكثرة، إذ إن الثمر الخارج من الأرض كثير، والرزق لنا في بعض منه، كما أن النحل أيضاً لا يأكل من كل ثمرات الأرض بل من طيبها و بعضها، إذ هي كثيرة فيها ما هو طيب و ما هو غير ذلك، إلا أن الطيب كثير؛ لذا أشار إلى كثرة الرزق بقوله:﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ ليفيد الكثرة ،كقوله تعالى:﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، أو من كل الثمرات المشتهاة عندك من حلوها وحامضها ومرها وغير ذلك، فهو

(١) ينظر: تفسير الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ١ / ١٩٣

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .٢٠ / ٤٠٦

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب . ١٢ / ١١٢

عام مخصوص.[1] وعليه فقد جاءت كلمة ﴿الثَّمَرَاتِ﴾ على قاعدة النحاة، معرفة بـ (أل) الاستغراقية دالةً على الكثرة هنا . و الله أعلم ....

ثانياً: المواضع الذي جاءت فيها كلمة (الثمرات) و يقصد بها ثمار الجنة و منها:

قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [محمد ١٥]

بعد أن فرغ سبحانه وتعالى من توصيفِ حالِ فريقي الإيمان والكفر، جاءت هذه الآية الكريمة تبين، شيئاً ممَّا أعدَّه لعباده في الجنَّة التي وُعِد المتقون، وخص من ذلك بيان أنواع الأنهار، حتى لا ينصرف الذهن إلى أنهار الماء دون غيرها .[2]

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية هنا بالدراسة هي ﴿الثَّمَرَاتِ﴾ جمع (ثمرة) كما تقدم، و المقصود بها هنا ثمرات الجنة التي أعدها الله لعبادة المتقين، ولا يقول عاقل بقلتها، فهي هنا دالة على الكثرة، والتعريف فيها للاستغراق في العموم، و في إعراب قوله:﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ وجهان، أحدهما: أن هذا الجارَّ صفةٌ لمبتدأ محذوف خبرُه الجارُّ و المجرور قبلَه وهو ﴿لَهُمْ﴾ و التقدير: ولهم فيها زوجان مِنْ كلِّ الثمراتِ، ومنه قولة تعالى:﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾[الرحمن: ٥٢]،

(١) ينظر: روح البيان . ٥ / ٥١

(٢) ينظر: التحرير والتنوير . ٢٦ / ٩٤

وهناك من قدره بـ (أنواع) و (أصناف) . و الثاني: أن: (مِنْ) زائدة في المبتدأ للتأكيد، والتقدير: (ولهم فيها كل الثمرات).[1]

و قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾: أي أَصنافٌ من جميعِ أجناسِ الثَّمراتِ، و إن التعريفُ في الثَّمراتِ للجنسِ، و إن (كل) مستعملةٌ على حقيقتها وهي هنا للإحاطة، أي جميع ما خلق اللَّه من الثَّمرات ممَّا علموه في الدنيا وما لم يعلموه ممَّا خلقه اللَّه للجنَّة.[2] و قيل أيضاً: ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ أي صنف من كل الثمرات على وجهٍ لا حاجة معه إلى قلة ولا انقطاع. [3] و قيل: من جميع الثمرات التي تكون على الأشجار .[4]

و مما سبق نجد أن كلمة ﴿الثَّمَرَاتِ﴾ في الآية السابقة جاءت دالة على الكثرة، إذ المقصود بها ثمار الجنة و هي كثيرة لا حصر لها ؛ فقد أعدها الله لعباده المتقين، وهو سبحانه أكرم وأجل من أن يقدم القليل لعباده . كما أن الكثرة في كلمة ﴿الثَّمَرَاتِ﴾ نجدها واضحة في كلام النحاة، سواء الذين قالوا: إن قوله تعالى:﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ صفة لمبتدأ محذوف تقديره (زوجان أو أنواع أو أصناف)، حيث أنهم قدروا بنكرات و النكرة تدل على العموم، والعموم داخل في الكثير، أو الذين قالوا :إن (مِن) زائدة للتأكيد، حيث إنهم أرادوا تأكيد كلمة (كل) و التي تفيد العموم، و عمومها أيضاً داخل في الكثرة . والله أعلم .....

(١) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٩ /٦٩٤، و تفسير روح المعاني للألوسي . ١٣ / ٢٠٥، إعراب القرآن وبيانه . ٩ / ٢٠٨

(٢) ينظر: التحرير و التنوير لابن عاشور . ٢٦ / ٩٧

(٣) ينظر: تفسير روح البيان . ٨ / ٥٠٨

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري . ٢٢ / ١٦٨

٤ . كلمة (الحسنات) وردت هذه الكلمة معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله تعالى .

قال تعالى:﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف ١٦٨]

هذه الآية تتحدث عن بني إسرائيل، حيث يذكر الله سبحانه أنه فُرِّقهم في الأرض أمماً أي طوائف و فرق، ثم اختبرهم و امتحنهم بالحسنات و السيئات ليميز الصالح من المفسد، ولعلهم يرجعون إليه و يتوبون، وذلك بعد أن خالفوا أمر ربهم و اعتدوا على محارمه، وذلك في قصة الذين اعتدوا في السبت . (١)

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿الْحَسَنَاتِ﴾، وهي جمع بألف و تاء زائدتين لكلمة(حسنة)، و قد جاءت مجرورة بالباء، وهي تفيد الكثرة ؛ إذ هي معرفة بـ (أل) غير العهدية و التي تدخلها في العموم والكثرة . قال المفسرون: "وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون". أي: اختبرناهم بالرخاء في العيش، والخفض في الدنيا والدعة، والسعة في الرزق .(٢) و قيل: أي بالخصب و العافية. (٣) و قيل: بالنعم والنقم .(٤) و قيل: أي واختبرناهم بالشدة والرخاء والخصب والجدب. (٥) و ذكر ابن عاشور أن قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ أي: اختبرناهم بما يظهر أحوالهم المختلف في الصبر و الشكر، و الجزع

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٣ / ٤٩٣

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن . ١٣ / ٢٠٩ . و البحر المحيط لأبي حيان. ٥/ ٢١٠

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن . ٧ /٣١٠

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل . ٢ / ١٧٣

(٥) ينظر: معاني القرآن للنحاس . ٣ / ٩٨

و الكفر، بسبب الحسنات و السيئات، والحسنات جمع حسنة، بمعنى التي تحسُنُ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ﴾ و على هذا تكون ﴿الْحَسَنَاتِ﴾ من فعل الله، أي التي تحسن لفريق الصالحين والسيئات التي تسوء غيرهم، وهذا مناسب لتوزيع الحال من الضمير في ﴿بَلَوْنَاهُمْ﴾.(١)

و مما سبق ذكره نجد أن كلمة ﴿الْحَسَنَاتِ﴾ في الآية السابقة، جاءت معرفة بـ (أل) و التي هي للجنس ؛ لتكون دالة على الكثرة، كما يذكر التقعيد النحوي، كما أن تأويلات المفسرين تشير إلى معنى الكثرة، فالرخاء في العيش و السعة في الرزق، والنعم و الخصب، كلها أسماء جنس تدل على الكثرة والعموم، فالرخاء في العيش مثلاً يقتضي الراحة و الطمأنينة في المأكل والمشرب و الملبس والمسكن وكل أمور الحياة، وكذلك الحال عندما تؤول ﴿الْحَسَنَاتِ﴾ بالسعة في الرزق، أو بالنعم، أو بالخصب . ثم إن ابن عاشور ذكر إن الحسنات من فعل الله أي ثوابا من عنده سبحانه للصالحين و امتحاناً لهم، ولا يقول أحد أن ثواب الله قليل معدود .

فإن قال قائل: إن الأمور التي ذكرها المفسرون محدودة بـ (الرخاء، والسعة في الرزق و النعم و الخصب) و هي قلة في عددها، فالجواب: أن هذه الأمور عامة، جعلها الله لعباده الصالحين من بني إسرائيل ليختبرهم بها، فكل واحد منهم داخل فيها، و هم كثير فكثرت لكثرتهم و اشتراكهم فيها، ويدل على ما نقوله ؛ الضمير في قوله: ﴿بَلَوْنَاهُمْ﴾ .

لذا جاءت كلمة ﴿الْحَسَنَاتِ﴾ معرفة بـ (أل) غير العهدية والتي هي للاستغراق؛ لتدل على الكثرة على قاعدة النحاة . و الله أعلم ....

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور . ٩ / ١٥٨

٥ . كلمة (الخيرات) وردت هذه الكلمة معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في تسعة مواضع من كتاب الله، وقد جاءت في ستة مواضع منها في محل جر، وفي موضعين في محل نصب مفعول به، و جاءت في محل رفعٍ في موضعٍ واحد . و سأتناول بالبحث والدراسة الآيات التي وقعت فيها اختلافات نحوية وتفسيرية بين العلماء، و ما يقال حولها يمكن القول به على بقية الآيات، و مواضع الدراسة هي :

أولاً: من المواضع التي جاءت فيها كلمة (الخيرات) في محل جر:

١ . قال تعالى: ﴿ لَيْسُو اسَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران ١١٣ ـ ١١٤]

المشهورُ عن كثيرٍ من المفسِّرين –كما ذكره محمَّد بن إسحاق وغيره، ورواه العوفيّ عن ابن عبَّاس–أنَّ هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب، كعبد اللَّه بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وغيرهم، أيْ: لا يستوِي من تقدَّم ذكرهم بالذم من أهلِ الكتابِ وهؤلاءِ الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ أي: ليسوا كلُّهم على حد سواءٍ، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم، ولهذا قال تعالى: ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ أي: قائمةٌ بأمرِ اللَّه، مطيعةٌ لشرعه متبعة لنبيَّه.(١)

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي ﴿الْخَيْرَاتِ﴾، وهي جمع: خيرة، وفيها احتمالان: أحدهما: أن تكون مخففة من (خَيِّرة) بالتشديد بوزن (فَيْعِلة) نحو: مَيْت في

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٢ / ١٠٥

مَيِّت. والثاني: أن تكون غير مخففة، بل تثبت على (فَعْلَة) بوزن (جفْنَة)، يقال: رجل خير وامرأة خير، وعلى كلا التقديرين فليسا للتفضيل.(١)وهو جمعٌ بالألفِ والتاءِ على خلافِ القياسِ مثلُ سرادقات وحمَّاماتٍ واصطبلاتٍ. ومنه قوله تعالى:﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسانٌ﴾[الرَّحْمَن: ٧٠].(٢)

وقد جاءت كلمة ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ في موقع جر بحرف الجر، و الجارو المجرور متعلقان بالفعل ﴿يُسَارِعُونَ﴾، ومعنى يُسارعون في الخيراتِ يسارعون إليها أي يرغبون في الاستكثارِ منها، والمسارعةُ مستعارة للاستكثارِ من الفعل، والمبادرة إليه، تشبيها للاستِكثار والاعتناء بالسَّير السَّريع لبلوغ المطلوب.(٣)

وعليه فإن كلمة ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ في الآية جاءت لتدل على الكثرة، معرفة بـ (أل) على قاعدة النحاة ؛بدلالة الفعل﴿يُسَارِعُونَ﴾، والذي جاء للاستكثار كما ذُكر سابقاً، كما أن الفعل جاء بصيغة المضارع و الذي يدل على التجدد و الاستمرار، وذلك لفرط الرغبة في الخيرات، لأن من رغب في أمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي . و الله أعلم.

٢ . قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء٧٣]

تبين هذه الآية بعد أن ذكر الله تعالى فضله على خليله إبراهيم، أنَّه سلَّمه من نار قومه وأخرجه من بين أظهرهم مهاجرا إلى بلاد الشَّام . و وهب له إسحاق و يعقوب و أصلحهما

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب . ٣ / ٥٩

(٢) ينظر: التحرير و التنوير لابن عاشور . ١٧ / ١٣٦

(٣) ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور .٤٠ / ٥٨

وجعلهما أئمة أي أنبياء يهتدي الناس بهما، و أوحى إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة و ذلك من باب عطف الخاص على العام . (١)

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث هي كلمة ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ و قوله:﴿فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ مصدر مضاف إلى الخيراتِ، ويتعيَّنُ أنَّه مضاف إلى مفعوله لأَنَّ الخيراتِ مفعولةٌ وليستْ فاعلةً فالمصدرُ هنا بمنزلةِ الفعلِ المبنِيِّ للمجهول لأنَّ المقصود هو مفعوله، وأمَّا الفاعل فتبعٌ له، أي أن يفعلوا هم ويفعل قومهم الخيرات ؛ حتَّى تكون الخيراتُ مفعولةً للنَّاس كلِّهم، فحذف الفاعل للتَّعميم مع الاختصار لاقتضَاء المفعول إيَّاهُ.(٢) و هو رأي الزمخشري في الكشاف، و قد تعقب ذلك أبو حيان، و بين أن بناء المصدر لما لم يسم فاعله مختلف فيه، و لم يجزه من النحاة إلا الأخفش والصحيح منعه . و كأن أبا حيان يرى أن المصدر مبنيا للفاعل ومضافا من حيث المعنى إلى ظاهرٍ محذوف يشمل الموحى إليه وغيرهم، أي فعل المكلفين الخيرات، ويجوز أن يكون مضافا إلى الموحى إليهم، أي أن يفعلوا الخيرات، وإذا كانوا قد أوحي إليهم ذلك، فاتباعهم جارون مجراهم في ذلك ولا يلزم اختصاصهم به .(٣)

و عليه فإن ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ جاءت في هذه الآية دالة على الكثرة، سواء كان الموحى إليهم فعل الخيرات هم عامة الناس الذين أرسل إليهم إسحاق و يعقوب عليهما السلام، وهو ما ذهب إليه الزمخشري حين جعل المصدر مضافاً إلى مفعوله، أو على الرأي الثاني وهو ما ذهب إليه أبو حيان في أن الإيحاء كان لإسحاق و يعقوب، ولكن المعنى على أن من تبعهم من الناس جارٍ مجراهم في فعل الخير ؛ إذ المعنى فعل الخير من عموم الناس، وعموم الناس كثير ؛ و هذا

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٥ / ٣١٠

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور . ١٧ / ١١٠

(٣) ينظر: البحر المحيط . ٧ / ٤٥٢

يجعل الخيرات المفعولة منهم كثيرة جدا، فهم فيها يتسابقون كما جاء في قوله تعالى:﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [المائدة ٤٨] والاستباقُ: التَّسابق، وهو هنا مجازٌ في المنافسة، لأَنَّ الفاعل للخير لا يمنع غيرهُ من أن يفعل مثل فعله أو أكثر، فشابه التَّسابق. لذلك ضُمِن الفعل ﴿اسْتَبِقُوا﴾ معنى خذوا، أو ابتدروا، و عدِّي الفعل إلى الخيرات بنفسه وحقُّه أن يعدّى بـ (إلى).(١)

لذلك جاءت كلمة ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ تفيد الكثرة، معرفة بـ (أل) الاستغراقية على قاعدة جمهور النحاة .

والله أعلم

ثانياً: من المواضع التي جاءت فيها كلمة (الخيرات) في محل رفع، ومنها قوله تعالى:

١. قال تعالى: ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَه جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التوبة ٨٨]

تبين هذه الآية أن الله سبحانه لما ذكر أنَّ أولئك المنافقين اختاروا الدَّعة وكرهوا الجهاد، وفرُّوا من القتال، وذكر ما أثَّر ذلك فيهم من الطَّبع على قلوبهم، ذكر حال الرَّسول والمؤمنين في المثابرة على الجهاد، وذلك ما لهم من الثَّواب، وما أعده لهم في الآخرة من جنات تجري من تحتها الأنهار و أنهم هم المفلحون أي الفائزون بها.(٢)

(١) ينظر: التحرير والتنوير . ٦ / ٢٢٥

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير. ٥ / ٤٨٠

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالدراسة هي كلمة ﴿الْخَيْرَاتِ﴾، و الخيراتُ تتناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ. وقيل: الحور، لقوله: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ ﴾.(١) و قيل: المراد منافع الدُّنيا والآخرة. فاللَّام فيه للاستغراق.(٢) و قيل: الخيراتُ أي المنافع التي تسكن النفس إليها وترتاح لها، وظاهر اللفظ عمومها هنا لمنافع الدارين كالنصر والغنيمة في الدنيا والجنة ونعيمها في الأخرى، ونص المبرد على أن الخيرات تطلق على الجواري الفاضلات وهي جمع خيرة بسكون الياء مخفف خيرة المشددة تأنيث خير وهو الفاضل من كل شيء المستحسن منه.(٣)

و على ما سبق ذكره فإن كلمة ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ في الآية السابقة دلت على الكثرة ؛ إذ هي منافع الدارين، أو ما تحبه النفس و ترتاح إليه، وهذا عموم يراد به الكثرة، ثم إنها جاءت في سياق الآية على أنها جزاءً و ثواباً من عند الله لرسوله و للمؤمنين الذين ثبتوا في الجهاد، و لا يقول عاقل بقلة ذلك الثواب ؛ إذ هو من عند الله . و مجيئها دالة على الكثرة معرفة بـ (أل) غير العهدية والتي تفيد الاستغراق، يثبت صحة ما ذهب إليه النحاة في أن جمع القلة إذا عرف بـ (أل) التي للاستغراق دلَّ على الكثرة وأصبح للعموم . والله أعلم .

٦. كلمة (الدرجات): وردت هذه الكلمة دالة على الكثرة معرفة بـ(أل) في موضعين من كتاب الله هما :

١. قال تعالى:﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا ﴾ [طه ٧٥]

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري . ٢ / ٣٠٠

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور . ١٠ / ١٩١

(٣) ينظر: تفسير روح المعاني للألوسي . ٥ / ٣٤٤

هذه الآية ساقها الله في بيان الثواب والجزاء لمن يفد عليه من عباده مؤمناً به، متزوداً بالأعمال الصالحة، وذلك بعد أن ذكر سبحانه عقاب من يقدم عليه مشركاً به غير مؤمن، قالت فرقة: هذه الآية بجملتها من كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه، وقالت فرقة: بل هي من كلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم، تنبيهاً على قُبح ما فعل فرعون وحسن ما فعل السحرة . (١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿الدَّرَجَاتُ﴾، و قد وقعت في محل رفع مبتدأ مؤخر، و خبره مقدم وهو قوله تعالى: ﴿لهم﴾، و ﴿الدَّرَجَاتُ﴾ جمع لكلمة (درجة) مجموعةً بألف وتاء زائدتين، معرفةً (بأل)، داخلة بها في العموم الدال على الكثرة، إذ لا يقول أحد إن الدرجات التي أعدها الله لعباده في الجنات قليلة، لاسيما أن الله سبحانه وصف هذه الدرجات بكلمة ﴿الْعُلَا﴾ جمع (العليا) و التي هي مؤنث (الأعلى)، بل قد بين الله تلك الدرجات و فسرها بعد ذلك بقوله سبحانه:﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [طه ٧٦]،و التي وقعت بدلاً من الدرجات ؛ إذ لا يجوز أن تكون ﴿جنات﴾ خبراً لمبتدأ محذوف، لأنه لا يوافق المعنى .

قال السمين الحلبي: " قوله: ﴿جَنَّاتُ﴾: بدلٌ من الدرجات أو بيانٌ. قال أبو البقاء: " ولا يجوزُ أن يكونَ التقديرُ: هي جناتُ؛ لأن﴿خالدين ﴾ حالٌ . وعلى هذا التقديرِ لا يكونُ في الكلام ما يعملُ في الثاني، وعلى الأولِ يكونُ العاملُ في الحال الاستقرارَ أو معنى الإشارة" .(٢)

وقد أتفق المفسرون في أقوالهم حول المقصود بـ ﴿الدَّرَجَاتُ الْعُلَا ﴾في هذه الآية ، قال الإمام القرطبي: " ﴿فَأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلى﴾ أَيِ الرَّفِيعَةُ الَّتِي قَصُرَتْ دُونَهَا الصِّفَاتُ.(١)

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٤ / ٥٣

(٢) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٨ / ٨٠

و قال ابن كثير رحمه الله: " ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلا ﴾ أَيِ: الْجَنَّةُ ذَاتُ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَاتِ، وَالْغُرَفِ الْآمِنَاتِ، وَالْمَسَاكِنِ الطَّيِّبَاتِ. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، أَنْبَأَنَا هَمَّام، حَدَّثَنَا زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةً وَمِنْهَا تَخْرُجُ الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ، وَالْعَرْشُ فَوْقَهَا، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ".(٢)

و ذكر الشوكاني أن المقصود بـ ﴿الدَّرَجَاتُ الْعُلَا ﴾ أَيِ: الْمَنَازِلُ الرَّفِيعَةُ الَّتِي قَصَرَتْ دُونَهَا الصِّفَاتُ، و بين أن ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بَيَانٌ لِلدَّرَجَاتِ أَوْ بَدَلٌ مِنْهَا.(٣)

و بعد الاستقراء لأقوال النحاة والمفسرين حول كلمة ﴿الدَّرَجَاتُ﴾ في الآية السابقة، نجد و العلم عند الله أن هذه الكلمة تدل على الكثرة، وذلك أن المقصود من هذه الكلمة ـ الدرجات ـ درجات المؤمنين التي أعدها الله لهم في جنات عدن، بدليل وقوع قوله:﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾بدلاً من ﴿الدَّرَجَاتُ﴾كما يقول النحاة في إعرابها، ويعضد هذا ما ذكره الإمام القرطبي و ابن كثير رحمهما الله في تفسيريهما، وما أورده ابن كثير من حديث عبادة بن الصامت عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةً وَمِنْهَا تَخْرُجُ الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ، وَالْعَرْشُ فَوْقَهَا، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ) . فدل هذا الحديث على كثرة درجات الجنة و أنها مئة درجة، و بهذا لا يحق لعاقل أن يقول إن درجات الجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين قليلة، و هذا يقوي ويعضده

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي. ٢٢٧/١١

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم . لأبي الفداء . ٨ ٣٠٦/٥

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني . ٣ / ٤٤٥

قول النحاة بأن جموع القلة و منها ما جمع بألف و تاء زائدتين إذا عُرِّفت بـ (أل) التي للاستغراق عمَّت و دلَّت على الكثير لا القليل . و الله أعلم .

٢. قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ [غافر:١٥]

اعلم أنَّه تعالى لما ذكر من صفات كبريائه وإكرامه، كونه مُظهرًا للآيات منْزلًا للأرزاقِ، ذكر في هذه الآية ثلاثة أخرى من صفات الجلالِ والعظمةِ وهو قوله:﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ ﴾ .(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿الدَّرَجَاتِ﴾ وهي في موقع جر بالإضافة ؛ إذ أن قوله:﴿ رَفِيعُ ﴾ خبرٌ لمبتدأ محذوف، وقيل: إن قوله:﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ ﴾ ثلاثة أخبار لـ (هو) مرتبة على قوله:﴿الذي يريكم ﴾ قاله الزمخشري، ورده أبو حيان لطول الفصل بينها، أما كونها أخبار لمبتدأ محذوف فقال:إنه مبني على جواز تعدد الأخبار، إذا لم تكن في معنى خبر واحد، و قرئت ﴿رفيعَ﴾ بالنصب على المدح، و منهم من جعلها للمبالغة على (فعيل) من رافع، وهذا يجعل ﴿الدَّرَجَاتِ﴾ في محل نصب مفعول به لها، أي رافع درجات المؤمنين في الجنة قاله ابن سلام، وقال ابن جبير: ﴿الدَّرَجَاتِ﴾ السماوات رفعها سماء فوق سماء و﴿رَفِيعُ﴾ اسم فاعل أي رافع السماوات، واحتمل أن يكون رفيع فعيلًا من رفع الشَّيء علا فهو رفيعٌ، فيكون من باب الصِّفة المشبَّهة، و﴿الدَّرَجَاتِ﴾ المصاعد والمِلائكة إلى أن تبلغ العرش، أضيفت إليه دلالةً على عزه وسلطانه، أَي درجات ملائكته، كما

(١) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير . ٢٧/ ٤٩٧

وصفه بقوله: ﴿ذِي الْمَعارِجِ ﴾، أو يكون ذلك عبارة عن رفعة شأنه وعلوِ سلطانه. كما أن قوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ عبارة عن ملكه .[1]

و قد رد الألوسي في روح المعاني قول ابن جبير حين جعل (رفيعا) اسم فاعل مضافا إلى المفعول، بمعنى رفع سماء فوق سماء والعرش فوقهن، ورجح الألوسي قول من قال: إنها كناية عن رفعة شأنه وسلطانه عز شأنه وسلطانه كما أن قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ ﴾كناية عن ملكه جل جلاله، كما أنه جعل ﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ﴾ و ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ و جملة ﴿يلقي﴾ أخباراً لـ (هو) السابقة أو لأخرى محذوفة .[2]

و مما سبق نجد أن كلمة ﴿الدَّرَجَاتِ﴾ في قوله تعالى:﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ﴾ راجحة عند العلماء والمفسرين على أنها كناية عن رفعة شأنه سبحانه و تعالى، و يعضد ذلك أن الأخبار في قوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ [غافر ١٣] جاءت معطوفة بالواو، أما في قوله تعالى: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ ﴾ [غافر ١٥]، فإنها أخبار متوالية بلا عطف؛ وذلك لأن الله سبحانه كما أنه صاحب العرش وملقي الروح فهو سبحانه رفيع الدرجات جل شأنه و تقدست أسماؤه، فلما كانت هذه الأخبار الثلاثة أخباراً عن صفاته جل شأنه، جاءت متواليةً بلا عاطف يفصلها؛كونها متصلة بذاته سبحانه، وهي من الصفات الروحانية التي يجب الإيمان و التصديق بها، خلاف ما سبق من أخبار جسمانية مرئية مثل إنزال الأرزاق . وعليه فإن كلمة ﴿الدَّرَجَاتِ﴾ جاءت معرفة بـ (أل) لتدل على الكثرة؛ لأنها من صفات الله سبحانه ، فلا يمكن القول بأنها للقلة.

و الله أعلم .

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط ٩ / ٢٤٣ -٢٤٤

(٢) ينظر: تفسير روح المعاني للألوسي ١٢ / ٣٠٨

٧ .كلمات (الذاريات، والحاملات ، والجاريات، والمقسمات) وردت هذه الكلمات معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في موضع واحد من كتاب الله في مطلع سورة الذاريات، وقد جاءت مجروراتٍ على القسم في قوله تعالى: ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) ﴾ [الذاريات ١ – ٤]

أقسم الله تعالى بهذه المخلوقات تنبيها عليها وتشريفا لها ودلالة على الاعتبار فيها وهذا قسمٌ من اللَّه عزَّ جلَّ على وقوع المعاد؛ ولهذا قال: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ أي: لخبر صدقٍ، ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ ﴾، وهو: الحساب ﴿ لَوَاقِعٌ ﴾ أي: لكائنٌ لا محالة.(١)

دراسة المسألة:

الكلمات المعنيات بالبحث والدراسة في هذه الآية هي:﴿الذَّارِيَاتِ﴾ و﴿الْحَامِلَاتِ﴾ و ﴿الْجَارِيَاتِ﴾ و﴿الْمُقَسِّمَاتِ﴾ و كلها جمع بألف و تاء زائدتين لـ (الذارية، والحاملة، والجارية، والمقسمة)، وقد وقعت تلك الجموع في موقع جر على القسم، ﴿وَالذَّارِياتِ﴾ الرياح لأنها تذرو التراب وغيره. قال الله تعالى:﴿ تَذْرُوهُ الرِّياحُ ﴾. ﴿فَالْحامِلاتِ وِقْراً﴾ السحاب، لأنها تحمل المطر،﴿فَالْجارِياتِ يُسْراً﴾ الفلك.﴿فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً﴾ الملائكة، لأنها تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها. أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك. وعن مجاهد: تتولى تقسيم أمر العباد: جبريل للغلظة، وميكائيل للرحمة. وملك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل للنفخ. و هذا قول الجمهور.(٢)

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٧ / ٤١٤

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري . ٤ / ٣٩٤

وقال آخرون:﴿الْجَارِيَاتِ﴾ هي السحاب تجريها الريح وقال آخرون: هي الجواري من الكواكب، واللفظ يقتضي جميع هذا.(1) لكن العطف بالفاء يقتضي تناسبها وتجانسها، فيجوز أن تكون صفات لجنس واحد وهو الغالب في عطف الصِّفات بالفاء. و المشهور عن الجمهور على اختلاف الأجناس في المقسم بها كما ذكرنا آنفاً.

و عليه فإن كلَّ معطوف عليه يُسَبِّبُ ذِكرَ المعطُوف ؛ لالتقائهما في الجامع الخياليِّ، فالرياح تذكّر بِالْسَحابِ، وحملُ السَّحابِ وقر الماءِ يُذَكِّرُ بِحَملِ السُّفُنِ، والكلُّ يُذَكِّرُ بِالملائكةِ.

لذا نجد أن كلا من :﴿الذَّارِيَاتِ﴾و﴿الْحَامِلَات﴾ و﴿الْجَارِيَاتِ﴾ و﴿الْمُقَسِّمَاتِ﴾ جاءت مجموعة بألف وتاء معرفة بـ (أل) الاستغراقية؛ لتدل على العموم والكثرة؛ إذ هي صفات واقعة في محل جر على القسم، و الله لا يقسم إلا بما هو عظيم، فلا يقال هنا بالقلة إذ العظمة تستوجب الكثرة . و الله أعلم .....

٨ . كلمة (السيئات) وردت هذه الكلمة معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في خمسة عشر موضعا من كتاب الله، وقد جاءت في اثني عشر موضعاً في محل نصب، وفي موضعين في محل جر، وفي موضعٍ واحد جاءت مرفوعةً. و سأتناول بالبحث والدراسة الآيات التي وقعت فيها اختلافات نحوية وتفسيرية بين العلماء، ومن أمثلتها، الآيات التي جاءت فيها كلمة (السيئات) في محل نصب، و ما يقال فيها بعد ذلك من أحكام يمكن القول بها على بقية الآيات. ومن الآيات التي جاءت فيها كلمة (السيئات) منصوبة ما يلي :

١ . قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل ٤٥].

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٥ / ١٧٢

هذه الآية تهديد من الله لمشركي قريش، للذين سعوا في إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم و صحابته على وجهِ الخفية، واحتيالهم في إبطال الإسلام، وكيد أهله، فالله يهددهم و يتوعدهم بأَن يخسف بهم كما خسف بقارون .[1]

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿السَّيِّئَاتِ﴾، وهي جمع بألف و تاء زائدتين لكلمة (سيئة)، وهي تفيد الكثرة؛ إذ هي معرفة بـ (أل) الاستغراقية و التي تدخلها في العموم والكثرة، لكنها جاءت في محل نصب بالفعل ﴿مَكَرُوا ﴾ وهو فعل لازم، وهنا وقع الخلاف النحوي. فالنصب في كلمة ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ على وجهين: أحدهما أن تنصب بقوله:﴿ أَفَأَمِنَ ﴾ وتكون ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ على هذا العقوبات التي تسوء من تنزل به، ويكون قوله:﴿أَنْ يَخْسِفَ ﴾ بدلا منها. والوجه الثاني: أن تنصب بقوله: ﴿ مَكَرُوا ﴾، و قد عدي مَكَرُوا لأنه بمعنى عملوا وفعلوا، و ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ على هذا معاصي الكفر وغيره، قاله قتادة .[2] ويكون الفعل ﴿مَكَرُوا ﴾ على الوجه الأول لازماً، و هذا هو الأنسب؛ لأن الله هددهم بالخسف كما خسف بقارون، والخسف من العقوبات،وعقوبات الله لأعدائه كثيرة؛ لذلك دلت كلمة ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ على الكثرة، فجاءت معرفة بـ (أل) على قاعدة النحاةفي جمع القلة . وعلى الوجه الإعرابي الثاني : تكون ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ بمعنى معاصي الكفر و الشرك، وهي أيضا كثيرة لا يقول مسلمٌ بقلتها .

وقيل في إعراب كلمة ﴿السَّيِّئَاتِ﴾: إنها في محل نصب صفة لمصدر محذوف، والتقدير : (أفأمن الذين مكروا المكرات السيئات)، و منه قوله تعالى: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا

(١) ينظر: تفسير فتح القدير للشوكاني . ٣ / ١٩٨

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٣ / ٣٩٦

بِأَهْلِهِ ﴾[فاطر: ٤٣]. و قيل: مَنْصُوبة على نزع الخافض وهو باء الجرِّ الذي يعطيها معنى الآلة.(١) وعلى القول الأول فإن قوله:﴿ أَن يَخْسِفَ الله بِهِمُ الأرض ﴾ مفعولٌ به لـ(أمِنَ) .

و على القول الثاني: فالمعنى أن كفار قريش آذوا النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه بسيئاتهم، وهي أيضا كثيرة ، فالأذى الذي لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه من كفار قريش كان كثيراً، و على هذا التخريج الإعرابي أيضاً تكون كلمة ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ تفيد الكثير وتدل عليه؛ لذا جاء تعريفها بـ (أل) موافقاً لما قاله جمهور النحاة في دلالة جمع القلة على الكثرة.

و نشير هنا أيضاً إشارة لطيفة ذكرها الطاهر ابن عاشور حول قوله تعالى في سورة فاطر : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر ١٠] .

حيث جاءت كلمة ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ في محل نصب للفعل المضارع ﴿يَمْكُرُونَ﴾ ، وهو فعل لازم، فكيف انتصبت به ؟ يقول الطاهر ابن عاشور: "المكرُ: تدبير إلحاقِ الضُّرِّ بالغيرِ في خُفيةٍ لئلَّا يأخذَ حذْرهُ، وفعله قاصرٌ. وهو يتعلَّق بالمضْرورِ بواسطة الباء التي للملابسة، يقال: مُكر بفلان، ويتعلَّق بوسيلة المكر بباء السببيَّة يقال: مُكر بفلانٍ بقتله فانتصابُ ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ هنا على أنه وصفٌ لمصدرِ المكر نائبًا مناب المفعول المطلقِ المبين لنوعِ الفعلِ فكأنه قيل والذين يمكرون المكر السيّء. وكان حقُّ وصفِ المصدرِ أن يكون مفردًا كقولهِ تعالى:﴿ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر: ٤٣] فلمَّا أريد هنا التَّنبيه على أنَّ أولياء الشَّيطان لهم أنواع من المكر

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور . ١٤ / ١٦٥

عدل عن الإفراد إلى الجمع وأتي به جمع مؤنَّثٍ للدّلالة على معنى الفعَلاتِ من المكرِ، فكلُّ واحدةٍ من مكرهم هي سيئةٌ، كما ذكر أيضاً أن التعريف في كلمة السيئات هو تعريف للجنس و هو يفيد الاستغراق في الكثرة." [1]

فهنا أراد ابن عاشور أن يبين أن كلمة ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ جاءت لتفيد معنى الكثرة لا القلة، وأشار إلى ذلك بقوله: فلمَّا أريد هنا التَّنبيه على أنَّ أولياء الشَّيطان لهم أنواع من المكر ؛ وأتي به جمع مؤنَّثٍ للدّلالة على معنى الفعَلاتِ من المكرِ، فكلُّ واحدةٍ من مكرهم هي سيئةٌ، ثم أكد قوله بأن قال: إن التعريف فيها للاستغراق، وهذا هو الصواب فالمشركون والكفار لا ينفك مكرهم بالمسلمين أبدا حتى يرث الله الأرض ؛ لذا جاء الله بالفعل ﴿يَمْكُرُونَ﴾ مضارعاً يدل على الحدث و التجدد فيه، فالحدث للحاضر الذي هو زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، والتجدد في المستقبل الذي يلي ذلك الزمن ؛ وهذا يدل على كثرة مكرهم و استمرارهم في السيئات على مدى الصور .

كما كان لعلماء التفسير حول كلمة ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ تأويلات دلت في مجملها على الكثرة أيضاً، و ذلك في الآيات التي لم أتناولها بالتحديد هنا، حيث قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ التوبة لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السيئات ﴾ [النساء ١٨] . إن ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ هي المعاصي، وجمعت باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد .[2]

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور . ٢٢ / ٢٧٤

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب . ٦ / ٢٥٣ . روح المعاني للألوسي . ٢ / ٤٤٨

وذكر أبو حيان في قوله تعالى:﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[العنكبوت ٤] أن الآية وإن كانت نزلت في بعض صناديد قريش إلا أنها تعم جميع من يعملون السيئات .(١)

وفسر قتادة على ما أخرجه عنه عبدالله بن حميد وابن جرير ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ بالشرك و إنما جمعت باعتبار تعدد المتصفين به .(٢) ثم إن الفعل ﴿يَعْمَلُونَ﴾ عندما أسند إلى ضمير الجمع (واو الجماعة) جعل السيئات وإن قصد بها الإشراك كثيرة لكثرة المتصفين به و كثرة تكراره منهم . كم قيل حول قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ [الجاثية ٢١]. إن صيغة الافتعال في الفعل ﴿اجْتَرَحُوا﴾ جاءت للمبالغة و الزيادة في تلك السيئات .(٣)

و مما سبق ذكره حول كلمة ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ نجد أنها جاءت في المواضع الخمسة عشر في كتاب الله، معرفة بـ (أل) الاستغراقية؛ و ذلك لتفيد الكثرة، و قد أوردنا فيما سبق أقوال النحاة و المفسرين الدالة على ذلك . وبهذا تكون قد جاءت وفق ما عقد له جمهور النحاة دالة على الكثرة كونها معرفة بـ (أل) الاستغراقية . و الله أعلم .

٩ . كلمة (الشهوات) وردت هذه الكلمة معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في ثلاثة مواضع من كتاب الله عز وجل، وقد جاءت في موضع واحد منها في محل جر بالإضافة، وفي الموضعين الباقيين في محل نصب ،وسأتناول بالبحث والدراسة المواضع التي وقعت فيها اختلافات نحوية وتفسيرية بين العلماء، و ما يقال حولها يمكن القول به على بقية المواضع، و مواضع الدراسة هي :

(١) ينظر: البحر المحيط . ٨ / ٣٤٠

(٢) ينظر: تفسير روح المعاني . ١٠ / ٣٤١

(٣) ينظر: التحرير والتنوير . ٢٥ / ٣٥٢

١ . قال تعالى :﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران ١٤]

٢ . قال تعالى: ﴿ وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء ٢٧]

٣ . قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم ٥٩]

يخبر الله تعالى في الآية الأولى عمَّا زيِّن للنَّاس في هذه الحياةِ الدُّنيا من أنواع الملاذِ من النِّساء والبنين، فبدأ بالنِّساء لأَنَّ الفتنة بهنَّ أشدُّ، و ثنى بحبُّ البنين ؛ لأنه تارة يكون للتفاخرِ والزينة فهو داخل في هذا، وتارة يكون لتكثير النسل، وحبُّ المال –كذلكَ–تارة يكون للفخر والخُيلاء والتكبُّرِ على الضُّعفاءِ، والتَّجبر على الفقراءِ، فهذا مذمومٌ، وتارة يكون للنَّفقة في القربات وصلةِ الأرحامِ والقرابات ووجوه البرِّ والطَّاعات، فهذا ممدوحٌ محمودٌ ،أما حبُّ الخيلِ فعلى ثلاثة أقسامٍ، تارةً يكون ربطها أصحابُها معدَّة لسبيلِ اللَّه تعالى، متى احتاجوا إليها غزوا عليها، فهؤلاءِ يثابون. وتارةً تربط فخرًا ونواءً لأهل الإسلامِ، فهذه على صاحبها وزر. وتارة للتَّعفف واقتناء نسلها. ولم ينس حقَّ اللَّه في رقابها، فهذه لصاحبها ستْر. و في الآية الثانية يخبرُ تعالى أنَّه يريدُ أن يبيِّن للمؤمنين ما أحل لهم وما حرم علبهم، و يريد الذين يتبعون الشيطان من اليهود والنصارى و دعاة الزنا أن يميلوا بهم عن الحق إلى الباطل، و تبين الآية الثالثة أن الله تعالى عندما ذكر حزبه السُّعداءِ، وهم الأنبياء، عليهم السَّلام، ومن اتبعهم، من القائمين بحدود اللَّه وأوامره، المؤدين فرائض اللَّه، التَّاركين لزواجره –ذكر أَنَّه ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِم خَلْفٌ﴾ أَي: قرون أخر، ﴿ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ﴾ – وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع؛ لأَنَّها عماد

الدِّين وقوامه، وخير أعمال العباد—وأقبلوا على شهوات الدُّنيا وملاذها، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غيًّا، أي: خسارًا يوم القيامة.(١)

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة هي كلمة ﴿الشَّهَوَاتِ﴾، وهي جمعُ (شَهْوة) بسكون العين، وحركت الهاء من الشهوات فرقا بين الاسم والنعت، والشهوةُ: مصدرٌ يُراد به اسمُ المفعولِ أي: المشْتَهَيَات فهو من باب: رجلٌ عَدْلٌ، حيث جُعِلَتْ نفسَ المصدر مبالغةً، والشهوة: مَيْلُ النفس، ويُجْمَعُ على (شَهَوات)، كالآية الكريمة، وعلى(شُهَى) كغُرَف .(٢) وقد جاءت في هذه الآية دالة على الكثرة؛ إذ هي جمع بألف و تاء معرفة بـ (أل) الاستغراقية على قاعدة النحاة . قال أبو حيان: " وَأَتَى بِذِكْرِ الشَّهَوَاتِ أَوَّلًا مَجْمُوعَةً عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ ". والشَّهَواتِ عام في كل مشتهى و يشغل عن الصلاة وعن ذكر الله تعالى.(٣) وقيل: " ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ أي الملذَّات والمعاصي .(٤)

ومما سبق نجد أن كلمة ﴿الشَّهَوَاتِ﴾ في المواضع الثلاثة السابقة جاءت دالة على الكثرة، إذ المقصود بها ملذات الدنيا و مشتهيات النفوس، وهذه لا يقول أحد بقلتها، فإن قال قائل: إن الله ذكر من الشهوات في آية [آل عمران] سبع مشتهيات وهي:(النساء و البنين و الذهب و الفضة و الخيل و الأنعام و الحرث)، قلنا: إن هذه كلها أسماءُ جنسٍ، أو أسماءُ جمعٍ، و أسماء الجنس و أسماء الجمع، تدلُّ على العموم فهي بهذا داخلة في الكثرة . كما أن قوله:﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ تدل على الكثرة، فالْقَناطِيرِ جمع قنطار، وهو العقدة الكبيرة من المال، واختلف

(١) ينظر: تفسير ابن كثير.٢ / ١٩ ــ ٢١، ٢ / ٢٦٧، ٥ / ٢٤٣

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس . ١ / ١٤٧، ينظر تفسير الدر المصون.٣ / ٥٧

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط . ٣ / ٥٠، ٣ / ٦٠٣

(٤) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . ١١ / ١٢٣

الناس في تحديد حده كم هو؟ فروى أُبَيُّ بنُ كعب، عن النبي عليه السلام أنه قال:" القنطار ألف ومائتا أوقية". وقال بذلك معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر وأبو هريرة وعاصم بن أبي النجود وجماعة من العلماء، وهو أصح الأقوال. و المقنطرة صفة للقناطير تفيد الكثير و الزيادة، قال الطبري: معناه المضعفة، وقيل: إنها إشارة إلى حضور المال وكونه عتيدا كثيرا .[1]وهي بتلك الكثرة شيء من تلك الشهوات المذكورة في الآية .

و بهذا تكون كلمة ﴿الشَّهَوَاتِ﴾ المجموعة بألف وتاء في الآيات السابقة، جاءت للكثرة، معرفة بـ (أل) الاستغراقية، على قاعدة النحاة . والله أعلم .

١٠ . كلمات (الصافات، الزاجرات، التاليات) وردت هذه الكلمات معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في موضعٍ واحد من كتاب الله، و قد جاءت في محل جر على القسم في بداية سورة الصافات .

قال تعالى: ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) ﴾ [الصافات ١ ـ ٤]

يقسم الله سبحانه في بداية هذه السورة العظيمة على إثبات وحدانية اللَّه تعالى، ويسوق سبحانه دلائل كثيرةً على ذلك دلَّت على انفراده بصنع المخلوقات العظيمة الَّتي لا قبل لغيره بصنعها، وهي العوالم السَّماوية بأجزائها وسكَّانها، ولا قِبَل لمن على الأرض أن يتطرَّق في ذلك. وإثبات أنَّ البعث يعقبه الحشر والجزاء.[2]

(١) ينظر: تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ١ / ٤٠٨

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور. ٢٣ / ٨١

دراسة المسألة:

الكلمات المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي: ﴿الصَّافَّاتِ﴾ و ﴿الزَّاجِرَاتِ﴾ و﴿التَّالِيَاتِ﴾ و كلها جموع بألف وتاء زائدتين، معرفة بـ (أل) الاستغراقية داخلة في العموم والكثرة .

والصَّافَّاتِ جمع: صافَّة، وهي الطَّائفةُ المصطفُّ بعضها مع بعض، و﴿الزَّاجِرَاتِ﴾ من الزجر: وهو الحثُّ في نهيٍ أو أمرٍ بحَيثُ لا يترك للمأمورِ تباطؤ في الإتيان بالمطلوبِ، والمراد به: تسخير الملائكة المخلوقات التي أمرهم اللَّه بتسخيرها خلقًا أو فعلًا، كتكوين العناصر، وتصريف الرِّياح، وإزجاء السَّحاب إلى الآفاق، و﴿التَّالِيَاتِ﴾ الملائكة ،وَالْمُرَادُ بِـ ﴿التَّالِيَاتِ﴾ ما يتلونه من تسبيحٍ وتقديس للَّه تعالى؛ لأَن ذلك التسبيح لما كان ملقنًا من لدن اللَّه تعالى كان كلامهم به تلاوةً. فعن جماعةٍ من السَّلف: أنَّ هذه الصِّفات للملائكة. وعن قتادة أنَّ ﴿التَّالِيَاتِ ذِكْرا﴾الجماعة الَّذين يتلون كتاب اللَّه من المسلمين.(١)

و قيل: إن الله تعالى أقسم بنفوس العلماء العمَّالة، الصافات أنفسها في صفوف الجماعات أو أقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه وأحكامه، أو بطوائف قُواد الغزاة في سبيل الله تعالى التي تصفُّ الصفوف في مواطن الحروب الزاجرات الخيل للجهاد سوقا أو عدوا في المعارك . و قيل أيضا: إن الله أقسم سبحانه بطوائف الأجرام الفلكية المرتبة كالصفوف المرصوصة بعضها فوق بعض والنفوس المدبرة لتلك الأجرام.(٢)

لكن الرأي الراجح أن تلك الصفات كلها للملائكة، وتأنيث هذه الصِّفات باعتبار إجرائها على معنى الطَّائفة والجماعة؛ ليدلَّ على أنَّ المراد أصناف من الملائكة لا آحاد منهم. ثم

(١) ينظر: البحر المحيط ٩٠ / ٩٠

(٢) ينظر: تفسير روح المعاني للألوسي . ١٢ / ٦٤

إن عطف تلك الصِّفَاتِ بالفاء يقتضي أنَّ تلك الصِّفات ثابتة لموصوفٍ واحد، وهذا الموصوف هو هذه الطَّوائف من الملائكة فإنَّ الشَّأن في عطف الأوصاف أن تكون جاريةً على موصوف واحد لأَنَّ الأصل في العطف بالفاء اتصال المتعاطفات بها لما في الفاء من معنى التَّعقيب .[1]

و مما سبق من أقول العلماء نجد أن تلك الصفات المذكورة و المجموعة بألف وتاء زائدتين، المعرفة بـ (أل) الاستغراقية هي صفات للملائكة على المشهور من أقوال جمهور العلماء ؛ إذ أن القسم هنا بالملائكة مناسب لما ورد في آيات السورة كاملة، ومنها أن جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ وهذا فيه إثبات لوحدانية الله سبحانه، فالأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله لم تكن لها ملائكة تخدمها و تعبدها و تطيع أمرها، و إنما كانت الملائكة لله سبحانه و تعالى، و خلقها دلالة على عظمته سبحانه و تعالى . وعليه فلا يُقال : إن الملائكة قليلة، كيف وقد جاء في الأثر عن رسول الله أنه لا يوجد في السماء موضع أربعة أصابع إلا و ملك راكع أو ساجد.[2]

و بهذا نجد أن تلك الصفات ﴿الصَّافَّاتِ﴾ و ﴿الزَّاجِرَاتِ﴾ و﴿التَّالِيَاتِ﴾ دالة على الكثرة؛ لذا جاءت مجموعة بألف وتاء و معرفة بـ (أل) الاستغراقية على قاعدة جمهور النحاة.

والله أعلم.

١١ . كلمة (الصافنات) وردت هذه الكلمات معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله. قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾ [ص ٣٠ - ٣١]

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور . ٢٣ / ٨٣

(٢) ينظر : المعجم الأوسط . للطبراني . ٤ / ٤٤

يقول تعالى مخبرًا أنَّه وهب لداود سليمان، أي: نبيًّا كما قال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أَي: في النُّبوَّة وإلَّا فقد كان له بنون غيره، و يثني سبحانه و تعالى عليهِ بأَنَّه كثير الطَّاعة والعبادة والإنابة إلى اللَّه عزَّ وجلَّ حتى أنه عرضت عليه الصافنات الجياد و هي الخيل التي كانت في ملكه فاشتغل بها عن صلاة العصر فأمر بها فعقرت. قاله قتادة. (١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث و الدراسة هي: ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ ، وهي جمع بألف وتاء لـ (صافن) وفيه خلافٌ بين أهلِ اللغةِ. قال الزجَّاجُ: هو الذي يقفُ على إحدى يدَيْه ويَقِفُ على طَرَفِ سُنْبُكه، وقد يفعل ذلك بإحدى رجلَيْه. قال: وهي علامةُ الفَراهةِ فيه . وقيل: هو الذي يَجْمَعُ يديه ويُسَوِّيهما.(٢) و قال الفراء :" القائِمة عَلَى ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى عَلَى طرف الحافر من يدٍ أو رجلٍ. وهي فِي قراءة عبد الله (صَوَافِنَ فإذا وَجَبَتْ) يريد: معقولة عَلَى ثلاث. وقد رأيتُ العرب تجعل الصَّافِن القائم عَلَى ثلاث".(٣)

و كلمة ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ دالة على الكثرة؛ إذ هي جمع بألف وتاء معرف بأل على قاعدة النحاة، وقد ذكر المفسرون ما يدل على كثرتها. قال ابن جريرٍ: حدَّثنا محمد بن بشَّار حدَّثنا مؤمَّل حدَّثنا سفيان عن أبيه سعيد بن مسروق عن إبراهيم التَّيميِّ في قوله: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ قال: كانت عشرين فرسًا ذات أجنحة.(٤)

---

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ٧ / ٦٥

(٢) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٩ / ٣٧٥

(٣) ينظر : معاني القرآن للفراء . ٢ / ٤٠٥

(٤) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن .لابن جرير الطبري . ٢١ / ١٩٣

وقال ابن أبي حاتمٍ: حدَّثنا أبو زرعةَ حدَّثنا إبراهيم بن موسى حدَّثنا ابن أبي زائدة أخبرني إسرائيل عن سعيد بن مسروق عن إبراهيم التَّيميِّ قال: كانت الخيل الَّتي شغلت سليمان، عليه الصَّلاةُ والسَّلام عشرين ألف فرسٍ، فعقرها.(١)

و مما سبق من أقوال العلماء و المفسرين نجد أن كلمة ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ جاءت دالة على الكثرة على قاعدة النحاة ، لاسيما أن كلمة ﴿الْجِيَادُ﴾ جاءت بدلٌ منها، و الجياد جمع كثرة إمَّا من الجودة يقال: جاد الفرس يجودُ جَودة وجُودة بالفتح والضم فهو جَوادٌ للذكر والأنثى، والجمع: جِيادٌ وأَجْواد وأجاويد وقيل: جمع ل جَوْد بالفتح كثَوْب وثِياب. وقيل: جمع جَيِّد. وإما من الجِيْد وهو العُنُق والمعنى: طويلة الأجياد، وكل ذلك دالٌّ على كثرتِها. و الله أعلم

١٢ .كلمة (الصالحات) وردت هذه الكلمة معرفة بـ (أل) دالة على الكثرة في ستين موضعاً من كتاب الله عز وجل . وقد جاءت في محل نصب مفعول به للفعل (عمل، وعملوا، و يعملون) في ستة وخمسين موضعاً، بينما جاءت في مجل جر بـ (من) في ثلاثة مواضع ، وجاءت في موضع واحدٍ في محل رفع.

أولاً: من المواضع التي جاءت فيها كلمة (الصالحات) في محل نصب مفعول به ما يلي:

١ . قال تعالى:﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة ٢٥] .

٢ . قال تعالى :﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء ٩] .

٣. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا ﴾[طه ٧٥]

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ٧ / ٦٤

تبين الآية الأولى أنه ـ سبحانه وتعالى – لما تكلَّم في التوحيد والنُّبوَّة، تكلَّم بعدهما في ذكر المعاد، وبيَّن عقاب الكافر، وثواب المطيعِ، و الله سبحانه ما ذكر في القرآن آية وعيد إلا وذكر في جنبها آية وَعْد، وذلك لفوائد: أحدها: أن يظهر سبحانه بذلك عدله؛ وثانيهما: أنّ المؤمن لا بد وأن يعتدل خوفه ورجاؤه. وثالثها: أن يظهر بوعده كمال رحمته وبوعيده كما حِكْمته.(١) و تذكر الآية الثانية أَنَّ طاعة اللَّه توجبُ كلَّ خيرٍ وكرامةٍ ومعصِيتهُ تُوجِبُ كلَّ بلِيَةٍ وغرامةٍ، لذا أثنى الله سبحانه و تعالى على هذا الكتاب الكريم ـ القرآن ـ وأنه يهدي للتي هي أقوم .(٢)

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿الصَّالِحَاتِ﴾، وهي جمع بألف وتاء زائدتين لكلمة (صالحة)، وهي صفةٌ جرتْ مجرى الأسماءِ في إيلائها العواملَ.

قال الحطيئَةُ:

كَيْفَ الْهِجَاءُ وَمَا يَنْفَكُّ صَالِحَةً ... مِنْ آلِ لَامَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ تَأْتِينِي

فعلى هذا انتصابها على أنَّها مفعولٌ به .

قالَ عُثمانُ بن عفَّان:الصَّالح ما أخلَصَ للَّه تعالى، وقال مُعَاذُ بن جبل: ما احتوى على أربعة: العلم والنِيَّةُ والصَّبر والإخلاصُ، وقال سهل بن عبد اللَّه: ما وافق الكتاب والسُّنةَ .

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب . ١ / ٤٤٥، ٢ / ٢٢٥

(٢) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب = التفسير الكبير . للرازي . ٢٠ / ٣٠٣

وقال علي بن أبي طالب: الصَّلواتُ في أوقاتها وتعديل أركانها وهيآتها، وقيل: الأمانة، وقيل: التوبةُ، والاختِيارُ قول الجمهورِ: وهو كل عمل صالحٍ أُرِيدَ به اللَّه.(١)

و قال الطاهر بن عاشور: " وَالصَّالِحَاتُ جَمْعُ صَالِحَةٍ وَهِيَ الْفِعْلَةُ الْحَسَنَةُ فَأَصْلُهَا صِفَةٌ جَرَتْ مَجْرَى الْأَسْمَاءِ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ صَالِحَةٌ وَحَسَنَةٌ وَلَا يُقَدِّرُونَ مَوْصُوفًا مَحْذُوفًا" و ذكر قول الحطيئة الذي ذكرناه آنفاً، ثم أردف يقول:"وَالتَّعْرِيفُ هُنَا لِلِاسْتِغْرَاقِ وَهُوَ اسْتِغْرَاقٌ عُرْفِيٌّ يُحَدَّدُ مِقْدَارُهُ بِالتَّكْلِيفِ وَالِاسْتِطَاعَةِ وَالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ"، ثم بين العلة في استخدام (أل) الاستغراقية مع الجمع في كلمة ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ ، و عدم الاتيان بها مع مفردها، علماً أن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع، فذكر تعليل ذلك قائلاً: " إِنَّ أل الْمُعَرِّفَةَ تَأْتِي لِلْعَهْدِ وَتَأْتِي لِلْجِنْسِ مُرَادًا بِهِ الْمَاهِيَّةُ وَلِلْجِنْسِ مُرَادًا بِهِ جَمِيعُ أَفْرَادِهِ الَّتِي لَا قَرَارَ لَهُ فِي غَيْرِهَا فَإِذَا أَرَادُوا مِنْهَا الِاسْتِغْرَاقَ نَظَرُوا فَإِنْ وَجَدُوا قَرِينَةَ الِاسْتِغْرَاقِ ظَاهِرَةً مِنْ لَفْظٍ أَوْ سِيَاقٍ نَحْوِ: ﴿إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[العصر ٢، ٣] وَ﴿تُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ ﴾[آل عمرَان: ١١٩] ﴿وَالْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها﴾ [الحاقة: ١٧] اقْتَنَعُوا بِصِيغَةِ الْمُفْرَدِ لِأَنَّهُ الأَصْل الأخفّ، وَإِنْ رَأَوْا قَرِينَةَ الِاسْتِغْرَاقِ خَفِيَّةً أَوْ مَفْقُودَةً عَدَلُوا إِلَى صِيغَةِ الْجَمْعِ لِدَلَالَةِ الصِّيغَةِ عَلَى عِدَّةِ أَفْرَادٍ لَا عَلَى فَرْدٍ وَاحِدٍ. وَلَمَّا كَانَ تَعْرِيفُ الْعَهْدِ لَا يُتَوَجَّهُ إِلَى عَدَدٍ مِنَ الْأَفْرَادِ غَالِبًا تَعَيَّنَ أَنَّ تَعْرِيفَهَا لِلِاسْتِغْرَاقِ نَحْوُ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمرَان: ١٣٤] لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ أَنَّ الْحَدِيثَ عَلَى مُحْسِنٍ خَاصٍّ و نَحْوُ:﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخائِنِينَ﴾[يُوسُف: ٥٢] لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ أَنَّ الْحَدِيثَ عَنْ خَائِنٍ مُعَيَّنٍ تَعْنِي نَفْسَهَا فَيَصِيرُ الْجَمْعُ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ قَرِينَةً عَلَى قَصْدِ الِاسْتِغْرَاقِ "(٢).

(١) ينظر: البحر المحيط . ١ / ١٨١

(٢) ينظر: التحرير والتنوير . ١ /٣٥٣

و قال الألوسي في روح المعاني :"الصَّالِحاتِ جمع صالحة وهي في الأصل مؤنث الصالح اسم فاعل من صلح صلوحاً وصلاحاً خلاف فسدت، ثم غلبت على ما سوغه الشرع وحسنه".[1]

ومما سبق من أقوال العلماء نجد أن المراد بـ ﴿الصَّالِحَاتِ﴾، الطاعات فيما بين العباد وبين ربهم[2]. أو الأعمال المستقيمة المطلوبة منهم و المفترضة عليهم [3]. بل إن جمهور العلماء قالوا: كل عمل صالح أريد به وجه الله، أي عموم الأعمال الصالحة، كما أن (أل) التعريفية في كلمة ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ هي للاستغراق كما يذكر الطاهر بن عاشور، وهذا يدخلها في العموم الذي يدل على الكثير ؛ أي أن كلمة الصالحات في الآيات السابقة تفيد الكثير، وهذا يتفق مع ما قصده النحاة بقولهم: " إن جمع القلة إذا قُرِنَ بأل التي للاستغراق، أو أضيف إلى ما يدل على الكثرة انصرف بذلك إلى الكثرة ".[4] و لا يقول عاقل: إن الأعمال الصالحة التي استحق المؤمنون عليها البشارة من الله بالجنات والدرجات العاليات هي أعمال قليلة دون العشرة، كيف و هو سبحانه يحب من عباده عمل الصالحات؛ لذا أطلق هذه الكلمة في كثير من الآيات حتى بلغت اثنين و ستين موضعاً في كتاب الله. فإن قال قائل: إن البشارة قد تكون لمن آمن، حتى ولو لم يعمل الصالحات، و قد تكون لمن آمن و عمل القليل من الصالحات . قلنا إن الإيمان وحده لا يكفي، و لو كان كافيا ؛ لما عطف الله سبحانه في الآية العمل الصالح على الإيمان، ولأصبح هذا العطف تكراراً .[5] و أما الجواب على القول الثاني: فإن كلمة ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ وقعت في محل نصب مفعول به للأفعال (عملوا و يعملون) حيث الفاعل فيهما الضمير العائد على جماعة المؤمنين، فلو قلنا: إن هناك من المؤمنين من عمل القليل من

(١) ينظر: روح المعاني للألوسي . ١ / ٢٠٣

(٢) ينظر: تفسير بحر العلوم . ١ / ٣٦

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني . ١ / ٦٥

(٤) ينظر: توضح المقاصد و المسالك بشرح ألفية ابن مالك . ٣ / ١٣٧٨

(٥) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .١٠ / ١٠٨

الصالحات، فإن هذه الأعمال الصالحة القليلة لكل مؤمنٍ منهم، فتكثر باجتماعهم و دخولهم في زمرة المؤمنين ؛ فإن قال قائل: إن كلمة ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ و قعت مفعولاً به لفعل فاعله مفرد في قوله :﴿ قد عمل الصالحات ﴾، قلنا: إن فرقة من المفسرين قالوا: إن هذه الآية بجملتها من كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه، وقالت فرقة: بل هي من كلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم تنبيها على قبح ما فعل فرعون، وحسن ما فعل السحرة.(١)وقد جاءت عقب الآية التي ذكرتْ عقابَ المجرم الذي اكتسب الخطايا والجرائم، والذي هو بحاجة إلى الإكثار من الأعمال الصالحة بعد إيمانه و توبته؛ حتى يفوز بالدرجات العلى، وهي تحكي حال السحرة ، و ما كانوا فيه من ظلال و إجرام ثم آمنوا و تابوا و اتبعوا ما جاء به موسى عليه السلام، فهم في أمسِّ الحاجة إلى الإكثار من الأعمال الصالحة؛ حتى يغفر الله لهم إجرامهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ انَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .(٢) فهي هنا تفيد التكثير ؛ لا سيما أن الله سبحانه و عدهم بالدرجات العلى جزاء إيمانهم و عملهم للصالحات، و لا يقول أحدٌ :إن تلك الدرجات العلى في الجنات يجعلها الله سبحانه لذوي الأعمال الصالحة القليلة وهو سبحانه ذو العدل و الحكمة .

و بهذا نقول أن كلمة ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ في هذه الآيات السابقة تفيد الكثير . و ما قيل مما سبق يمكن القول به في جميع الآيات التي على هذه الشاكلة. والله أعلم.

ثانياً: المواضع التي جاءت فيها كلمة (الصالحات) دالة على الكثرة، في موقع جر بـ (مِنْ) ثلاثة مواضع وهي :

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٤ / ٥٣

(٢) ينظر: سورة الشعراء الآية ٥١ .

١. قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء:١٢٤].

٢ . قال تعالى:﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَ لَا هَضْمًا ﴾ [طه:١١٢].

٣ . قال تعالى:﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾[الأنبياء: ٩٤].

يقول الله سبحانه في الآية الأولى: إنما يدخل الجنة وينعم فيها في الآخرة، من يعمل من الصالحات من ذكوركم وإناثكم، وذكور عبادي وإناثهم، وهو مؤمن بي وبرسولي محمدٍ، مصدق بوحدانيتي وبنبوّة محمدٍ صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عندي لا أنتم أيها المشركون بي، المكذبون رسول، فلا تطمعوا أن تحلّوا، وأنتم كفار، محلَّ المؤمنين بي، وتدخلوا مداخلهم في القيامة، وأنتم مكذِّبون برسولي.(١) وقيل: لما نزلت ﴿لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَلا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ﴾ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، فنزلت ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ﴾، وهذه تدل على ارتباط الإيمان بالعمل الصالح، فلا يقبل أحدهما إلاّ بوجود الآخر.(٢) وفي الآية الثانية يذكر الله جزاء أهل طاعته و عقاب أهل معاصيه، فقوله:﴿ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا ﴾ فلا يخاف من الله أن يظلمه، فيحمل عليه سيئات غيره، و قوله :﴿وَلا هَضْمًا﴾ لا يخاف أن يهضمه حسناته، فينقصه ثوابها. وفي الآية الثالثة يبين الله أن من عمل من هؤلاء الذين تفرقوا في دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح، فإن الله يشكر عمله الذي عمله، وهو به مؤمن، ولا يحرمه ثوابه على عمله الصالح، و يكتبه له و يجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره.

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٩ / ٢٤٨

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير . ١ / ٤٧٨

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة هي كلمة ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ المجموعة بألفٍ وتاء لكلمة (صالحة) و المعرفة بـ (أل) و المجرورة بحرف الجر من، و (مِن) زائدة عند الأخفش. وصفة عند سيبويه. أي: شيئا من الصالحات .[1] ذكر ذلك الطبري عن أقوامٍ، وقال أبو حيان: إنها للتبعيض ؛ لأنَّ كل واحد لا يتمكن من عمل كل الصَّالحاتِ، وإنما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه، و بين العلة في عدم القول بزيادتها ؛ كونها في أسلوب شرطٍ و بعدها معرفة، فالقول بزيادتها ضعيف .[2]

وقال ابن عطية الأندلسي: (مِنْ) للتبعيض ،إذ الصَّالِحاتِ على الكمال مما لا يطيقه البشر، ففي هذا رفق بالعباد، و في تفسيره [لآية طه ١١٢] قال: وفي قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحاتِ﴾ تيسير في الشرع لأنها (مِنْ) التي للتبعيض .[3]

و ذكر الطبري رحمه الله لدخول (مِنْ) على الشرط في قوله تعالى:﴿و مَن يعمل مِنْ الصالحات﴾ وجهين، أحدهما: أن يكون الله قد علم أن عبادَه المؤمنين لن يُطيقوا أن يعملوا جميع الأعمال الصالحات، فأوجب وَعده لمن عمل ما أطاق منها، ولم يحرمه من فضله بسبب ما عجزتْ عن عمله منها قوّته.

والآخر: أن يكون تعالى ذكره أوجب وعدَه لمن اجتنب الكبائر وأدَّى الفرائض، وإن قصر في بعض الواجب له عليه، تفضلا منه على عباده المؤمنين، إذ كان الفضل به أولى، والصفح عن أهل الإيمان به أحرَى.[1]

---

(١) ينظر: محاسن التأويل. ٣ / ٣٨٤

(٢) ينظر: البحر المحيط . ٤ / ٧٦

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٢ / ١١٧، ٤ / ٦٥

و قال الإمام الشوكاني: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ﴾ أَي: بعضها.[٢] وقيل: الصَّالِحاتِ أي: شيئاً من الفرائض وأعمال البِرّ .[٣]

و مما سبق من أقوال العلماء نجد أن كلمة ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ في الآيات الثلاثة السابقة، جاءت مجرورة بـ (مِنْ) التي هي للتبعيض، أي أن الله سبحانه و تعالى أوجب وعده لعبادة الذين أدوا بعض هذه الصالحات مع كونهم مؤمنين، وهذا من تيسير الله ولطفه بعباده، إذ علم سبحانه عجزهم وضعفهم عن أداء الصالحات جميعها لكثرتها، فجاءت هذه الكلمة معرفة بـ(أل) الاستغراقية؛ لتفيد الكثرة، موافقة لما قعد له النحاة . والله أعلم .....

ثالثاً :المواضع التي جاءت فيها كلمة (الصالحات) في محل رفع دالة على الكثرة وهي موضع واحد .

قال تعالى:﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنّ واهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء ٣٤].

لما نهى الله تعالى كلًّا من الرجال والنساء عنْ تمني ما فضل به بعضهم على بعض، وأرشدهم إلى الاعتماد في أمر الرزق على كسبهم، وأمرهم أن يؤتوا الوارث نصيبهم، ولما كان من جملة أسباب هذا البيان ذكر تفضيل الرجال على النساءِ في الميراث والجهاد كان لسائل هنا أن يسأل عن سبب هذا الاختصاص، وكان جواب سؤاله قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن٩ / ٢٤٩

(٢) ينظر: تفسير فتح القدير للشوكاني .١ / ٥٩٨

(٣) ينظر: تفسير زاد المسير في علم التفسير . ٣ / ٢١١

النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، ثم بين سبحانه تفصيلاً لحال النساء في هذه الحياة المنزلية التي تكون المرأة فيها تحت رئاسة الرجل، و ذكر أنهنَّ فيها قسمين: صالحات وغير صالحات، وأنَّ من صفة الصالحات القنوت، وهو السكون والطاعة للَّه تعالى، وكذا لأزواجهن بالمعروف وحفظ الغيب.(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة هي كلمة ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ وهي جمع بألفٍ وتاء لكلمة (صالحة)، وقد وقعت في محل رفع مبتدأ، و ما بعدها خبر لها .(٢) وقد جاءت تفيد الكثرة؛ إذ هي معرفة بـ (أل) و يقصد بها النساء المحسنات لأزواجهن، أو اللائي أصلحهن الله لأزواجهن ومنه قوله تعالى: ﴿ و أصلحنا له زوجه ﴾ و قيل: اللواتي أصلحن أقوالهن و أفعالهن.(٣) ولا يقول أحد: إن النساء المحسنات لأزواجهن أو اللائي أصلحهن الله لأزواجهن أو اللواتي أصلحن القول و الفعل قليل .

و لهذا جاءت كلمة ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ معرفةً بـ (أل) لتفيد الكثرة، قال السمين:"الصالحات في القراءة المشهورة معرفةٌ بأل، وقد تقدَّم أنه تكونُ للعموم، إلا أنَّ العمومَ المفيدَ للكثرةِ ليس مِنْ صيغةِ الجمع، بل من (أل) و ذكر أنها قُرئت ﴿فالصوالح قوانت حوافظ﴾ بالتكسير، قال ابن جني:"وهي أشبهُ بالمعنى لإعطائها الكثرةَ، وهي المقصودةُ هنا". (٤)

و مما سبق ذكره نجد أن كلمة ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ جاءت في هذه الآية في موضع الكثرة، فهي جمع بألف و تاء معرفة بأل غير العهدية، وهذا على قاعدة النحاة فيما يفيد الكثرة في بابه.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار. ٥ / ٥٥ ـ ٥٨

(٢) ينظر: الدر المصون ٣ / ٦٧٠ ، و ينظر : اللباب في علوم الكتاب . ٦ / ٣٦١

(٣) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان . ٣ / ٦٢٤

(٤)ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢ / ٦٧٢

والله أعلم.

١٣ . كلمة (الصدقات) وردت هذه الكلمة معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في ستة مواضع من كتاب الله، وقد جاءت في ثلاثة مواضع منها في محل نصب، وفي محل جر في موضعين، وفي محل رفعٍ جاءت في موضعٍ واحد . و سأتناول بالبحث والدراسة الموضع الذي وقعت فيها اختلافات نحوية وتفسيرية بين العلماء، و ما يقال حوله يمكن القول به على بقية الآيات، و موضع الدراسة هنا هو :

قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة ٢٧١]

ذهب جمهورُ المفسِّرين إلى أنَّ هذه الآية في صدقة التطوع، لأَنَّ الإِخفاء فيها أفضل من الإِظهار، وكذلك سائر العبادات الإِخفاء أفضل في تطَوعها لانتفاءِ الرِّياء عنها، وليس كذلك الواجبات. قال الحسن: إظهار الزَّكاة أحسن، وإخفاء التَّطوع أفضلُ، لأَنه أدلُّ على أنَّه يراد اللَّه عزَّ وجلَّ به وحده. قال ابن عبَّاس: جعل اللَّه صدقة السِّرِّ في التطَوع تفضل علانيتها يقال بسبعين ضعفًا، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرِّها يقال بخمسةٍ وعشرِين ضعفًا. قال: وكذلك جميع الفرائض والنّوافل في الأشياء كلِّها.(١)

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿الصَّدَقَاتِ﴾، وهي جمع بألف وتاء زائدتين لكلمة(صدقة)، و الصدقات في الظاهر للعمومِ، فتشمل المفروضة والمتطوَّع بها،

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي. ٣ / ٣٣٢

وقيل: المراد هنا صدقات التَّطوُّع دون الفرض، وعليه جمهور المفسِّرين، وقاله سفيان الثَّوري.[1] وقيل: الآية في صدقة التطوُّع؛ أما الزكاة المفروضة، فالإظهار فيها أفضل؛ حتى يقتدي الناس به؛ كالصلاة المكتوبة في الجماعة، والنافلة في البيت أفضل.

واعلم أنَّ الصدقة تطلق على الفرض والنَّفل؛ قال تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال:﴿إِنَّمَا الصدقات لِلْفُقَرَآءِ والمساكين﴾ [التوبة: ٦٠]، وقال – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (نَفَقَةُ المرْءِ عَلَى عِيَالِهِ صَدَقَةٌ) والزكاة لا تطلق إلاَّ على الفرض.[2]

لذلك جاءت هنا كلمة ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ معرفة بـ (أل) الاستغراقية لتدخل بها في العموم والكثرة، على قاعدة النحاة، إذ لا يقول أحد إن الصدقات سواءً المفروضة أو النافلة قليلة، قال الطاهر ابن عاشور: والتَّعريفُ في قوله: الصَّدَقاتِ تعريف الجنسِ، ومحمله على العموم فيشملُ كلَّ الصَّدقات فرضها ونفلها، وهو المناسب لموقع هذه الآية عقب ذكر أنواع النَّفقات.[3]

والله أعلم

١٤ . كلمة (الطيبات) وردت هذه الكلمة معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في اثني عشر موضعاً من كتاب الله عز و جل ثلاثةٍ منها في محل رفع، و اثنين في محل نصب، و في سبعة مواضع جاءت مجرورة بـ (من)و سوف أتناول آيتين من تلك الآيات بالبحث والدراسة، الآية الأولى هي الرابعة من سورة المائدة حيث أنها الموضع الأول، والآية الثانية هي الآية السبعون من سورة الإسراء، و ما يقال في هاتين الآيتين يمكن القول به في بقية الآيات التي على شاكلتها .

(١) ينظر: البحر المحيط . ٢ / ٦٨٨

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب . ٤ / ٤٢٥

(٣) ينظر: التحرير و التنوير . ٣ / ٦٧

أولاً: من المواضع التي وقعت فيها كلمة (الطيبات) في محل رفع :

١ . قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ ﴾ [المائدة ٤]

لما ذكر تعالى ما حرمه في الآية المتقدمة من الخبائث الضَّارة لمتناولها إمَّا في بدنه أو في دينه أو فيهما، واستثنى ما استثناه في حالة الضَّرورة كما قال تعالى:﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩] قال بعدها ﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ﴾ كما فِي سورة الأعرافِ في صفة محمَّدٍ صلى اللَّه عليه وسلَّم أنَّه يحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث .[١]

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث في هذه الآية هي كلمة ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ وهي جمع بألفٍ وتاء، وقد وقعت نائب فاعل للفعل (أُحلَّ) الذي لم يسم فاعله . [٢] و ذكر أبو حيان أن العرب لَمَّا كانت تحَرمُ أشياء من الطيِّبات كالبحيرة، والسَّائبةِ، والوصيلةِ، والحام، بغير إذنٍ من اللَّه تعالى، قرَّر هنا أنَّ الذي أُحِلَّ هي الطيِّبَاتُ، والطيِّبُ في لسانِ العربِ يستعملُ للحلالِ وللمستلَذِّ .[٣] و قيل: الطيِّباتُ ما ليس بخبيث، وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب أو سنة أو قياس مجتهد.[٤]

و قيل: يعني بالطيبات الحلال .[٥] وقيل أيضاً :﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه، وإلى ذلك ذهب البلخي، وعن أبي علي الجبائي وأبي مسلم هي ما أذن سبحانه

(١) ينظر: تفسير ابن كثير . ٣ / ٢٨
(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه . ٢ / ٤١٤
(٣) ينظر: البحر المحيط .٤ / ١٧٨ ـ ١٧٩
(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري .١ / ٦٠٦
(٥) ينظر: تفسير الماوردي . ٢ / ١٤

في أكله من المأكولات والذبائح والصيد، وقيل: ما لم يرد بتحريمه نص أو قياس. [1] والطيب – على هذين القولين– بمعنى الحلال، وعلى الأول بمعنى المستلذ، والحلال والمستلذ كثير و لله الحمد، و هذا من رحمة الله بعباده .

٢ . قال تعالى:﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور ٢٦]

بعد أن برأ اللَّه عائشة رضي اللَّه عنها ممَّا قاله عصبة الإفك، و فضحهم و بين أنَّهم ما جاؤوا إلَّا بسيء الظَّنِّ واختلاق القذف وتوعدهم وهددهم، و تاب على الذين تابوا، ثنَّى سبحانه و تعالى ببراءةِ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من أن تكون له أزواجٌ خبيثات لأنَّ عصمته وكرامتهُ على اللَّه يأبى اللَّه معها أن تكون أزواجه غير طيباتٍ. فمكانة الرَّسول صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كافيةٌ في الدَّلالة على براءة زوجه وطهارة أزواجه كلهن.

دراسة المسألة :

في هذه الآية نجد كلمة ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ و ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ وهما جمعان لكلمتي (طيبة، و خبيثة) و قد جمعتا بألف وتاء، وعرفتا بـ (أل) التي هي للجنس لتدل على الكثرة، وهما صفتان لموصوفين محذوفين يدل سياق الآية عليهما. وقد اختلف المتأولون في الموصوفين في هذه الآية فقال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة: هي الأقوال والأفعال ثم اختلفت هذه الجماعة فقال بعضها: المعنى الكلمات والفعلات﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ لا يقولها و يرضاها إلا الْخَبِيثاتُ من الناس فهي لهم وهم لها بهذا الوجه، وكذلك ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ لِلطَّيِّبِينَ وقال بعضها: المعنى الكلمات والفعلات

(١) ينظر: روح المعاني للألوسي . ٣ / ٢٣٥

الخبيثات لا تليق وتلصق عند رمي الرامي وقذف القاذف إلا بالخبيثين من الناس فهي لهم وهم لها بهذا الوجه، وقال ابن زيد: الموصوف بالخبيث والطيب الرجال والنساء وهي قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً﴾ [النور: ٣].(١) و قيل أن المعنى الزانيات للزناة .(٢)

و قد وجدنا فيما سبق ذكره أن العلماء مجمعون على أن ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ في الآية الرابعة من سورة المائدة بمعنى الحلال أو المستلذ، أو كل ما لم يحرم بنص الكتاب و السنة، و هو كثير ولله الحمد، وهذا من رحمة الله بعباده ؛ وهم مختلفون في المقصود بها في آية النور من حيث المعنى، إلا أن تفسيراتهم كلها دالة على العموم والكثرة، فالأقوال والأفعال الطيبة كثيرة ؛ لذا وجب أن تكون كلمة ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ في هذه الآية تفيد الكثير، وقد جاءت مجموعة بألف وتاء معرفة بـ(أل) الاستغراقية على قاعدة جمهور النحاة .

ثانياً: من المواضع التي جاءت فيها كلمة (الطيبات) في موقع جر بـ(من)

١ . قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [الإسراء ٧٠]

تبين هذه الآية إن الله تعالى فضل الإنسان على سائر الحيوانات، بأمور خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المديدة، ثم إنه عز وجل رزقهم من الطيبات، ثم فضلهم على كثير من خلقه تفضيلاً، ولذا عقب لذلك بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا﴾(٣)

دراسة المسألة :

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤ / ١٧٤، ينظر البحرالمحيط . ٢٤٨/٢

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس . ٣ / ٩٢

(٣) ينظر: روح المعاني . ٨ / ١١٢

كلمة ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ في هذه الآية هي المعنية بالدراسة، و قد جاءت مجرورة بـ (من) البعضية، أي أن الله رزقهم مما خلق من الطيبات التي لا يمكن حصرها، فنعم الله وافرة، و لا يُعطاها الإنسان كلها و من ذلك قوله: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر ٢١] .

والطيبات الحلالُ أو المسْتَلَذُّ، ولا يتَّسعُ غير الإنسان فِي الرِّزْقِ اتِّساعه فيه؛ لأنَّه يكتسب المال ويلبس الثِّياب ويأكل المركب من الأطعمة بخلاف الحيوان .(١) و قيل: الطيِّباتِ لذيذ المطاعمِ والمشاربِ وسائرِ ما يستلذُّونهُ وينتفعونَ به .(٢)

و قيل: الطَّيِّباتِ أي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم من المأكولات والملبوسات والمفروشات والمقتنيات وغير ذلك.(٣)

و مما سبق نجد أن كلمة ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ تعني جميع النعم التي أنعم بها الله على عباده وأحلها لهم، وهي أكثر من أن تعد هنا أو تحصى، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم٣٤] . والإنسان قد ينسى ما رزقه الله من الطيبات بطول الألفة، فلا يذكر الكثير من هذه الطيبات التي رُزِقها إلا حين يُحرمها. فعندئذ يعرف قيمة مايستمتع به، ولكنه سرعان ما يعود فينسى. هذه الشمس. وهذا الهواء، وهذا الماء، وهذه الصحة، وهذه القدرة على الحركة، وهذه الحواس، وهذا العقل، و هذه المطاعم والمشارب والمشاهد، وهذا الكون الطويل العريض الذي استخلف فيه، وفيه من الطيبات ما لا يحصيه.

(١) ينظر: البحر المحيط . ٧ / ٨٥

(٢) ينظر: تفسير فتح القدير . ٣ / ٢٩٠

(٣) ينظر: تفسير روح المعاني للألوسي . ٨ / ١١٢

كلها من نعم المنعم سبحانه، وهي من الطيبات التي جعلها الله لعباده؛ لذا جاءت كلمة ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ مجموعة بألف وتاء معرفةً بـ (أل) لتفيد الكثير وتدل عليه على قاعدة النحاة.

١٥ . كلمة (الظلمات) وردت هذه الكلمة معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في ثلاثة عشر موضعا من كتاب الله، وقد جاءت في عشرة مواضعٍ منها في محل جر بحرف الجر، وفي موضعٍ واحدٍ في محل نصب مفعول به، وفي محل رفعٍ جاءت في موضعين اثنين. و سأتناول بالبحث والدراسة الآيات التي وقعت فيها اختلافات نحوية وتفسيرية بين العلماء، و ما يقال حولها يمكن القول به على بقية الآيات، و مواضع الدراسة هي :

١ . المواضع التي جاءت فيها كلمة (الظلمات) في محل جر و منها:

قال تعالى: ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّار هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة ٢٥٧]

تبين هذه الآية الكريمة أن الله وليُّ الذين آمنوا، يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر إلى الإيمان. والذين كفروا و صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك. أو أن اللَّه ولىّ المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين- إن وقعت لهم- بما يهديهم ويوفقهم له من حلها، حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين، والذين كفروا أولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة.(١)

دراسة المسألة:

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري . ١ / ٣٠٤

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿الظُّلُمَاتِ﴾، وهي جمع بألف و تاء زائدتين لكلمة (ظلمة)، وقد جاء هنا في محل جر بحرف الجر، والجار والمجرور متعلق بالفعل﴿يُخْرِجُهُمْ﴾، والألف و اللام فيها للجنس وقد وقع الخلاف بين جمهور المفسرين رحمهم الله في المقصود بهذه الظلمات . قال قتادة: الظُّلمات الضلالة. والنُّور الهدى. وبمعناه قال الضحاك والربيع.(١) وقيل: الظلمات التابعة للكفر أو ظلمات المعاصي و الشبه كيف كانت .(٢)

وبهذا يتعين أن كلمة ﴿الظُّلُمَاتِ﴾في هذه الآية جاءت دالة على الكثرة ؛ إذ هي على قاعدة النحاة، في كونها معرفة بـ (أل)، كما أن قوله سبحانه: ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ متعلق بالفعل ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾ وهو فعل مضارع، يفيد التكرار والاستمرار ؛ أي أن الإخراج من الظلمات إلى النور مستمر و متكرر وهذا دليل على الكثرة لكثرة وقوع الفعل . ثم إنه لا يقول أحدٌ إن ظلمات الكفر و الشرك والظلال والمعاصي قليلة، بل هي كثيرة عافنا الله و إياكم منها . قال أبو حيان: "جمعت الظُّلمات لاختلاف الضَّلالات، ووحِّد النُّور لأنَّ الإيمان واحدٌ".(٣) وهو رأي جيد ويرجحه عندي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام ١٥٣] .

٢ . المواضع التي جاءت فيها كلمة (الظلمات) في محل نصب مفعول به و منها :

قال تعالى:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام١]

(١) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ١ / ٣٤٥

(٢) ينظر: روح المعاني للألوسي . ٢ / ١٥

(٣) ينظر: البحر المحيط . ٢ / ٦١٨

تبين هذه الآية جانباً من جوانب إنعام الله على خلقة، بل إن الخبر فيها يُنْحَى به نحو الأمر فيقول: أخلصوا الحمد والشكر للذي خَلَقَكم، أيها الناس، وخلق السماوات والأرض، ولا تشركوا معه في ذلك أحدًا أو شيئًا، فإنه المستوجب للحمد وحده دون غيره، والشكر له على نعمه عليكم دون سواه، فاعبدوه ولا تجعلوا له شريكًا من خَلْقه.(١)

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿الظُّلُمَاتِ﴾، وهي جمع بألف وتاء زائدتين لكلمة (ظلمة)، و قد وقعت في محل نصب مفعول به للفعل ﴿جعل﴾، والنحاة مختلفون في معنى هذا الفعل هنا، فالزمخشري يرى أنه بمعنى (أحدث وأنشأ) لذلك نصب مفعولاً به واحداً وهو الظلمات، ولو كان بمعنى صير لنصب مفعولين كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً﴾ [الزخرف ١٩] . وجمهور النحاة على أنها بمعنى (خلق) كما في قوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ .(٢) و يحسن هذا القول أن الصلة الأولى ذكر فيها جمعٌ ثم مفرد في قوله :﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ؛ فعُطف عليها جملةٌ فيها جمع ثم مفرد، وهذا من باب المقابلة .

المراد هنا بـ ﴿الظُّلُماتِ وَالنُّورَ﴾، قال قتادة والسُّدِّيُّ والجمهور: الليل والنَّهار. وقال ابن عبَّاسٍ: الشِّرك والنِّفاق والكفرُ والنُّور والإسلام والإيمانُ والنبُوة واليقينُ. وقال الحسن: الكفر و الإيمان.(٣)

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن . ١١ / ٢٤٧

(٢) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٤ / ٥٢٤

(٣) ينظر: البحر المحيط . ٤ / ٤٢٩

إلا أنه سبق ذكره نجد أن كلمة ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ في هذه الآية تدل على الكثرة ؛ إذ إن جمهور المفسرين يقولون إنها الليل و الليل ظلماته كثيرة لتعاقبه مع النهار منذ خلق الله هذا الكون، فبعد كل نهار ظلمة ليل، ومن قال: إنها الشرك والكفر، قلنا: لا يقول أحد إن ظلمات الكفر والشرك قليلة، ثم إن الألف واللام فيه للجنس و التعريفُ الجنسيُّ يستوي فيه المفرد والجمع، فإن قيل: ما دليل الكثرة فيه ؟ قلتُ: ما ذُكر سابقاً في آية البقرة من كلام أبي حيان حين قال: "جمعت الظُّلمات لاختلاف الضَّلالات، ووحِّد النُّور لأنَّ الإيمان واحدٌ"[1]. هذا إن كان لفظ (الظلمات و النور) حقيقة، و إن كان اللفظ مجازاً، فقول الزمخشري:" أن الظلمات من الظل، إذ ما من جنسٍ من أجناس الأجرام إلا وله ظل، وظله هو الظلمة، بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار".[2] و الظلمات وقعت مفعولاً به للفعل جعل و الذي هو بمعنى خلق عند جمهور النحاة، فيكون المعنى أن الله خلق من كل ذي ظل ظلمة ؛ وهذا يفيد الكثرة ؛ لكثرة ذوات الظل .

و بهذا تكون كلمة ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ في الآيتين السابقتين دالة على الكثرة على قاعدة النحاة؛ إذ هي جمع بألف وتاء (جمع قلة) معرفة بـ (أل) الاستغراقية، و يمكن القول بهذا على بقية الآيات التي على شاكلتهما . و الله أعلم .

١٦ . (العاديات و الموريات و المغيرات) وردت هذه الكلمات معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في موضع و احد من كتاب الله، و ذلك في مستهل سورة العاديات.

قال تعالى:﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) ﴾ [العاديات ١ – ٣]

(١)ينظر: البحر المحيط . ٤ / ٤٢٩

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري .٢ / ٤

يقسِم تعالى بالخيل إذا أجريتْ في سبيله فعدت وضبحت، وهو: الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو. ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ يعني: اصطكاك نعالها للصَّخر فتقدح منه النَّار.﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ يعني: الإغارة وقت الصَّباح.(١)

دراسة المسألة:

الكلمات المعنية بالبحث والدراسة هنا هي:﴿الْعَادِيَاتِ﴾ و ﴿الْمُورِيَاتِ﴾ و ﴿الْمُغِيرَاتِ﴾ و هي جموع بالألف والتاء الزائدتين، معرفة بـ (أل) الاستغراقية والتي هي للجنس ؛ داخلة بها في العموم و الكثرة، و ﴿الْعَادِيَاتِ﴾ صفة للخيل و قد وقعت في محل جر على القسم، و﴿الْمُورِيَاتِ﴾ و ﴿الْمُغِيرَاتِ﴾ معطوفة على العاديات، و العطف بالفاء يقتضي التعقيب، وفي هذا دليل على أن هذه الأوصاف لذات واحدة .

و قد اختلف المفسرون في تأويلاتهم للمقصود بـ ﴿الْعَادِيَاتِ﴾، فعن ابن عباس رضي الله عنه: أنها الخيل تعدو في سبيل الله، وهو المشهور عند الجمهور . وقيل: هي الإبل تعدو بالحجيج من عرفة إلى مزدلفة، قاله أبو عبد اللَّه وعليّ وإبراهيم والسُّدِّيُّ ومحمَّد بن كَعبٍ وعبيد بن عمير.(٢) وقد روي هذا القول عن علي رضي الله عنه، نقل عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سُئلتُ عنها، ففسرتها بالخيل؛ وكان علي – رَضِيَ اللَّهُ عَنْه – تحت سقاية زمزم، فذكر له ما ذكرتُ، فدعاني فلما وقفت على رأسه، قال: تفتي الناس بغير علمٍ، والله إنها لأولُ غزوةٍ في الإسلامِ، وهي بدر، ولم يكن معنا إلا فرسان: فرسٌ للمقدادِ، وفرس للزبير، فكيف تكون

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٨ / ٤٦٥

(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان . ١٠ / ٥٢٧

العاديات ضبحاً؟ إنما العاديات الإبل من «عرفة» إلى «المزدلفة»، ومن «المزدلفة» إلى «منى» يعني إبل الحاج.(١)

و عليه فـ ﴿الْعَادِيَاتِ﴾ و ﴿الْمُورِيَاتِ﴾ و ﴿الْمُغِيرَاتِ﴾ سواء، عُني بها الخيل أم الإبل، فإنها دالة على الكثرة، إذ هي معرفات بـ (أل) الاستغراقية التي هي للجنس و التي تفيد الاستغراق في الكثرة، وهذا يوافق ما ذكرة جمهور النحاة .

وعلى رأي الجمهور إن كانت تلك الأوصاف للخيل التي تعدو في سبيل الله فلا يقول عاقل بأنها قليلة . ثم إن أصحاب الرأي الآخر جعلوا الأوصاف للإبل حين تعدو بالحجيج من عرفة إلى مزدلفة، وحجتهم في ذلك أنه لم يكن معهم في غزوة بدر سوى فرسين فرس للمقداد وفرس للزبير، وهذا إن صح، فهو دليل على أنهم فهموا أن كلمات ﴿الْعَادِيَاتِ﴾ و ﴿الْمُورِيَاتِ﴾ و﴿الْمُغِيرَاتِ﴾ تفيد الكثرة لذلك ردوا القول بأنها الخيل؛ إذ لم يكن معهم إلا فرسان في غزوة بدر؛ وهذا يثبت لنا أن الألفاظ المعنية تعني عندهم الكثرة . والله أعلم..

١٧ . كلمة (المحصنات) وردت هذه الكلمة معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في سبعة مواضع من كتاب الله ثلاثة منها في سورة النساء، و اثنين في المائدة واثنين في سورة النور، و سنتناول بالبحث والدراسة الآية الرابعة والعشرين من سورة النساء و الآية الخامسة من سورة المائدة و الرابعة من سورة النور، وذلك لما سنجد من مفارقات في معنى كلمة (المحصنات) في هذه الآيات .

١ . قال تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء ٢٤]

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب . ٢٠ / ٤٥٥

٢ . قال تعالى:﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ [المائدة ٥]

٣ . قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[النور ٤]

جاءت الآية الرابعة و العشرون من سورة النساء تتمّة لبيان المحرمات من النساء، ثم بعد ذلك بيّنت المحللات من النساء بعبارة جامعة، ثم بعبارة مفصلة لحال الإماء.(١) و في الآية الخامسة من سورة المائدة يخبر الله سبحانه أنه كما أتم النعمة في الدين بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ فإنه أتم النعمة في الدنيا، من إحلال الطيبات والملذات الدنيوية .(٢) و في الآية الرابعة من سورة النور و بعد أن بين الله سبحانه عقاب مرتكب جريمة الزنا، والأحكام المتعلقة به، استعار الرمي للشتم بفاحشة الزّنا لكونه جناية،ويسمَّى هذا الشَّتم بهذه الفاحشة الخاصة: قذفًا، والمراد بالمحصَنات: النِّساء، وخصهنَّ بالذِّكر لأنَّ قذفهنَّ أشنع والعار فيهنَّ أعظم.(٣)

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآيات هي كلمة ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾و هي جمع بألف وتاء لكلمة (المحصنة) و قد وقعت في آية النساء في محل رفع، عطف على ما تقدم من المحرمات، و في آية المائدة وقعت عطف على الطيبات أو مبتدأ والخبر محذوف؛ لدلالة ما تقدم

(١) ينظر: تفسير زهرة التفاسير . ٣ / ١٦٣٦

(٢) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب = التفسير الكبير للرازي. ١١ /٢٩٣

(٣) ينظر: تفسير فتح القدير للشوكاني . ٤ / ٩

عليه.[1] و تدل على المنعة والمنع، ومنه (الحِصْن) لأنه يُمْنع به، و (حِصان) للفرس من ذلك. ويقال: أَحْصَنَتِ المرأةُ وحَصُنَتْ، ومصدرُ حَصُنَت: (حُصْن) عن سيبويه و (حَصانة) عن الكسائي وأبي عبيدة، واسمُ الفاعلِ من أَحْصَنَتْ مُحْصَنة، ومن حَصُنت حاصِن، و قرأ الجمهور هذه اللفظة سواء كانت معرفة بـ (أل) أم نكرة بفتح الصاد، أي أنهن (مفعولات) والكسائي بكسرها في الجمع إلا قوله:﴿والمحصَنات مِنَ النساء﴾ في رأس الجزء فإنه وافق الجمهور. و جعل كلمة ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ للمفعولات فيه وجهان، أشهرهما: أنه أَسْند الإحصان إلى غيرهن، وهو إمَّا الأزواج أو الأولياء، فإن الزوج يُحْصِنُ امرأته أي: يُعِفُّها، والوليَّ يُحصِنُها بالتزويجِ أيضاً والله يُحْصِنُها بذلك. والثاني: أنهمن باب ما شَذَّ فيه فتحُ عين اسم الفاعل و هو في ثلاثة ألفاظَ: أَحْصَنَ فهو مُحْصَن وأَلْقح فهو مُلْقَح، وأَسْهَب فهو مُسْهَب.

وأمَّا الكسر و الذي قال به الكسائي فإنه أسند الإحصان إليهن؛ لأنهن يُحْصِنَّ أنفسهن بعفافهن، أو يُحْصِنَّ فروجهن بالحفظ، أو يُحْصِنَّ أزواجهن. ولم يقرأ بالفتح إلا في قوله تعالى: ﴿والمحصَنات مِنَ النساء﴾ فالمعنى: أن أوزاجَهُنَّ أحصنوهن، فهن مفعولاتٌ.

و قد وردت كلمة ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ في الآيات الثلاث الآنفة الذكر بمعان مختلفة، وهذا كان السبب لانتقاء هذه الآيات و دراستها و البحث فيها، فالإحصانُ في القرآن يُراد به أحدُ أربعة معانٍ: التزوج أو العفة أو الحرية أو الإسلام. وفي الآية الرابعة والعشرين من سورة النساء تنفك معرفته بالاستثناء الواقع بعده: فإن أُريد به هنا التزوُّجُ، فكان المعنى: وحُرِّمت عليكم المحصنات أي: المزوجات إلا النوعَ الذي ملكته أيمانكم: إما بالسَّبْي أو بمِلْكٍ مِنْ شَرْي وهبة وإرثٍ، وهو قولُ بعضِ أهل العلم، ويدلُ على الأول قولُ الفرزدق:

وذاتِ حَليلٍ أَنْكَحَتْها رماحُنا ... حَلالٌ لِمَنْ يَبْني بها لم تُطَلَّقِ

(١) ينظر: تفسير روح المعاني للألوسي . ٣ / ٢٣٨

يعني: أنَّ مجردَ سبائِها أحلَّهَا بعد الاستبراءِ. وإنْ أُريد به الإسلام أو العفةُ فالمعنى أنَّ المسلماتِ أو العفيفاتِ حرامٌ كلهن، يعني فلا يُزْنى بهن إلا ما مُلِك منهن بتزويجٍ أو مِلْك يمين، فيكون المرادُ ب ﴿مَا مَلَكْتَ أَيْمَانُكُمْ﴾ التسلُّطَ عليهن وهو قَدْرٌ مشترك، وعلى هذه الأوجه الثلاثة يكونُ الاستثناء متصلاً. وإنْ أريد به الحرائرُ فالمرادُ إلا ما مُلِكت بمِلْكِ اليمينِ، وعلى هذا فالاستثناءُ منقطع.(١)

و قال الألوسي: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ﴾ عطف على ما قبله من المحرمات. والمراد بهن على المشهور ذوات الأزواج، أحصنهن التزوج أو الأزواج الأولياء أي منعهن عن الوقوع في الإثم، وأجمع القراء كما قال أبو عبيدة: على فتح الصاد فيها .(٢)

و في آية المائدة جاءت كلمة ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ عطف على الطيبات أو مبتدأ والخبر محذوف لدلالة ما تقدم عليه تقديره (حلٌ لكم)(٣). و ذكر أبو جعفر النحاس قولاً لابن عباس أنه قال:﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾العفيفات العاقلات. وقال الشعبي: هو أن تحصن فرجها فلا تزني وهو على قراءة الكسائي بكسر الصادر، والمحصنة تكون العفيفة والمتزوجة والحرة فالحرة ها هنا أولى ولو أريد العفيفة لما جاز أن تتزوج امرأة حتى يوقف على عفتها، وقال مجاهد المحصنات الحرائر، قال أبو عبيد وذهب إلى أنه لا يحل نكاح إماء أهل الكتاب لقوله جل وعز:﴿ فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾ .(٤)

و قال أبو حيان: الإحصان أن يكون بالإسلام وبالتَّزويجِ، ويمتنعانِ هنا، فيقصد بها الحرِيَّةِ أو الْعفَّة. وقَالَ عمَرُ بن الخطَّابِ، ومجاهدٌ، ومالكٌ، وجماعَةٌ: الإحصَانُ هنا الحريَّةُ، فلا يجوز

(١) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٣ / ٦٤٦ ـ ٦٤٧

(٢) ينظر: تفسير روح المعاني للألوسي . ٣ / ٤

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن. ١ / ٤٢٠

(٤) ينظر: معاني القرآن لأبي جعفر النحاس. ٢ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧

نكاح الأَمةِ الكتابيَّةِ. وقال جماعةٌ: منهم مجاهدٌ، والشَّعبِيُّ، وأبو ميسرة، وسفيانُ، الإحصانُ هنا العفةُ، فيجوز نكاح الأمة الكتابيَّةِ.(١)

و قال الإمام الشوكاني رحمه الله: " اختُلِفَ في تفسير المحصَنات في قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ ﴾، فقيل:العفائف، وقيل: الحرائرُ. وقرأ الشَّعبِيُّ بكسر الصَّاد، وبه قرأ الكسائيُّ، وذكرهنَّ هنا توْطئةً وتمهيدًا لقولهِ:و﴿الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ والمراد بهنَّ الحرائرُ دون الإماءِ، هكذا قال الجمهورُ، وحكى ابنُ جريرٍ عن طائفةٍ من السَّلفِ أنَّ هذه الآيةَ تعمُّ كل كتابيةٍ حرة أو أمةٍ " (٢)

و في آية النور جاءت كلمة ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾في محل نصب مفعول به للفعل ﴿يَرْمُونَ﴾، و اختُلف في المراد بها، قيل: هي خاصة بالنساء دون الرجال، وقال البعض: بل هي للرجال والنساء، وقيل: الْمُحْصَناتِ في هذا الموضع العفائف.(٣) وقيل: الْإِحْصَانُ الدُّخُولُ بِزَوْج بِعقد نِكَاح، فهُنَّ الْمُتَزَوِّجَاتُ مِنَ الْحَرَائِرِ. (٤) و أفضل ما قيل فيها قول أبي حيان حيث قال: " الْمُرَادَ النِّسَاءُ الْعَفَائِفُ، وَخَصَّ النِّسَاءَ بِذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الرِّجَالُ يَشْارِكُونَهُنَّ فِي الْحُكْمِ لِأَنَّ الْقَذْفَ فِيهِنَّ أَشْنَعُ وَأَنْكَرُ لِلنُّفُوسِ، وَمِنْ حَيْثُ هُنَّ هَوَى الرِّجَالِ فَفِيهِ إِيذَاءٌ لَهُنَّ وَلِأَزْوَاجِهِنَّ وَقَرَابَاتِهِنَّ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى الْفُرُوجُ الْمُحْصَنَاتُ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها﴾ وَقِيلَ: الْأَنْفُسُ الْمُحْصَنَاتُ وَقَالَهُ ابْنُ حَزْمٍ: وَحَكَاهُ الزَّهْرَاوِيُّ فَعَلَى هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ يَكُونُ اللَّفْظُ شَامِلًا لِلنِّسَاءِ وَلِلرِّجَالِ " .(٥)

(١) ينظر: البحر المحيط . ٤ / ١٨٤

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني . ٢ / ١٩

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .٤ / ١٦٤

(٤) ينظر: التحرير والتنوير. ١٨ / ١٥٨

(٥) ينظر: البحر المحيط . ٨ / ١٢

و مما سبق من أقوال النحاة و المفسرين حول كلمة ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ في الآيات السابقة نجد أنها جاءت دالة على الكثير؛ فهي عندهم بمعنى العفيفات أو ذوات الأزواج، أو الحرائر أو الأنفس المحصنة و عليه يكون اللفظ عام، والعام مستغرق في الكثرة، و لا يقول عاقل بقلته.

وقد اطلعت على ما كتبه الباحث:(إبراهيم أديكنلي سنوسي) في رسالته التي بعنوان: (التثنية و الجمع أحكامهما واستعمالاتهما في القرآن الكريم) و الذي أشرت إليه في مقدمة هذا البحث، حيث جعل كلمة ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ في بحثه تحت مبحث بعنوان: دلالة الجمع بألف وتاء على الواحد، بعد أن أورد قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[النور ٤]. مستدلاً على ذلك بما نقلة عن الإمام الطبري، في أن هذه الآية نزلت في الذين رموا عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك.(١) إلا أنه جانب الصواب في ذلك؛ فالآية وإن كانت نزلت في تلك الحادثة، إلا أن الحكم عام لجميع المؤمنات كما كما ذكرنا آنفا.

ثم إن كلمة ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ قد جاءت في كل المواضع السبعة معرفة بـ (أل) الاستغراقية وهذا يجعلها للكثير، أي أنها موافقة لقاعدة النحاة. و يمكن القول بهذا الحكم على بقية الآيات التي على شاكلتها. والله أعلم

١٨ . (المرسلات، العاصفات، الناشرات، الفارقات، الملقيات) وردت هذه الكلمات معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرةفي موضعٍ واحدٍ من كتاب الله، وذلك في مستهل سورة المرسلات.

قوله تعالى:﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) ﴾ [المرسلات ١ – ٥]

(١) ينظر : التثنية والجمع أحكامهما واستعمالاتهما في القرآن الكريم (رسالة دكتوراه) . ص : ١٥٩

أقسم سبحانه بمن اختاره من الملائكة عليهم السلام على ما أخرجه عبد بن حميد عن مجاهد، فقيل: المرسلات والعاصفات طوائف، والناشرات والفارقات والملقيات طوائف أخرى فالأولى طوائف أرسلن بأمره تعالى، وأمرن بإنفاذه، فعصفن في المضي وأسرعن كما تعصف الريح تخففا في امتثال الأمر، وإيقاع العذاب بالكفرة إنقاذا للأنبياء عليهم السلام ونصرة لهم، والثانية طوائف نشرن أجنحتهن في الجو عنده انحطاطهن بالوحي، ففرقن بين الحق والباطل، فألقين الذكر إلى الأنبياء عليهم السلام، ولعل من يلقي الذكر لهم غير مختص بجبريل عليه السلام بل هو رئيسهم ويرشدهم إلى ذلك.(١)

دراسة المسألة:

الكلمات المعنية بالبحث والدراسة في الآيات السابقة هي:﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ و﴿الْعَاصِفَاتِ﴾ و﴿النَّاشِرَاتِ﴾ و ﴿الْفَارِقَاتِ﴾ و﴿الْفَارِقَاتِ﴾، و كلها صفات لموصوفٍ واحد أو لموصوفات متعددة محذوفة، مجموعة بألفٍ وتاءٍ، معرفة بـ (أل) غير العهدية ؛ لذلك وقع الخلاف بين المفسرين في تعيين تلك الموصوفات . فقيل:﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ الملائكة أرسلت بالوحي، قاله: ابن مسعود وأبو هريرة وأبو صالح ومقاتل . و قيل:﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ الأنبياء أرسلوا إلى العباد لذلك جاءت كلمة ﴿عُرفا﴾ دالة على تفضيلهم على بقية العباد، من باب أن الله أرسلهم بالإحسان والمعروف إلى الناس قاله:ابن عباس وجماعة. و﴿الْعَاصِفَاتِ﴾ قال ابن مسعود: الرياح الشَّديدات الهبوب. وقيل: الملائكة تعصف بأرواح الكفَّار. و ﴿النَّاشِرَاتِ﴾، قال السُّدِّيُّ وأبو صالح ومقاتل: الملائكة تنشر صحف العباد بالأعمال. ﴿الْفَارِقَاتِ﴾، قال ابن عباس وابن مسعود وأبو صالح ومجاهد والضَّحَّاك: الملائكة تفرِّق بين الحقِّ والباطل، والحلال والحرام. وقال قتادة والحسن وابن كيسان: آيات القرآن فرَّقت بين الحلال والحرام. وقال مجاهد أيضًا: الرِّياح

(١) ينظر: ينظر روح المعاني للألوسي. ١٥ /١٨٨

تفرّق بين السَّحاب فتبدِّده. وقيل: الرسل. ﴿الْفَارِقَاتِ﴾قال ابن عبَّاس وقتادة و الجمهور: الملائكة تلقي ما حملت من الوحي إلى الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام.[1]واختار الزَّمخشريُّ من الأقوال أن تكون والمرسلات إلى آخر الأوصاف: إمَّا للملائكة، وإمَّا للرِّياح، و علل ذلك فقال: إن كانت الأوصاف المقسم بها للملائكة فقد أرسلهنّ الله بأوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح، تخففا في امتثال أمره، ونشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي. أو نشرن الشرائع في الأرض. أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين، ففرّقن بين الحق والباطل، فألقين ذكرا إلى الأنبياء عُذْراً للمحقين أَوْ نُذْراً للمبطلين. و إن كانت الوصاف المقسم بها للرياح فإنها رياح العذاب أرسلهن الله فعصفن، ورياح رحمة نشرن السحاب في الجوّ ففرّقن بينه، كقوله: ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً﴾أو بسحائب نشرن الأموات، ففرّقن بين من يشكر لله تعالى وبين من يكفر، كقوله ﴿لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ فألقين ذكرا إمّا عذرا للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم، واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها، وإما إنذارا الذين يغفلون عن شكر الله وينسبون ذلك إلى الأنواء، وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت.[2]

و مما سبق من الأقوال نقول و العلم عند الله: إن الله أقسم أولاً بالرياح في قوله:﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾، و لذلك عطف الصفة الثانية لها عليها بالفاء في قوله: ﴿الْعَاصِفَاتِ﴾ و الفاء يقتضي الترتيب والمتابعة، والعصف من صفات الرياح في مواطن كثيرة من القرآن، ثم أقسم سبحانه بالملائكة فقال:﴿النَّاشِرَاتِ﴾ لذلك جاء الواو و العطف بالواو يقتضي التغاير، ثم اقسم بصفات الملائكة الباقية فعطفها على﴿النَّاشِرَاتِ﴾ بالفاء للمتابعة فقال سبحانه: ﴿ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ .

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان . ١٠ / ٣٧٣

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري . ٤ / ٦٧٧

وعليه فإن الصفات المقسم بها صفات لموصوفات محذوفة كما أسلفنا، وهذه الموصوفات هي الملائكة و الرياح، ولا يقول أحد إن الملائكة عددهم قليل، أو إن الرياح التي يرسلها الله بأوامره من إجراء السحاب و تصريف الأرزاق و الرحمة والعذاب قليلة؛ لذلك جاءت تلك الصفات مجموعة بألف وتاء معرفة بـ (أل) ؛ لتدل على الكثرة، وهذا يتفق مع ما ذكره النحاة في تقعيدهم. والله أعلم

١٩ . (المسلمات ، المؤمنات، القانتات، الصادقات، الصابرات ،الخاشعات، المتصدقات، الصائمات، الحافظات، الذاكرات). وردت هذه الكلمات معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة مجتمعةً في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٣٥]

دراسة المسألة:

الكلمات المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي:﴿ الْمُسْلِمَاتِ﴾ و ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ ﴿الْقَانِتَاتِ﴾و﴿الصَّادِقَاتِ﴾و﴿الصَّابِرَاتِ﴾و﴿الْخَاشِعَاتِ﴾و﴿الْمُتَصَدِّقَاتِ﴾و﴿الصَّائِمَات﴾ و ﴿الْحَافِظَاتِ﴾ و ﴿الذَّاكِرَاتِ﴾، و هذه الصفات العشر ،كلها مجموعة بألف وتاء زائدتين لصفاتٍ مؤنثة، و قد جاءت معرفة بـ (أل)، واقعة في محل عطفٍ على اسم (إنَّ) في قوله:﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ ﴾، والخبر لجميع ما تقدَّم: هو قوله:﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ أي: مغفرةً

لذنوبهم التي أذنبوها، وأجرا عظيمًا على طاعاتهم التي فعلوها من الإسلام، والإيمان، والقنوتِ، والصِّدق، والصَّبرِ، والخشوعِ، والتَّصَدقِ، والصَّوم، والعفافِ، والذِّكر.(١)

و عليه فلا يقول أحد إن هذه الجموع المجموعة بألف وتاء، و المعرف بـ (أل) هي للقلة؛ لأن الله أعد المغفرة و الأجر العظيم لجميع خلقه الذين اتصفوا بهذه الصفات العشر . فكأن المغفرة والأجر خبرٌ في المعنى عن كلِّ واحدٍ من المتعاطفاتِ، فكأنَّه قيل: إنَّ المسلمين أعد اللَّه لهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا، و إنَّ المسلمات أعدَّ اللَّه لهنَّ مغفرةً وأجرًا عظيمًا، وهكذا . ثم إن الله سبحانه وصف ذلك الأجر بالعظيم، و عظم الأجر يقتضي كثرة المأجورين . لذلك جاءت تلك الصفات معرفة بـ (أل) لتدل على الكثرة؛ لكثرة المأجورين وكثرة الأجر؛ فهو من عند الله وهو كثير ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[التوبة ٢٢] ؛ لذلك جاءت تلك الصفات تدل على الكثرة على قاعدة النحاة. و الله أعلم.

٢٠ . كلمة(المشركات) وردت هذه الكلمة معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في ثلاثة موضعٍ من كتاب الله ، و سوف أتناول موضعا واحد من تلك المواضع بالبحث والدراسة، ثم ما يجري عليه من أقوال يمكن القول بها على بقية الآيات ، و موضع الدراسة هو:
قال تعالى :﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ [البقرة ٢٢١]

هذا تحريمٌ من اللَّه عزَّ وجلَّ على المؤمنين أن يتزوَّجوا المشركات من عبدة الأوثان.(٢)

دراسة المسألة :

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني . ٤ / ٣٢٥. و التحرير والتنوير لابن عاشور . ٢٢ / ٢٥

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ١ / ٥٨٢

الكلمة المعنية هنا بالدراسة هي:﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ جمع بألف وتاء لكلمة (مشركة) معرفة بـ (أل) لتدل على الكثرة على قاعدة النحاة. و قد اختلف أهل التأويل في هذه الآية: هل نزلت مرادًا بها كل مشركة، أم مراد بحكمها بعض المشركات دون بعض؟ وهل نسخ منها بعد وجوب الحكم بها شيء أم لا؟

فقال بعضهم: نزلت مرادًا بها تحريم نكاح كل مشركة على كلّ مسلم من أيّ أجناس الشِّرك كانت، عابدةَ وثن كانت، أو كانت يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو من غيرهم من أصناف الشرك، ثم نسخ تحريم نكاح أهل الكتاب بقوله:﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ إلى ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾[سورة المائدة: ٤-٥].(١) قال ابن عطية :" الْمُشْرِكاتِ هنا من يشرك مع الله إلها آخر، فلم تدخل اليهوديات ولا النصرانيات في لفظ هذه الآية، ولا في معناها".(٢)

و عليه ومما سبق من الأقوال يتضح أن كلمة ﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ في هذا الموضع جاءت دالة على الكثرة، سواءً كان المراد بها العموم أو كانت لمشركي العرب خاصة ؛ فكلاهما كثير لا يقال بقلته، ثم إن مجيء الفعل﴿تَنْكِحُوا﴾ بصيغة المضارع يدل على التكرار والاستمرار ، أي أن النهي عن نكاح المشركات مستمراً أبدياً وهذا فيه إشارة إلى الكثرة؛ إذ أن كل زمانٍ فيه مشركات؛ لذلك جاءت كلمة ﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ معرفة بـ (أل) لتدل على الكثرة على قاعدة النحاة. و الله أعلم

(١) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن . لابن جرير الطبري . ٤ / ٣٦٢

(٢) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ١ / ٢٩٦

٢١ . كلمة (المطلقات) وردت هذه الكلمة معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في موضع واحد من كتاب الله.

قال تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة ٢٢٨]

تبين هذه الآية أمر اللَّه سبحانهُ وتعالى للمطلَّقات المدخول بهنَّ من ذوات الأقراءِ، بأن يتربصن بأنفسهنَّ ثلاثة قروءٍ، أي: بأن تمكث إحداهنَّ بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروءٍ؛ ثمَّ تتزوَّج إن شاءت .(١)

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في الآية السابقة هي كلمة﴿الْمُطَلَّقَاتُ﴾ و هي جمع بألف وتاء لكلمة (مطلقة). قال أبو حيان :"والمطلَّقاتُ: مبتدأ ويتربَّصن خبر عن المبتدأ، وصورتهُ صورة الخبر، وهو أمر من حيث المعنى، وقيل: هو أمر لفظًا ومعنًى، على إضمار اللَّام أي: ليتربَّصن، وهذا على رأي الكوفيين، وقيل: والمطلَّقاتِ على حذف مضاف، أي: وحكم المطلَّقات ويتربَّصن على حذف: أنْ، حتَّى يصحَّ خبرًا عن ذلك المضاف المحذوف، التَّقدير: وحكم المطلَّقات أن يتربَّصن، وهذا بعيد جدا". (٢) وقال الزَّمخشرِي:" بعد أن قال: هو خبرٌ في معنى الأمر، قال:" فإخراج الأمرِ في صورة الخبرِ تأكيد للأمر، وإشعار بأنَّه ممَّا يجب أن يتلقَّى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنَّهنَّ امتثلن الأمر بالتربُّصِ، فهو يخبرُ عنه موجودًا، ونحوه في الدعاء قولهم: رحمك اللَّه، أُخرِج في صورة الخبر عن اللَّه ثقة بالاستجابة، كأنَّما وُجدت الرحمة فهو يخبِر

(١) ينظر: تفسير ابن كثير . ١ / ٦٠٦

(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان. ٤٥٣/٢ . وينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. ٢/ ٤٣٧

عنها، وبناؤه على المبتدأ ممَّا زاده فضل تأكيدٍ، ولو قيل: ويتربَّصن المطلَّقاتُ، لم يكن بتلك الوِكادة".[1]

وهو كلامٌ حسنٌ، وإنَّما كانت الجملةُ الابتدائيَّةُ فيها زيادة توكيدٍ على جملة الفعل والفاعلِ لتكرارِ الاسم فيها مرتين: إحداهما بظهوره، والأخرى بإضماره، وجملة الفعل والفاعلِ يذكر فيها الاسم مرَّة واحدةً .

وظاهر القول أن كلمة ﴿الْمُطَلَّقَاتُ﴾ للعموم لأن (أل) فيها للجنس، وإن كان المقصود المدخول بهن من ذوات الأقراء، إلا أنه لا يقول أحد بأن (المطلقات) المدخول بهن من ذوات الأقراء قليل دون العشرة، بل هن فوق ذلك. وعليه فإن كلمة ﴿الْمُطَلَّقَاتُ﴾ جاءت في هذا الموضع تدل على الكثرة، فإن قال قائل: إن المراد بـ ﴿الْمُطَلَّقَاتُ﴾ من الناحية البلاغية القلة؛ لأن المطلقات كن في الأصل متزوجات فهن بالنسبة للمتزوجات قليل، وهذا من باب كراهية الطلاق، و أن الأصل في الفطرة البقاء على الزوجية . قلنا: إن كلمة ﴿الْمُطَلَّقَاتُ﴾ جاءت مبتدأ على أصح أقوال النحاة، وخبره الفعل ﴿ يَتربَّصنَ ﴾، و هو فعل مضارع يفيد الاستمرار و التكرار، وهذا يدل على كثرة وقوع الفعل ؛ فدل ذلك على كثرة المطلقات؛ إذ لا بد في المبتدأ والخبر من التطابق والمماثلة . كما أن كلمة ﴿قروء﴾ تدل على الكثرة ؛ إذ هي من أوزانها، علماً أنها مميزة لعدد من أعداد القلة وهو العدد ﴿ثلاثة﴾ فما الحكمةُ بالإتيانِ بجمع الكثرةِ مع وجودِ جمعِ القلَّةِ و هو (أقراء) ؟ إلا أنه لما كانت كلمة ﴿الْمُطَلَّقَاتُ﴾ تفيد الكثرة؛ إذ كل مطلقة منهن تتربص بنفسها ثلاثة أقراء، فاجتمعت (الأقراء) لكل مطلقة؛ لذا جاءت بلفظ الكثرة على(قروء) لكثرتهن.[2] والله أعلم.

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري . ١ / ٢٧٠

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب . ٤ / ١٠٩

٢٢ .كلمة (المنافقات) وردت هذه الكلمة معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في خمسة موضعٍ من كتاب الله ، و سوف أتناول موضعا واحد من تلك المواضع بالبحث والدراسة ، ثم ما يجري عليه من أقوال يمكن القول بها على بقية الآيات ، و موضع الدراسة هو:

قال تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [التوبة ٦٧]

يقول تعالى منكرًا على المنافقين و المنافقات الَّذين هم على خلاف صفات المؤمنين والمؤمنات ، حيث كانوا ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ فقال سبحانه بعد ذلك :﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ أَي: على هذا الصَّنيع الَّذي ذكر عنهم. (١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية هنا بالدراسة هي كلمة﴿الْمُنَافِقَاتِ﴾جمع بألف وتاء لكلمة (منافقة) معرفة بـ (أل) لتدل على الكثرة على قاعدة النحاة؛ إذ المنافقون كثير لا يقال بقلتهم ، كما أن المؤمنين كثير ، لذلك قال سبحانه في مقابل هذه الآية :﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة ٧١]، و مجيء الفعل ﴿يَأْمُرُونَ﴾ بصيغة المضارع ليدل على التكرار والاستمرار ، أي أن الأمر و النهي مستمر و متكرر على مدى الأيام، وهذا فيه إشارة إلى الكثرة؛ إذ أن كل زمانٍ فيه منافقون ومؤمنون ؛ لذلك جاءت كلمة ﴿الْمُنَافِقَاتِ﴾ معرفة بـ (أل) لتدل على الكثرة على قاعدة النحاة. والله أعلم

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ٤ / ١٧٣

٢٣ . (المنشآت) وردت هذه الكلمات معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله.

قال تعالى: ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ [الرحمن ٢٤]

تبين هذه الآية الكريمة جانباً من جوانب النعم التي تفضل بها الله على عباده، حيث ذكرت السورة من بدايتها الكثير من نعم الله و آياته التي تدل على و حدانيته سبحانه، و أنه المستحق للعبادة دون سواه، و من تلك الآيات ما تبينه هذه الآية، أن الله سبحانه أجرى السفن في البحر بقدرته و عظمته سبحانه، وحفظها و اجراها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه وتعالى مع أنها ضخمة كالجبال الشاهقة .[1]

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿الْمُنْشَآتُ﴾، وهي جمع بألف وتاء لكلمة (منشأة) معرفة بـ (أل) غير العهدية، واقعة في محل رفع صفة لـ ﴿الْجَوَارِ﴾و هي السفن، والجواري جمع (جارية) و هو من جموع الكثرة؛لذلك جاءت كلمة ﴿الْمُنْشَآتُ﴾معرفة بـ (أل) غير العهدية لتدل على الكثرة ؛ إذ هي صفة لما هو كثير .

وقد قرأ الحسن:﴿المنشَّأة﴾ بالإفراد، فأفرد الصفة ثقة بإفهام الموصوف الجمعية وهو ﴿الجواري﴾، كقوله: ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾[آل عمران: ١٥].[2]

(١) ينظر: تفسير روح المعاني . ١٤/ ١٠٧

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب . ١٨ / ٣٢٢

قال أبو حيان: " كالأعلام: أي كالجبال والآكام، وهذا يدلّ على كبر السُّفن حيث شبَّهها بالجبال، وإن كانت المنشآت تنطلق على السَّفينة الكبيرة والصَّغيرة " [1] وهذا يُغلِّب الكثرة ؛ إذ لا يقول أحد إن السفن التي تجري في البحر صغيرها و كبيرها قليلة .

و مما سبق ذكره نجد أن كلمة ﴿الْمُنْشَآتُ﴾ جاءت مجموعة بألف وتاء زائدتين في هذه الآية دالة على الكثرة، لذلك عُرفت بـ (أل) الاستغراقية غير العهدية، على قاعدة النحاة .

٢٤ . (النازعات، الناشطات، السابحات، السابقات، المدبرات) وردت هذه الكلمات معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله، وذلك في مستهل سورة النازعات .

قال تعالى: ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) ﴾ [النازعات ١ – ٥]

أقسم سبحانه بهذه الأصناف الخمسة على أن القيامة حق، وجواب القسم محذوف تقديره: لتبعثنَّ ولتحاسبنَّ، وقد دل عليه قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الراجفة تَتْبَعُهَا الرادفة ﴾ أي يوم ينفخ في الصُّور النفخة الأولى التي يرتجف ويتزلزل لها كل شيء، تتبعها النفخة الثانية وهي نخفة القيام من القبور.[2]

دراسة المسألة:

الكلمات المعنية بالبحث والدراسة هي:﴿النَّازِعَاتِ﴾و﴿النَّاشِطَاتِ﴾و﴿السَّابِحَاتِ﴾، ﴿السَّابِقَاتِ﴾و﴿الْمُدَبِّرَاتِ﴾. وكلها صفات مجموعة بألف و تاء لموصوفات محذوفة مقسمٌ

(١) ينظر: البحر المحيط . ١٠ / ٦٢

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٢٠ / ٥٩٦

بها، فلما حذفت تلك الموصوفات قامت الصفات مقامها.[1] وقد جاءت تلك الجموع معرفة بـ (أل) الاستغراقية و التي هي للجنس ؛ لتدل على الكثرة والعموم، إلا أن لتلك الصفات تعلقات مختلفة اختلف فيها المفسرون، فقيل: ﴿النَّازِعَاتِ﴾ هي طوائف من الملائكة التي تنزع أرواح الكُفَّار، قاله علي، وابن مسعود، ومسروق، ومجاهد. وقال السدي: والنَّازِعَات هي النفوس حين تغرقُ في الصُّدور. وقال مجاهد: هي الموت ينزع النفوس. وقال الحسن وقتادة: هي النَّجوم تنزع من أفق إلى أفق.[2] و قيل أيضاً :إن﴿النَّازِعَاتِ﴾ ملائكة العذاب تنزع أرواح الكفار، و ﴿النَّاشِطَاتِ﴾ ملائكة الرحمة تسل أرواح المؤمنين سلا . و قيل في ﴿السَّابِحَاتِ﴾: إنها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم فيسبقون فيه فهم ﴿السَّابِقَاتِ﴾ إلى ما أمروا به من الأمور الدنيوية و الأخروية وهم ﴿الْمُدَبِّرَاتِ﴾ فيدبرون أمره من كيفيته وما لا بد منه فيه.[3]

وهذا هو القرب للصواب، بدليل التغاير في حرف العطف؛ إذ عطف الناشطات على النازعات بالواو؛ لأن ملائكة العذاب غير ملائكة الرحمة، كما عطف السابحات على الناشطات بالواو أيضاً ؛ لأنها طوائف من الملائكة تسبح بأمر الله وتبلغه فهي خلاف النوعين الأولين، لذا جاء العطف بالواو، والواو يقتضي التغيير، ولما كانت ﴿السَّابِقَاتِ﴾ و﴿الْمُدَبِّرَاتِ﴾صفتان لكلمة ﴿السَّابِحَاتِ﴾؛ إذ هي تسبح بأمر الله و تتسابق به و تدبره ؛ جاء عطفها على بعضها بالفاء؛ إذ هي صفات لموصوف واحد أو هي صفات متفرعة عن الموصوف الذي عُطفت عليه بالفاء.[4]

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان . ١٠ / ٣٩٤

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب . ٢٠ / ١٢٢

(٣) ينظر: روح المعاني للألوسي .١٥ /٢٢٤

(٤) ينظر: التحرير والتنوير لطاهر ابن عاشور . ٦١/٣٠

ثم أن تلك الصفات الخمسة المقسم بها جموع جرى لفظها على صيغة الجمع بألف وتاء؛ لأنَّها في تأويل جماعات تتحقَّق فيها الصِّفات المجموعة، فهي جماعات، طوائف منها للعذاب وطوائف للرحمة، وأخرى لأمر الله وهذا يقتضي الكثرة؛ إذ لا يقول عاقل إن الملائكة قلة فكيف بها وهي جماعات و طوائف، لذا جاءت هذه الصفات مجموعة بألف وتاء معرفة بـ (أل) الاستغراقية لتدل على العموم و الكثرة على قاعدة النحاة . والله أعلم .....

٢٥ .كلمة (النفاثات) وردت هذه الكلمة معرفة بـ (أل) دالة على الكثرة، في موضعٍ واحدس من كتاب الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفلق ٤]

ذكر اللَّه سبحانه في سورة الفلق إرشاده لرسوله صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، حيث أرشده إلى الاستعادة من شرِّ كلِّ مخلوقاته على العموم، ثمَّ ذكر بعض الشُّرور على الخصوص مع اندراجه تحت العموم لزيادة شرِّه ومزيد ضرِّه، وهو الغاسق والنَّفَّاثات والحاسد، فكأن هؤلاء لما فيهم من مزيد الشَّر حقيقيون بإفراد كلِّ واحدٍ منهم بالذكر.(١)

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي ﴿النَّفَّاثَاتِ﴾و هي جمع بألف وتاء زائدتين لكلمة (نفاثة)، وقد جاءت معرفة بـ (أل) لتدل على المبالغة والكثرة، بخلاف قوله تعالى:﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾[الفلق ٣]، فقد جاءت كلمة غاسق نكرة لتدل على التبعيض؛ لأنَّ كلَّ نفَّاثَة شرِّيرةٌ، وكلَّ غاسقٍ لا يكون فيه الشَّرُّ إنَّما يكون في بعضٍ دون بعض.(٢)

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني .٥ / ٦٤٠

(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان . ١٠ / ٥٧٧

وقد اتفق جمهور المفسرين على أن المقصود بالنفاثات النساء الساحرات، وهذا هو المشهور عند جمهور المفسرين .[1]

وعليه فلا يقول أحد إن النفاثات جمعٌ للقليل ؛ إذ أن النساء الساحرات كثرة؛ ولذلك جاءت كلمة ﴿النَّفَّاثَاتِ﴾جمع بألف و تاء معرفة بـ (أل) لتدل على الكثرة على قاعدة النحاة . والله أعلم

٢٦ .كلمة (الوالدات) وردت هذه الكلمات معرفةً بـ (أل) دالة على الكثرة في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله.

قال تعالى:﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة ٢٣٣]

جاءت هذه الآية الكريمة بعد أن ذكر الله سبحانه جُمْلَةً من الأحكام فِي: النِّكاح، والطَّلاق، والعِدَّة، والرَّجعةِ، والعضلِ، فأخذ سبحانه يذكر حكم ما كان من نتيجة النِّكاح، وهو ما شُرِعَ من حكم: الإرضاع ومدَّته، وحكم الكسوة، والنَّفقة، وغير ذلك.[2]

دراسة المسألة:

﴿الْوَالِدَاتُ﴾ هي الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية، و هي جمع بألف وتاء لـ (والدة) وكان القياس أن يقال: والد، لكن قد أطلق على الأب والد، ولذلك قيل فيه وفي الأُمِّ الوالدان، فجاءت التَّاء في الوالدة للفرق بين المذكَّر والمؤنَّث.[3] و الوالدات مبتدأٌ خبره

(١) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي . ٢٠/ ٢٥٧، و تفسر القرآن العظيم لابن كثير . ٨ / ٥٣٨

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن. لابن جرير الطبري . ٥ / ٣١

(٣) ينظر: البحر المحيط . لأبي حيان . ٢ / ٤٩٦

الجملة الفعلية﴿يُرْضِعْنَ﴾. و قيل: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ لفظها لفظ الخبر و معناها معنى الأمر والتقدير (لترضع الوالدات).[1] و قد جاءت كلمة ﴿الْوَالِدَاتُ﴾ معرفة بـ(أل) الاستغراقية لتدل على الكثرة، إذ المقصود عموم الزوجات والمطلقات، وقيل: المقصود المطلقات، قاله الضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ؛ لأنَّ قوله:﴿والْوَالِدَاتُ﴾، عقيب آية الطَّلاق، وقيل: هي في الزَّوجات فقط، لأنَّ المطلَّقة لا تستحقُّ الكسوة.[2]

و مما سبق ذكره نجد أن كلمة ﴿الْوَالِدَاتُ﴾ جمع بألف وتاء معرف بـ(أل) دال على الكثرة على قاعدة النحاة؛ سواءً كان المقصود منه عموم الزوجات والمطلقات؛ أو المطلقات فقط ، فإن هذا حكم عام يدخل فيه كل من دخل في أحد الصنفين، وهذا كثير لا يقول أحد بقلته.

و الله أعلم...

ثانياً: ما جمع بألفٍ وتاء زائدتين دالاً على الكثرة و جاء مضافاً إلى ما يدل على الكثرة.

١. (أمهاتكم ، بناتكم ، أخواتكم ، عماتكم ، خالاتكم) وردت هذه الكلمات مضافةً دالة على الكثرة في مواضع كثيرة من كتاب الله ، إلا أنها جاءت في آية من كتاب الله مجتمعة وذلك في قوله تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [سورة النساء ٢٣]

(١) ينظر: معاني القرآن و إعرابه للزجاج . ١ / ٣١٢

(٢) ينظر: البحر المحيط . لأبي حيان . ٢ / ٤٩٦

ذكر اللَّه تعالى في هذه الآية ما يحلُّ من النِّساء وما يحرم، وذلك بعد أن ذكر تحريم حليلة الأب. فحرَّم اللَّه سبعًا من النَّسب وستًّا من رضاعٍ وصهر.(١)

دراسة المسألة :

موضع البحث والدراسة في هذه الآية هو قوله : ﴿ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ ﴾، وكل هذه الكلمات جاءت مجموعة بألف وتاء مضافة دالة على الكثرة على قاعدة النحاة، حيث أضيفت تلك الكلمات إلى كاف الخطاب، و المخاطب في الآية عامة المؤمنين، أي حُرِّم على كل مؤمنٍ أُمَّه و بنته و أخته و عمته وخالته ، قال أبو حيان : " حُرِّمَ على كلِّ واحدٍ واحدٍ منكم كُلُّ واحدةٍ، واحدةٍ من أُمِّ نَفْسِهِ. والمعنى: حُرِّمَ على هذا أمُّه وعلى هذا أمُّه ".(٢) ومن قول أبي حيان نفهم أنه كذلك حرم على كل منكم بنته و أخته و عمته وخالته ، وهذا يكثر بكثرة المخاطبين في الآية . و قال الألوسي : إن قوله : أمَّهاتكم تعم الجدات كيف كنّ إذ الأم هي الأصل في الأصل- كأم الكتاب، وأم القرى- فتثبت حرمة الجدات بموضوع اللفظ وحقيقته ، وقيل أن إطلاق الأم على الجدة مجاز، وإن إثبات حرمة الجدات بالإجماع.(٣)

و يمكن القول بما سبق ذكره على قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ قال الطاهر ابن عاشور :" و (أل) في قوله: وَبَناتُ الْأَخِ وَبَناتُ الْأُخْتِ عوضٌ عن المضاف إليه أي بنات

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن . تفسير القرطبي . ٥ / ١٠٧

(٢) ينظر : البحر المحيط . لأبي حيان . ٣ / ٥٧٨

(٣) ينظر : روح المعاني . للألوسي . ٢ / ٤٥٨

أخيكم وبنات أختكم ".[1] فإن قوله :﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ في هذا الموضع دالة على الكثرة بهذه الإضافة.

و عليه و مما سبق ذكره من أقوال العلماء نجد أن الكلمات التي تناولناها بالبحث والدراسة في هذه الآية وهي: ﴿ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ ﴾ دالة على الكثرة على قاعدة النحاة في هذا النوع من الجموع . والله أعلم.

٢ . (آيات الكتاب) وردت هذه الكلمة مضافةً دالة على الكثرة في سبعة مواضعٍ من كتاب الله، جاءت في كل تلك المواضع في محل رفع، وذلك في مستهل كل من سورة (يونس، يوسف، الرعد، الحجر، الشعراء، القصص، و لقمان)، وسوف أتناول موضعاً واحداً من تلك المواضع بالبحث والدراسة، و ما يقال فيه يمكن القول به على بقية الآيات، و موضع الدراسة هنا في:

قوله تعالى: ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ [يونس ١]

تبين هذه الآية الكريمة أن هذه حروف بدأ الله تعالى بها السورة، وهو أعلم بمراده منها، وهى مع ذلك تشير إلى أن القرآن مُكَوَّن من مثل هذه الحروف، ومع ذلك عجز المشركون عن أن يأتوا بمثله، وهذه الحروف الصوتية تثير انتباه المشركين فيستمعون إليه، وإن اتفقوا على عدم استماع هذه الآيات الكريمة، ونحوها التي هي آيات القرآن المحكم في أسلوبه ومعانيه، الذى اشتمل على الحكمة وما ينفع الناس في أمور دينهم ودنياهم.[2]

دراسة المسألة:

(١) ينظر : التحرير و التنوير . لابن عاشور . ٤ / ٢٩٦

(٢) ينظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم . ١ / ٢٨٤

موضع البحث و الدراسة في هذه الآية هو قوله:﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾، وكلمة ﴿آيَاتُ﴾ جمع بألف و تاء لكلمة (آية)، و هي خبر للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة ﴿تِلْكَ﴾، و كلمة ﴿الْكِتَابِ﴾مضافة إلى ﴿آيَاتُ﴾ ، و قد اختلف المفسرون في المقصود بالكتاب هنا، فقيل التوراة و الإنجيل و الزبور والكتب السابقة قاله: مجاهد وقتادة، وقيل: الكتاب، أي القرآن وآياته وهو قول الجمهور . والذين قالوا :إن المقصود الكتب السابقة يقولون :إن اسم الإشارة يفسِّرُ المقصودَ منه خبره وهو :﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ و﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى غائبٍ مؤنَّث.(١) و الذين قالوا: إن المقصود آيات القرآن قالوا: إن ﴿تِلْكَ﴾ بمعنى (هذه) أي: هذه آياتٌ، ومنه قول الأعشى:

تِلْكَ خَيْلِي منهُ وتِلْكَ رِكابِي ... هُنَّ صُفْرٌ أولادُهَا كالزَّبيبِ .

أي: هذه خَيْلِي، وهذه رِكَابِي.(٢) و الراجح أن المقصود آيات القرآن ؛ إذ إنه لم يسبق ذكرٌ للكتب السابقة تعود الإشارة إليه، كما أن الكتاب موصوفٌ بقوله:﴿الْحَكِيمِ ﴾ وهذه من صفات القرآن لا من صفات غيره، فهو الحكيم المحكم بالحلال، والحرام، والحدود، والأحكام.(٣)

و مما سبق ذكره من أقوال، فإن كلمة ﴿ آيَاتُ ﴾ في هذه الآية جاءت دالة على الكثرة؛ بإضافة كلمة ﴿الْكِتَابِ﴾ إليها، إذ لا يقول أحد إن آيات الكتاب – القرآن – قليلة . وعلى هذا جاء تقعيد النحاة في قولهم: إن جمع القلة إذ قرن بـ (أل) ،أو أضيف عمَّ و لم يخص القليل، و العام مستغرق في الكثرة.

فإن قال قائل: ربما كانت الإشارة في ﴿تِلْكَ﴾ تعني الحروف المقطعة في مطلع الآية في قوله: ﴿ الر ﴾ قاله بعض المفسرين ،كأبي مسلم، و تلك الحروف ثلاثة و هي قلة . قلنا: إن

(١) ينظر: التحرير و التنوير . ١١ / ٨١
(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب . ١٠ / ٢٥٢
(٣) ينظر: فتح القدير . ٢ / ٤٨٠

صحت الإشارة إليها فإن المعنى أن هذه الحروف هي التي جعلت آيات الكتاب معجزة يقع بها التحدي للمشركين، فآياته نزلت بحروف كلامهم إلا أنه تحداهم وأعجزهم . و في الإضافة ما يدل على هذا فقوله: ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ أي جميع آيات القرآن الحكيم الذي عجزتم عن أن تأتوا بآية من مثله، من تلك الحروف التي تتكلمون بها . والله أعلم

٣ . (آيات الله ، آيات ربهم ،آيات ربنا ، آيات ربك ، آيات ربه ،آيات ربكم ، آياتنا، آياته ، آياتي) وردت كلمة (آيات) مضافةً دالة على الكثرة في مئتين و ثلاثة مواضع من كتاب الله ، جاءت مضافة إلى لفظ الجلالة في اثنين و أربعين موضعاً ، ومضافة إلى كلمة (رب) في سبعة عشر موضعاً، و مضافة إلى الضمير في أربعة وأربعين ومئة موضعٍ، و سوف أتناول بالبحث والدراسة موضعاً واحداً على كل نوع من تلك الإضافات الثلاث، وما يقال فيها يمكن القول به على بقية المواضع، و مواضع البحث هي :

١ . قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [البقرة ٢٥٢]

٢ . قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [الأَنعام ٤]

٣ قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة ٣٩]

جاءت الآية الأولى بأسلوب الإشارة، أَيْ أن هذه آياتُ اللَّه الَّتي قصصناها عليك من أمر الَّذين ذكرناهم بالحقِّ، أي بالواقع الَّذي كان عليه الأمر المطابق لما بأيدي أهل الكتاب من الحقِّ الَّذي يعلمه علماء بني إسرائيل، وإنَّك يا محمَّد لمن المرسلين وهذا توكيد وتوطئة للقسم. ويقول تعالى في الآية الثانية مخبرًا عن المشركين المكَذِّبينَ المعاندينَ: إنَّهم مهما أَتَتهم ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ أيْ: دلالةٍ ومعجِزَةٍ وحجَّةٍ، من الدَّلالات على وحدانيَّةِ الرَّبِّ، عَزَّ وجلَّ، وصدقِ رسلهِ الكِرامِ،

فإنَّهم يعرضون عنها، فلا ينظُرُون فيها ولا يبالون بها. و في الآية الثالثة بين سبحانه وتعالى جزاء من كفر و كذب بتلك الآيات بأن مصيرهم النار مُخَلَّدُونَ فيها، لا مَحِيدَ لهم عنها،ولا محيص.[1]

دراسة المسألة:

موضع البحث والدراسة في هذه الآيات هو قوله:﴿آيَاتُ اللهِ﴾ و ﴿ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ و﴿آيَاتِنَا﴾، و(آيات) جمع بألف وتاء لـ (آية) و قد أضيفت إلى لفظ الجلالة (الله)، فكثرت بهذه الإضافة، و هي في موقع رفع خبر لاسم الإشارة ﴿تِلْكَ﴾، وهو اسم إشارة للبعيد، و كأنه يشير إلى ما سبق من آيات و قصص. قال الزجاج :" أي هذِه الآياتُ التي أنْبَأت بها وَأنْبِئْتَ بها، آيات الله أي علاماته التي تدُل على توْحيدِه، وتَثْبيتِ رسالاتِ أنْبِيَائِه، إذْ كان يعجز عن الإتيان بمثلها المخلوقون".[2] وقيل:﴿آيَاتُ اللهِ﴾ هي القرآن، والأظهر أنَّها الآيات الَّتي تقدَّمت في القصص السَّابق من خروج أولئك الفارِّين من الموت، وإماتة اللَّه لهم دفعة واحدة، ثمَّ أحياهم إحياءه واحدة، وتمليك طالوت على بني إسرائيل وليس من أولاد ملوكهم، والإتيان بالتَّابوت بعد فقده مشتملًا على بقايا من إرث آل موسى وآل هارون، وكونه تحمله الملائكة معاينةً ، وذلك الابتلاء العظيم بالنَّهر في فصل القيظ والسَّفرِ، وإجابة من توكَّل على اللَّه في النُّصرة، وقتل داود جالوت، وإيتاء اللَّه إيَّاه الملك والحكمة، فهذه كلُّها آياتٌ عظيمةٌ، تلاها اللَّه على نبيِّه بالحقِّ أي مصحوبةً بالحقِّ لا كذب فيها ولا انتحال و هو قول: ابن عبَّاس.[3]

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ١ / ٥١٠ ، ٣ / ٢٤٠ ، ١ / ٢٤٠

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه . للزجاج . ١ / ٣٣٣

(٣) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان . ٢ / ٥٩٦

وقال الطاهر ابن عاشور: ﴿تِلْكَ﴾ فيها إشارة إلى ما تضمنته القصص الماضية من العِبَر، والحكم العالية.(١)

و في الآية الثانية جاءت كلمة ﴿آيَاتُ﴾ مضافة إلى قوله: ﴿رَبِّهِمْ﴾، ومعنى (آية) هنا أي: وما تأتي هؤلاء الكفار الذين بربهم يعدِلون أوثانَهم وآلهتهم من حجّة أو علامة أو دلالة من حُجج ربهم ودلالاته وأعلاماته على وحدانيته، وحقيقة نبوتك، يا محمد، وصدق ما أتيتهم به من عندي إلا كانوا عنها معرضين.و (ما) نافية و (مِنْ) الأولى هي الزائدة التي تدخل على الأجناس بعد النفي، فكأنها تستغرق الجنس، و(مِنْ) الثانية للتبعيض.(٢)

و قال أبو حيان:" مِنْ الأولى زائدةٌ لاستغراقِ الجنسِ، ومعنى الزِّيادة فيها أنَّ ما بعدها معمول لما قبلها فاعلٌ بقَوْلِهِ:﴿تَأْتِيهِمْ﴾ فإذا كانت النَّكرةُ بعدها مِمَّا لا يُستعمل إلَّا في النَّفي العامِّ، كانتْ مِنْ لتأكِيدِ الاستغراقِ نحو: مَا فِي الدَّارِ مِنْ أَحَدٍ، وإذا كانتْ ممَّا يجوز أنْ يراد بها الاستغراقُ، ويجوزُ أنْ يراد بها نفيُ الوَحْدَةِ أو نفيُ الكمالِ كانت مِنْ دالَّةً على الاستغراقِ نحْو ما قام مِنْ رجلٍ".(٣)

و قال الطاهر بن عاشور :" و (مِنْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ لتأكيد النَّفيِ لقصدِ عمومِ الآيَاتِ الَّتِي أتت وتأْتِي".(٤) و مما سبق يتضح أن قوله تعالى:﴿آيَاتُ رَبِّهِمْ ﴾ دالٌ على الكثرة ومستغرقةٌ فيها، وإضافة﴿آيَاتُ﴾ إلى ﴿رَبِّهِمْ﴾ المضاف إلى ضمير هم؛ لتفخيم شأنها وكثرة تلك الآيات؛ فآيات الله التي جاءتهم لتدلهم على وحدانيته كثيرة، و يرجح ذلك استعمل

(١) ينظر: التحرير والتنوير . لابن عاشور . ٢ / ٥٠٣

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ٢ / ٢٦٨

(٣) ينظر : البحر المحيط . لأبي حيان . ٤ / ٤٣٦

(٤) ينظر : التحرير والتنوير . لابن عاشور . ٧ / ١٣٤

المضارع في قوله:﴿تَأْتِيهِمْ﴾ للدَّلالة على التَّجدد؛ وهذا يدل على أنهم يعرضون عن كل آية تأتيهم من آيات ربهم ، وهذا كثير لا يقال بقلته.

و في الآية الثالثة نجد أن قوله:﴿بآيَاتِنا﴾ قد أضيفت إلى الضمير العائد إلى الرب سبحانه وتعالى،والآيَاتُ هنا:الكتبُ المنزَّلَةُ على جميع الأمم، أو معجزاتُ الأنبياءِ عليهم الصَّلاة والسَّلام، أو القرآنُ، أو الدلائل على وحدانية اللَّه، وأتى سبحانه بنون العظمة لتربية المهابة وإدخال الروعة، وأضاف تعالى الآيات إليها لإظهار كمال قبح التكذيب بها؛ وذلك لعظمة تلك الآيات وكثرتها، فلا يكذب بها إلا من استحق العقوبة الأبدية والخلود في النار؛ لذلك قال سبحانه:﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة ٣٩].

و عليه ومما سبق ذكره نجد أن كلمة ﴿آيَاتُ﴾ التي هي جمع بألف وتاء، جاءت في الآيات السابقة دالة على الكثرة ؛ إذ جاءت مضافةً إلى ما يدل على الكثرة، كإضافتها إلى لفظ الجلالة ، و إلى كلمة الرب سبحانه وتعالى ، و إلى الضمير العائد إلى الرب سبحانه وتعالى؛ فكثرت بهذه الإضافات، يقول أبو حيان عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ [البقرة ٤١]: "وصف الثَّمنَ بالقليلِ، لأَنَّ ما حصل عوضًا عن آيَاتِ اللَّهِ كائنًا ما كان لا يكون إلَّا قليلًا، وإن بلغ ما بلغ، فليسَ وصفُ الثَّمن بالقلَّة من الأوصاف الَّتي تخصصُ النَّكراتِ، بل مِنَ الأوصافِ اللَّازمةِ للثَّمنِ المحصَّل بالآيات، إذ لا يكون إلَّا قليلًا".(١) و نفهم من كلام أبي حيان أن قوله ﴿آيَاتِي﴾ دالٌ على الكثرة ؛ إذ لا يمكن أن يعوض عنه بثمن مهما بلغت كثرته، وإنما كثرت الآيات لإضافتها إلى ما يدل على الكثرة كما أسلفنا. وهذا يتفق مع قاعدة النحاة في هذا النوع من الجموع حيث ذكروا : أن جمع القلة إذا قُرن بأل الاستغراقية أو أضيف إلى ما يدل على الكثرة فقد انصرف بذلك إلى الكثرة، و كلمة ﴿آيَاتُ﴾ فيما سبق قد أضيفت إلى ما يدل على الكثرة؛ إذ لا يمكن القول بأن آيات الله قليلة. والله أعلم.

(١) ينظر : البحر المحيط . لأبي حيان . ١ / ٢٨٩

٤. (ثمرات النخيل) وردت هذه الكلمة مضافةً دالة على الكثرة في موضعين من كتاب الله، جاءت في الموضع الأول في محل جر بحرف الجر، و جاءت في الموضع الثاني في محل رفع نائب فاعل، وسوف أتناول الموضعين بالبحث والدراسة، وذلك لاختلاف المواقع الإعرابية فيهما، والموضعان هما :

١ . قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل ٦٧]

٢ . قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص ٥٧]

تبين الآية الأولى أنه لما ذُكر اللَّبن وأنَّه تعالى جعله شرابًا للنَّاس سائغًا، ثنَّى بذكر ما يتَّخذه النَّاس من الأَشرِبة، من ثمرات النَّخيل والأعناب، وما كانوا يصنعون من النَّبيذ المسكر قبل تحريمه؛ ولهذا امتنَّ به عليهم فقال:﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾ دلَّ على إباحته شرعا قبل تحريمه، ودلَّ على التَّسوية بين السَّكر المتَّخذ من العنب، والمتَّخذ من النَّخل كما هو مذهب مالكٍ والشَّافعِيِّ وأحمد وجمهور العلماء . و تبين الآية الثانية كذب المشركين و بطلان ما اعتذروا به ؛ لأنَّ اللَّه جعلهم في بلدٍ أمينٍ، وحرم معظَّم آمنٍ منذ وضع، فكيف يكون هذا الحرم آمنًا في حال كفرهم وشركهم، ولا يكون آمنًا لهم وقد أسلموا وتابعوا الحقَّ؟.وقوله: ﴿ يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أَيْ: منْ سائرِ الثِّمَار ممَّا حوله من الطَّائف وغيرِه، وكذلك المتاجر والأمتعة ﴿ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ أي: من عندنا .(١)

دراسة المسألة:

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٦ / ٢٤٧

موضع البحث والدراسة في هاتين الآيتين هو قوله تعالى: ﴿ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ﴾ و ﴿ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، فكلمة ﴿ ثَمَرَاتِ﴾ و هي جمع بألف وتاء لكلمة (ثمرة) .ويُقالُ: ثَمَرٌ مثل شَجَرٍ. ويُقالُ ثُمُرٌ مثل خُشُبٍ. ويُقالُ: ثُمْرٌ مثل بُدْنٌ. وَثِمَارٌ مثل إِكَامٍ جمع ثَمَرٍ.(١) وقد أضيفت إليها كلمة ﴿النَّخِيلِ﴾ في الموضع الأول، وكلمة ﴿كُلِّ﴾ في الموضع الثاني، وهي بهذه الإضافة عمت ودلت على الكثير، إذ لا يقول أحد إن ثمرات النخيل قليلة . كما نجد الجار والمجرور في قوله تعالى:﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ ﴾ متعلقٌ بمحذوف، قدَّره الزمخشريُّ: بـ (ونُسْقيكم) و حُذف لدلالة ما قبله عليه في قوله: ﴿ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾، و قدره آخرون بـ (جعل لكم أو خلق لكم)، إلا أن رأي الزمخشري أقرب للصواب ؛ لوجود (مِنْ) في صدر الكلام مما يدلُّ على تقديرِ فعلٍ يدلُّ عليه الفعلُ الَّذي في الجملة قبله وهو نسقيكم .(٢) وهذا يجعل السقيا تتكرر و تستمر ؛ لأن الفعل (نسقيكم) في زمن المضارع، وهذا يدل على كثرة السقيا وتكرارها، فتكثر الثمرات بتكرارها و استمرارها أيضاً .

أما كلمة ﴿ ثَمَرَاتِ﴾ في قوله تعالى :﴿ يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فقد أضيفت إلى نكرة عامة وهي كلمة ﴿كُلِّ﴾ و العام مستغرق في الكثرة .

و بهذا نجد أن كلمة ﴿ ثَمَرَاتِ﴾في هذين الموضعين من كتاب الله تعالى جاءت دالة على الكثرة بسبب الإضافة، وهذا مطردٌ مع ما قعد له النحاة في دلالة جمع القلة على الكثرة . والله أعلم..

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . ٢ / ٦٠٥

(٢) ينظر: الكشاف. للزمخشري . ٢/ ٦١٦

٥. (**جنات عدن**) **وردت هذه الكلمة مضافةً دالة على الكثرة في أحد عشر موضعاً من كتاب الله ،و سوف أتناول موضعاً واحداً منها بالبحث والدراسة ، وما يقال فيه يمكن القول به على بقية المواضع، و موضع البحث في :**

قوله تعالى : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ [ص ٤٩ - ٥٠]

جاءت هذه الآية الكريمة بعد أن ذكر الله جملة من الأنبياء وأحوالهم؛ ليأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على سفاهة قومه، ويخبره تعالى بأن عباده المؤمنين السُّعداء لهم في الدَّار الآخرة ﴿لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ وهو: المرجع والمنقلب. ثمَّ فسَّره بقوله:﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أي: جنَّات إقامة مفتَّحة لهم الأبواب.(١)

دراسة المسألة :

موضع البحث والدراسة في هذه الآية هو قوله : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾، و(جنات) جمع بألف وتاء لـ (جنة) و قد أضيفت إلى كلمة ﴿عَدْنٍ﴾، أي جنات إقامة، قال أبو حيان :" تقول العرب: تركت إبل فلانٍ عوادن بمكان كذا، وهو أن تلزم الإبلُ المكانَ فتألفه ولا تبرحه. وسمِّي المعدن معدنًا لإنبات اللَّه الجوهر فيه وإثباته إيَّاه في الأرض حتَّى عدن فيها أي ثبت. وعَدَنٌ مدينةٌ باليمن لأنَّها أكثر مدائن اليمن قطَّانًا ودورًا".(٢) و عامة القراء ينصبون (جنات) على أنها بدل من قوله : ﴿ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾.(٣) و المآب هو المرجع و المنقلب، وهذا يوافق المعنى؛ إذ يؤوب الإنسان و يرجع دائما إلى مكان إقامته.

---

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ٧ / ٧٧

(٢) ينظر: البحر المحيط . لأبي حيان . ٥ / ٤٤٧

(٣) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٩ / ٣٨٥

و كلمة (جنات) في هذا الموضع جاءت دالة على الكثرة بإضافتها إلى كلمة (عدن)؛ إذ لا يعقل أن يقول أحد إن المساكن التي أعدها الله لعباده ليقيموا بها ، و وعدهم بأن يحسن مآبهم فيها قليلة ، قال سبحانه و تعالى:﴿ وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ [سورة التوبة ٧٢].

و بهذا تكون كلمة (جنات) دالة على الكثرة؛ لأنها أضيفت إلى كلمة (عدن)، التي تدل على الكثرة بمعناها، وهذا يتفق مع قاعدة النحاة في هذا النوع من الجمع . و الله أعلم....

٦. (جنات الفردوس) وردت هذه الكلمة مضافةً دالة على الكثرة في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله تعالى .

قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف ١٠٧]

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن عباده السُّعداء، وهم الذين آمنوا بالله ورسوله، وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به، أن لهم جنَّات الفردوس، قال مجاهد: الفردوس هو البستان بالرُّوميَّة. وقال كعبٌ والسُّدِّيُّ والضَّحَّاك: هو البستان الَّذي فيه شجر الأعناب، وقال أبو أمامه: الفردوس سرَّة الجنَّة، وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنَّة وأوسطها وأفضلها، وقد روي هذا مرفوعًا من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النَّبِيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم قال : (الْفِرْدَوْسُ رَبْوَةُ الْجَنَّةِ أَوْسَطُهَا وَأَحْسَنُهَا).[1]

دراسة المسألة:

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٥ / ١٢٨

موضع البحث والدراسة في هذه الآية هو قوله: ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾،و﴿جَنَّاتُ﴾ جمع بألف وتاء لـ (جنة) و قد أضيفت إلى كلمة ﴿الْفِرْدَوْسِ﴾، قال الفرَّاء: الفردوس البستان الَّذي فيه الكرم. وقال ثعلب: كلُّ بستان يحوَّط عليه فهو فردوس. و ذكر أبو حيان: أنَّ معنى جنَّات الفردوس بساتين حول الفردوس ولذلك أضاف الجنَّات إليه.(١) على أنه اسم لمكان و موضع في الجنة، وفي الصَّحيحين:(إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الْجَنَّةَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ).(٢)

قال الطاهر ابن عاشور: " وإضافة الجنَّات إلى الفردوس بيانيَّة، أي جنَّات هي من صنف الفردوس، وورد في الحدِيث أنَّ الفردوس أعلى الجنَّة أو وسط الجنَّة . وذلك إطلاق آخر على هذا المكان المخصوص يرجع إلى أنَّه علمٌ بالغلبة. فإن حملت هذه الآية عليه كانت إضافة جنَّات إلى الفردوس إضافة حقيقيَّة، أي جنَّات هذا المكان".(٣)

و عليه و مما سبق من أقوال العلماء، نجد أن ﴿الْفِرْدَوْسِ﴾ اسمٌ وعلمٌ لموضع في الجنة، بل هو أعلا مكان فيها و قد أضيفت كلمة ﴿جَنَّاتُ﴾ إليه؛ وهذا جعلها دالة على الكثرة ؛ إذ لا يعقل أن تكون جنات هذا الموضع قليلة؛ كيف وهو أعلا مكان في الجنة و أفضل مكان، حتى أن رسولنا صلى الله عليه وسلم أرشدنا إلى أن نسأل الله أن يدخلنا ذلك المكان لأنه أعلا الجنان. و مما يدل على أن الفردوس علمٌ لموضع في الجنة يعرف به أن قوله:﴿نُزُلا﴾ في أخر الآية جاءت منصوبة على الحال من ﴿جَنَّاتُ﴾ ، أي: ذوات نُزُلٍ، والنُّزل يكون له مكان ينزل

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان . ٧ / ٢١٨

(٢) ينظر: صحيح البخاري . ٤ / ١٦

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور . ١٦ / ٥٠

فيه، وفيه أيضاً دليل على كثرة الجنات في ذلك المكان، وكثرة النعيم فيها حتى أنهم لا يبغون عنها حولا لكثرة نعيمها، وكثرة النعيم يدل على كثرة الجنات .

لذا جاءت كلمة ﴿جَنَّاتُ﴾ في هذا الموضع دالة على الكثرة؛ بإضافتها إلى كلمة ﴿الْفِرْدَوْسِ﴾، وهذا يتوافق مع قاعدة النحاة في هذا النوع من الجموع . والله أعلم.

٧. (خطوات الشيطان) وردت هذه الكلمة مضافةً دالة على الكثرة في خمسة مواضعٍ من كتاب الله، وقد جاءت في كل تلك المواضع في محل نصب مفعول به للفعل (تبع)، و من تلك المواضع:

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة ١٦٨]

يأمر الله عباده في هذه الآية الكريمة بأن يأكلوا من رزقه الذي أباحه لهم في الأرض، وهو الطاهر غير النجس، النافع غير الضار، و ينهاهم من إتباع طرق الشيطان في التحليل والتحريم، والبدع والمعاصي. لأنه عدو لهم ظاهر العداوة.(١)

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿خُطُوَاتِ﴾، وهي جمع بألف وتاء لـ (خُطْوة)، و قرئت بضم الخاء والطاء ﴿خُطُوَاتِ﴾، و قرأها البعض بضم الخاء و تسكين الطاء (خُطْوات). أمّا من ضمَّ العين؛ فلأنَّ الواحدة (خُطْوَة) فإذا جمعت، حرِّكت العين للجمع، كما فعلت في الأسماء التي على هذا الوزن نحو: غُرْفَةٍ وغُرَفاتٍ، وتحريك العين على هذا الجمع للفصل بين الاسم والصِّفة؛ لأن كلَّ ما كان اسماً جمعته بتحريك العين نحو: (تَمْرَة

(١) ينظر: التفسير الميسر . ١ / ٢٥

وتَمَرَات، وغَرْفَةٍ وغَرَفاتٍ، وشَهْوَةٍ وشَهَوَاتٍ)، وما كان نعتاً جمع بسكون العين نحو: (ضَخْمَةٍ وَضَخْمَاتٍ، وعَبْلَةٍ وعَبْلاَتٍ)، والخُطْوَة: من الأسماء لا من الصفات، فتجمع بتحريك العين.(١)

قال الجوهري :" الخُطْوَةُ بالضم: ما بين القدمين، وجمع القلة خُطُواتٌ وخُطَواتٌ وخُطْواتٌ، والكثير خُطىً. والخَطْوَةُ بالفتح: المرّة الواحدة، والجمع خَطَواتٌ بالتحريك وخِطاءٌ ". (٢)

و كلمة ﴿خُطُوَاتِ﴾ في الآية السابقة في محل نصب مفعول به، و هي مضافة إلى كلمة ﴿الشَّيْطَانِ﴾، واللام في الشيطان للجنس، و ﴿خُطُوَاتِ﴾ جمع قلة، إلا أنها عمت و صارت للكثير بالإضافة إلى كلمة ﴿الشَّيْطَانِ﴾؛ إذ أن خطوات الشيطان وساوسه و تتبع آثاره ونزواته، بل قال جمهور المفسرين: إنها أَثَرَ الشَّيْطَانِ وَعَمَلَهُ، وعند ابن عباس ﴿خُطُواتِ الشَّيْطانِ﴾أَعْمَالُهُ. و قال مُجَاهِدٌ: خَطَايَاهُ. و قال السُّدِّيُّ: طَاعَتُهُ. (٣)

و كل ما أتاه الإنسان مما نهى الشرع عنه فهو من خطوات الشيطان، ولا يقول أحد إن وساوس الشيطان و مكايده لابن آدم قليلة للفرد الواحد منهم، فكيف و الخطاب في الآية للعموم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ .

و عليه فإن كلمة ﴿خُطُوَاتِ﴾ في هذه الآية دلت على الكثير؛ لإضافتها إلى ما هو دالٌ على الكثرة . وهذا يتفق مع ما قاله النحاة في تقعيدهم، و يمكن القول بهذا في جميع المواضع في القرآن الكريم التي ذكرت فيها كلمة ﴿خُطُوَاتِ﴾ مضافة . والله أعلم

(١) ينظر : اللباب في علوم الكتاب. ٣ / ١٥٢

(٢) ينظر : منتخب من صحاح الجوهري. ١ / ١٣٣٠

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي . ٢ / ٢٠٨

٨ . (روضات الجنات) وردت هذه الكلمة مضافةً دالة على الكثرة في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله، وقد جاءت في ذلك الموضع في محل جرٍ بحرف الجر.

قال تعالى: ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾. [الشورى ٢٢]

تبين هذه الآية حال الخلق في عرصات يوم القيامة، و أنهم قسمان: فالظالمون مشفقون خائفون من مغبة ظلمهم وعصيانهم، و العذاب واقع بهم لا مناص منه. و القسم الثاني: هم المؤمنون فرحون بطاعتهم و أعمالهم الصالحة، فهم يتقلبون في روضات الجنان، لهم فيها أنواع الملذات من النعيم بفضل من ربهم الكريم.(١)

دراسة المسألة:

موضع البحث والدراسة في هذه الآية الكريمة هو قوله تعالى:﴿رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾، والروضات جمع بألف وتاء لروضة، والروضة هي المكان النَّزه ذو الخضرة. و روضة الجنة أطيب بقعةٍ فيها .(٢) و قيل: الرَّوضاتُ جمع روضةٍ، وهي اسم لمجْموعِ ماءٍ وشجرٍ حافٍّ به وخضرةٍ حوله.(٣) و روضات في هذا الموضع مجرورة بـ في، ومضافة إليها كلمة الجنات، فاكتسبت الكثرة بهذه الإضافة، إذ لو أضيفت إلى كلمة (الجنة) لدلت على الكثرة، وذلك أن النحاة يقولون: إن جمع القلة يعم و يكثر بالإضافة .فكيف به وقد أضيف إلى جمعٍ يدل على الكثرة هنا، ثم أن الجنة مراتب وكل مرتبة فيها روضات للمؤمنين بحسب أعمالهم . وهذا من فضل الله و الله فضله

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٧ / ١٢٨

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب . ١٧ / ١٨٧

(٣) ينظر: التحرير والتنوير . ٢٥ / ٧٩

عظيم، كيف لا وهو سبحانه أعقب ذلك بقوله: ﴿ لهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ فلا يليق أن يقول أحد إن روضات هنا للقلة، ففضل الله أكثر و أعظم .

و مما سبق يتضح لنا أن كلمة ﴿رَوْضَاتِ﴾ في قوله سبحان:﴿رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ دالة على الكثرة، بسبب الإضافة، وهذا يتفق و يطرد مع ما ذكره النحاة في تقعيدهم ... والله أعلم.

٩ . (غمرات الموت) وردت هذه الكلمة مضافةً دالة على الكثرة في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام ٩٣]

تبين هذه الآية الكريمة حال الظالمين عند نزول الموت بهم، وهم في سكراته وغمراته وكرباته، ﴿ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: بالضرب، قال الضحَّاكُ، وأبو صالح: ﴿ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: بالعذاب. وكما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ [الْأَنْفَالِ: ٥٠] ؛ ولهذا قال: ﴿ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: بالضَّرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم؛ ولهذا يقولون لهم: ﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ﴾ وذلك أنَّ الكافر إذا احتضر بشَّرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسَّلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرَّق روحه في جسده، وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتَّى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم:﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾.(١)

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٣ / ٣٠٢

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث و الدراسة في الآية السابقة هي كلمة﴿ غَمَرَاتِ ﴾ و هي جمع بألف و تاء لكلمة (غمرة)، والغَمَرات: جمع غَمْرة وهي الشدة المفظعة ، وأصلها مِنْ غَمَرَهُ الماء إذا ستره، كأنها تستر بغمِّها وتنزل به فلا يُرءئئزئوسءؤغفقثيؤوترك للمغمور مخلصا.[1] و هي في محل جر و أضيفت إلى كلمة ﴿الْمَوْتِ﴾، و قوله:﴿ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ في محل رفع خبر للمبتدأ ﴿الظَّالِمُونَ﴾،و تكون (أل) فيها للجنس؛ لأن ﴿الظَّالِمُونَ﴾ لفظ عام يشمل كل ظالم ومشرك، فالتعريف في الظَّالمون تعريف الجنس المفيد للاستغراق. لهذا جاءت كلمة ﴿ غَمَرَاتِ﴾ جمع بألف و تاء مضاف إلى معرفٍ بـ(أل) لتدل على الكثير؛ إذ هي في موقع الخبر لـ﴿الظَّالِمُونَ﴾، ثم إنه لا يقول أحد بأن غمرات الموت قليلة، و قد فسر ابن عباس غمرات الموت بسكرات الموت، وهناك من فسر غمرات الموت بشدائد العذاب في النار.[2]

و بهذا تكون قد جمعت لتعدُّد الغمرات بعدد الظَّالمين فتكون صيغة الجمع مستعملةً في حقيقتها. ويجوز أن يكون لقصد المبالغة في تهويل ما يصيبهم بأنَّه أصناف من الشَّدائد وذلك لتعدُّد أشكالها وأحوالها ،ولما كان للموت سكرات جعلت غمرة الموت غمراتٍ.[3]

ومما سبق ذكره نجد أن كلمة ﴿غَمَرَاتِ﴾ جمعٌ بألف وتاء دالةٌ على الكثرة؛ إذ أضيف إليه ما فيه أل فدل على العموم والكثرة، وهذا يتفق مع ما قعد له النحاة. و الله أعلم.

---

(١) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٥ /٤١

(٢) ينظر: تفسير روح المعاني . ٤ / ٢١٢

(٣) ينظر: التحرير والتنوير . ٧ / ٣٧٦

١٠ . كلمة (فتياتكم) ورد هذه الكلمة مضافة دالة على الكثرة في موضعين من كتاب الله عز وجل . وسوف أتناول أحدهما بالبحث والدراسة ، وما يقال فيه يمكن القول به على الآخر ، وموضع البحث هنا هو :

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُّنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور ٣٣]

اشتملت الآيات السابقة لهذه الآية على جملٍ من الأحكام المحكمة، والأوامر المبرمة، والتي منها ما جاء في هذه الآية، و هو أنه كان أهلُ الجاهليَّة إذا كان لأحدهم أمةٌ، أرسلها تزني، وجعل عليها ضريبةً يأخذها منها كلَّ وقت. فلمَّا جاء الإسلام، نهى اللَّه المسلمين عن ذلك.(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة﴿فَتَيَاتِكُمْ﴾، وهي جمع بألف و تاء زائدتين لكلمة (فتاة) ، وهي كذلك مضافة إلى ضمير المخاطبين؛ لذلك جاءت دالةً على الكثرة على قاعدة النحاة، و قد اختلف المفسرون في المقصود بـ (الفتيات) في هذه الآية فمنهم من قال : إن المقصود الإماء المملوكات وحجتهم أن سبب نزول هذه الآية ما رُوي عن جابر بن عبد اللَّه وابن عبَّاسٍ رضي اللَّه عنهم أنَّ هذه الآية نزلت في عبد اللَّه بن أبيٍّ، وكانت له جاريتان إحداهما تُسمَّى معاذة والأخرى مسيكة، وكان يكرههما على الزنى ويضربهما عليه ابتغاء الأجر وكسب الولد، فشكتا ذلك إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم فنزلت هذه الآية.(٢)

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ٦ / ٥٤

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي . ١٢ / ٢٥٤

قال أبو حيان :" والفتاةُ المملوكة وهذا خطابٌ للجميع".[1] و منهم من قال أن المقصود عموم المسلمات ، وقال الطاهر ابن عاشور :" جميع هذه الآثار متظافرة على أنَّ هذه الآية كان بها تحريم البغاء على المسلمين والمسلمات المالكات أمر أنفسهنَّ".[2]

و مما سبق ذكره من أقوال العلماء نجد أن كلمة (فتياتكم) يقصد بها عموم المسلمات؛ لذلك جاءت في الآية دالة على الكثرة على قاعدة النحاة؛ لأنها مضافة إلى كاف المخاطبين العائد على واو الجماعة في الفعل(تكرهوا) وهو فعل مضارع يفيد التكرار والاستمرار ، فالنهي هنا متصل مستمر متكرر وهذا يفيد الكثرة ، سواء قُصد بالفتيات الإماء المملوكات أو عموم المسلمات علما أن الأقرب للصواب أن المقصود عموم المسلمات. و الله أعلم.

١١ . (قاصرات الطرف) وردت هذه كلمة (قاصرات) مضافةً دالة على الكثرة في ثلاثة مواضعٍ من كتاب الله، جاءت في كل تلك المواضع في محل رفع، وسوف أتناول موضعاً واحداً من تلك المواضع بالبحث والدراسة، و ما يقال فيه يمكن القول به على بقية الآيات، و موضع بحثي هنا هو :

قوله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَاجَانٌّ ﴾ [الرحمن٥٦]

تبين الآية الكريمة أن الله سبحانه لما ذكر أحوال أهل النَّار ذكر ما أعدَّه للأبرار من نعيم الجنان، وذكر سبحانه من ذلك النعيم ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾، أي نساءٌ قصرنَ أعينهنَّ على أزواجهنَّ فلا يرين غيرهم.[3]

(١) ينظر : البحر المحيط . لأبي حيان . ٨ / ٤٠

(٢) ينظر : التحرير والتنوير . لابن عاشور . ١٨ / ٢٢٣

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي . ١٧ / ١٨٠

دراسة المسألة:

كلمة (قاصرات) هي المعنية بالبحث والدراسة، وقد أضيفت إلى كلمة (الطرف)، من إضافة اسم الفاعل لمنصوبه تخفيفا، والقاصرات: الحابسات، و الطرف: اسم من أسماء العين يقال: طرفت عيناه و تطرف طرفاً، و قوله: ﴿ قاصرات الطرف ﴾ صفة لموصوف محذوف، تقديره: نساء أو أزواج، فحذف الموصوف و قامت الصفة مقامه ؛ لأنه – تعالى – لم يذكرهُنّ باسم الجنس، وهو النساء بل بالصفات، فقال:﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ [الواقعة: ٢٢]، ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً ﴾ [النبأ: ٣٣] ﴿ قَاصِرَاتُ الطرف﴾ ، ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ﴾ [الرحمن: ٧٢] ولم يقل: نساء عُرباً، ولا نساء قاصرات .(١)

و عندما كان هذا من نعيم الجنة؛ فإنه لا يُعقل أن يقال إنه قليل، بل هو أكثر مما هو كثير في أعين المؤمنين، فالله أعد لعباده في الجنات مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ لذلك فإن كلمة﴿قَاصِرَاتُ﴾ جاءت في هذه الآية دالة على الكثرة؛ إذ هي مضافة إلى كلمة ﴿الطرف﴾؛ فهي للكثرة على القاعدة النحوية . والله أعلم.

١٢ . (كلمات الله) و (كلمات ربي) وردت كلمة (كلمات) مضافة دالة على الكثرة في ستة مواضعٍ من كتاب الله، جاءت في كتاب الله على ضربين: الأول منهما أنها جاءت في ثلاثة مواضعٍ مضافة إلى كلمة (رب)، والثاني أنها جاءت في الثلاثة الأخر مضافة إلى لفظ الجلالة، و سوف أتناول بالبحث والدراسة موضعاً واحداً على كل ضرب من الضربين .

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب .١٨ / ٣٥٠

١ . قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف ١٠٩]

٢ . قال تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ مَافِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان ٢٧]

في الآية الأولى يقول تعالى: قل يا محمَّد لو كان ماء البحر مدادًا للقلم الذي تكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالة عليه، لنفد البحر قبل أن يفرغ كتابَه ذلك، ولو جئنا بمثله، أيْ: بمثل البحر بحراً آخر، ثُمَ آخر وهلُمَّ جرًّا بحورٌ تمدُّه ويُكتبُ بِها، لما نفدتْ كلمات اللَّه .

و في الآية الثانية يقول تعالى: مخبرًا عن عظمَته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنَى وصفاته العلَا، وَكلمَاته التَّامَّة الَّتي لا يحيطُ بها أحدٌ، ولا اطِّلَاع لبشر على كنهها وإحصائها. فيقول تعالى: لو أنَّ جميع أشجار الأرض جعلت أقلامًا، وجعل البحر مدادا، وأمده سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَعَهُ،فَكُتِبَتْ بِهَا كَلِمَاتُ اللَّهِ الدَّالَّةُ عَلَى عَظْمَتِهِ وَصِفَاتِهِ وَجَلَالِهِ لَتَكَسَّرَتِ الْأَقْلَامُ ونفذ ماء البحر،ولو جاء أمثالها مددا لم تنفد كلمات الله سبحانه و تعالى .(١)

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هاتين الآيتين هي كلمة ﴿كَلِمَاتُ﴾ و هي جمع بألفٍ وتاء لـ (كلمة) بمعنى الكلام كما في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ .(٢) و قد وقعت في الآية الأولى في محل جرٍ باللام و أضيفت إليها كلمة ﴿رَبِّي﴾، وفي الآية الثانية جاءت في محل رفع فاعل للفعل نفد، و أضيف إليها لفظ الجلالة .

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير .٥ / ١٨٢، ٦ / ٣١١

(٢) ينظر: التحرير والتنوير . ٢١ / ١٨١

قال الزَّمخشريُّ: " فإن قلت: الكلمات جمع قلَّةٍ، والمواضع مواضع التَّكثير لا التَّقليلِ، فهلَّا قيل: كلم اللَّه؟ قلت: معناه أنَّ كلماته لا تفي بكتبها البحار، فكيف بكلمه؟ " انتهى. و الزمخشري هنا يرى أن ذكر جمع القلة هنا في موضع الكثرة من وجوه الإعجاز ؛ إذ لو جعلت البحار مداداً لما هو قليل لنفدت فكيف بالكثير . لكن أبا حيان رد قوله ذلك فقال: "وعلى تسليم أنَّ كلماتٍ جمع قلَّةٍ، فجموع القلَّة إذا تعرَّفتْ بالأَلف واللَّام غير العهديَّة، أو أضيفت، عمَّتْ وصارت لا تخصُّ القليل، والعامُّ مستغرِقٌ لجميع الأفراد".(١) وقد جاءت في هذه المواضع مضافة كما ذكرنا .

وعليه فإن ﴿كَلِمَاتُ﴾ في الآيتين السابقتين جاءت دالة على الكثرة ؛ إذ أضيف إليها ما يدل على التكثير، فقد أضيفت إلى كلمة الرب مرة و إلى لفظ الجلالة مرة أخرى ؛ و بهذا فلا يقال بأن كلمات الرب سبحانه وتعالى قليلة، و عليه يمكن القول بهذا الحكم على بقية الآيات التي على شاكلتها. والله أعلم.

١٣ . (همزات الشياطين) وردت كلمة (همزات) مضافةً دالة على الكثرة في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله.

قال تعالى: ﴿ وَقُل رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ [المؤمنون ٩٧]

في هذه الآية يأمر اللَّه تعالى نبيَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم والمؤمنين بالتَّعوُّذ من الشَّيطان في همزاته، وهي ثورات الغضب الَّتي لا يملك الإنسان فيها نفسه، وكأنها هي الَّتي كانت تصيب المؤمنين مع الكفَّار فتقع المحادَّة فلذلك اتَّصلت بهذه الآية.(٢)

(١) ينظر: البحر المحيط . ٨ / ٤٢٢

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن . تفسير القرطبي . ١٢ / ١٤٨

دراسة المسألة:

موضع البحث و دراسة في هذه الآية هو قوله: ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ و كلمة ﴿هَمَزَاتِ﴾ جمع بألف وتاء لـ (همزة)، الهمز: النخس والدفع باليد . والهمزات: جمع المرّة منه. ومنه: مهماز الرائض. والمعنى أنّ الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها، كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي. ونحو الهمز الأزّ كما في قوله تعالى: ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ .(١) و قد أضيفت كلمة ﴿هَمَزَاتِ﴾ إلى ﴿الشَّيَاطِينِ﴾، لتدل على أن المقصود بها وساوسهم أو نزغاتهم، أو إغوائهم، أو أذاهم .

قال أبو حيان: " همز الشَّيطان الجنون، والظَّاهر أنَّه أمر بالاستعاذة من حضور الشَّياطين في كلِّ وقت. وعن ابن عبَّاس عند تلاوة القرآن".(٢)

و قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ جملة معطوفة على ما قبلها،فإن كان العطف مُتَّصِلًا بِقَوْلِهِ: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٩٦] فإن المعنى يكون: أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالتَّعوُّذ من تحريك الشَّيطان داعية الغضب والانتقام في نفسه صلَّى الله عليه وسلَّم، فيكون الشَّياطين مستعملًا في حقيقته .و يكون المراد من ﴿همزات الشَّياطين﴾ تصرُّفاتهم بتحريك القوى الَّتي في نفس الإنسان، مثل تحريك القوَّة الغضبيَّة .

أو أَن تكون جملة ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ عطفًا على جملة ﴿ قُل رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٩٣] و يكون المعنى: أَن اللَّهُ أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يلجأ إليه بطلب الوقاية من المشركين وأذاهم، فيكون المراد من الشَّياطين المشركين

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري . ٣ / ٢٠٢ ، و الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٨ / ٣٦٤

(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان . ٧ / ٥٨٣

فإنَّهم شياطين الإنس كما قال تعالى:﴿ وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نبيء عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الْأَنْعَام: ١١٢] ويكون هذا في معنى قوله:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ:﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [النَّاس: ١- ٦] فيكون المراد: أعوذ بك من همزات القوم الظَّالمين أو من همزات الشَّياطين منهم. فيكون الشياطين هنا على غير الحقيقي .(١)

وعلى أي المعنيين السابقين، أي إن قُصد بـ ﴿الشَّياطين﴾ المعنى الحقيقي، أو غير الحقيقي، فإن ﴿هَمَزَاتِ﴾ في هذا الموضع دالة على الكثرة؛ بإضافتها إلى كلمة ﴿الشَّياطين﴾؛ إذ لا يقول أحد على المعنى الحقيقي لكلمة ﴿الشَّياطين﴾ إن همزاتهم و وساوسهم وطرقهم في إغوائهم للمؤمنين قليلة، كذلك الحال لو حملت على المعنى الغير حقيقي؛ فإن الظالمين والشياطين من المشركين بالغوا في أذى النبي صلى الله عليه وسلم و سلكوا كل مسلك في إيذاء المؤمنين.

و عليه ومما سبق ذكره، نجد أن ﴿هَمَزَاتِ﴾ جمع بألف وتاء دالاً على الكثرة؛ بإضافته إلى كلمة ﴿الشَّياطين﴾ وهذا يتفق مع قاعدة النحاة في دلالة جموع القلة على الكثرة بالإضافة .

والله أعلم.

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور . ١٨ / ١٢١

الفصل الثاني

ما جُمع بالألف وتاء في القرآن الكريم مما ظاهره عدم مراعاة القلة والكثرة

و تحته مبحثان :

المبحث الأول : ما دل على القلة في موضوع الكثرة.

المبحث الثاني : ما دل على الكثرة في موضع القلة

المبحث الأول : ما جمع بألف و تاء زائدتين دالاً على القلة في موضع الكثرة.

في هذا المبحث من هذا الفصل، أورد بإذن الله تعالى ما جاء في القرآن الكريم من كلمات مجموعة بألف وتاء زائدتين، دالة على القلة على قاعدة النحاة ، وهي في موضع الكثرة، وسوف أوردها مرتبة بالترتيب الهجائي على النحو الآتي :

١ . كلمة(آيات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة على قاعدة النحاة في موضع الكثرة، في خمسة عشر موضعاً من كتاب الله تعالى، و قد جاءت على قسمين، ففي القسم الأول: نجدها موصوفة بصفات تدل أيضا على القلة، و تلك الصفات هي:(بينات ومبينات) وذلك في عشرة مواضعٍ من كتاب الله تعالى. أما القسم الثاني فقد جاءت كلمة (آيات) فيه غير موصوفة، وذلك في ثلاثة مواضع. وسوف أتناول بالبحث والدراسة شواهد على تلك المواضع والأقسام .

أولاً: المواضع التي وردت فيها كلمة (آيات) موصوفة:

١ . وردت كلمة (آيات) موصوفة بـ (بينات) في سبعة مواضع من كتاب الله ، وسوف أتناول موضعاً واحداً منها، وما يقال فيه يمكن القول به على بقية المواضع التي على شاكلته، و موضع الدراسة هو:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ [البقرة ٩٩]

يخاطب الله في هذه الآية نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، و أنه سبحانه أنزل عليه آيات وعلاماتٍ واضحاتٍ هي دلالات على نبوته صلى الله عليه وسلم، وما يكذب بها إلا الجاحدون.(١)

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ١ / ٣٤٤

دراسة المسألة :

كلمة ﴿آيَاتٍ﴾ هي المعنية بالبحث والدراسة هنا، و هي جمعٌ بألف وتاء زائدتين لكلمة (آية) ، نكرة دالة على القلة على قاعدة النحاة ، إلا أنها في موضع الكثرة؛ إذ لا يقول أحد إن الآيات التي أنزلها الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قليلة ، فما السر في ذلك ؟ و ما السر في وصف كلمة ﴿آيَاتٍ﴾ بصفة ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ و التي هي للقلة على قاعدة النحاة مثلها ؟

إن سبب نزول هذه الآية هو ما ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره فقال :" عن ابن عباس قال: قال ابن صوريا الفِطيوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها! فأنزل الله عز وجل:﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾".(١)

ثم قال في تفسيره لمعنى الآية : " فتأويل الآية: ﴿ولقد أنزلنا إليك ﴾ فيما أوحينا إليك من الكتاب علامات واضحات تبين لعلماء بني إسرائيل وأحبارهم – الجاحدين نبوتك، والمكذبين رسالتك – أنك لي رسول إليهم، ونبي مبعوث، وما يجحد تلك الآيات ـ الدالات على صدقك ونبوتك، التي أنزلتها إليك في كتابي فيكذب بها منهم ـ إلا الخارج منهم من دينه، التارك منهم فرائضي عليه في الكتاب الذي يدين بتصديقه".(٢)

و قيل: إن المقصود بالآيات القرآن والمعجزات، و الإخبار عما خفي وأخفي في الكتب السابقة، أو الشرائع والفرائض، أو مجموع ما تقدم كله والظاهر الإطلاق.(٣)

و مما سبق ذكره نجد أن كلمة ﴿آيَاتٍ﴾ قصد بها في الآية السابقة آيات القرآن أو معجزات النبي صلى الله عليه وسلم أو الشرائع والفرائض ، وهذا كله كثير لا يقال بقلته ، فكيف أمكن أن تأتي نكرة دالة على القلة على قاعدة النحاة ؟ ثم كيف أمكن أن توصف بـ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ و التي هي للقلة على القاعدة نفسها ؟

---

(١) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري . ٢ / ٣٩٨

(٢) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري . ٢ / ٣٩٩

(٣) ينظر : اللباب في علوم الكتاب . ٢ / ٣١٧ . وتفسير روح المعاني للألوسي . ١ / ٣٣٤

إن السر في ذلك كله والله أعلم : أن الآية جاءت تبين عظيم ما وقع فيه اليهود من إنكارهم و جحودهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به، مع وجود الآيات الواضحات التي لا ينكرها إلى المتمرد في كفره ، لذلك و صفهم الله بالفاسقين . والفسق تغطيةٌ وسترٌ لما هو واضح بيِّنٌ .(١) فلما كانت تلك الآيات واضحات لا لبس فيها جاءت موصوفة بـ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ للفت الانتباه إلى وضوح وجلاء تلك الآيات لا للنظر إلى قلتها من كثرتها ، وقد رأينا في سبب النزول أن ابن صوريا لم يطلب من رسول الله آيات كثيرة أو قليلة، وإنما طلب آية يعرفها واضحة، وذلك بقوله :(يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها) و ذلك جحود منه ونكرانا .

وعليه نقول: أن كلمة ﴿آيَاتٍ﴾ في الآية السابقة جاءت جمعاً بألف و تاء دالاً على القلة على قاعدة النحاة وإن كانت في موضع الكثرة؛ وذلك لغرض بلاغي هو لفت الانتباه إلى وضوح وجلاء تلك الآيات. وهذا إعجازٌ بلاغيٌ في النظم القرآني، و تفنن في الأسلوب البياني.

و يمكن القول بهذا في بقية الآيات التي على شاكلتها. و الله أعلم .

٢ . وردت كلمة (آيات) موصوفة بـ (مبينات) في موضعين فقط في القرآن الكريم هما:

١ . قال تعالى :﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [النور ٣٤]

٢ . قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[النور ٤٦]

الآية الأولى جاءت بعد أن ذكر الله مجموعة من الأحكام المحكمة، والأوامر المبرمة في سورة النور ، فلمَّا فصَّل تعالى هذه الأحكام وبيَّنها قال: ﴿وَلَقَدْ أَنزلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ يعني: القرآن فيه آيات واضحات مفسِّرات .

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان . ١ / ٥١٨

أما الآية الثانية فإنها تبين أنَّه تعالى أنزل في هذا القرآن من الحكم والأمثال البيِّنة المحكمة ما هو كثير جدًّا، وأنَّه يرشد إلى تفهُّمها وتعقُّلها من قبل أولِي الألباب والبصائر والنُّهى؛ ولهذا قال:﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾. (١)

دراسة المسألة :

كلمة ﴿آيَاتٍ﴾ في هاتين الآيتين جاءتا دالتين على القلة على قاعدة النحويين، موصوفتين بكلمة ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ الدالة أيضا على القلة. و قد قرئت بالفتح ﴿مُبَيَّنَاتٍ﴾ أَي بَيَّنَ اللَّه في هذه السُّورة وأوضح آيَاتٍ تضمَّنت أحكامًا وحدودًا وفرائض، فتلك الآيات هي المبيَّنَة التي بينها الله. وقرئت بكسرِ الياءِ ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ ، فإمَّا أن تكون متعدِّيةً أَي مُبَيِّناتٍ لغيرها من الأحكام والحدود، فأسند ذلك إليها مجازًا ، وإمَّا أن تكون لا تتعدَّى أَي بَيِّنَاتٌ في نفسها لا تحتاج إلى موضِّحٍ بل هي واضحةٌ لقولهم في المثل. قد بيَّن الصُّبحُ لذي عينين.(٢) لكن الآيات التي بينها الله في كتابه أو التي هي بينات واضحات في نفسها كثيرة؛ فكيف جاءت هنا بلفظ القلة على قاعدة النحويين في هذا النوع من الجمع ؟

اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى:﴿آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ قيل: المقصود بآياتٍ مُبَيِّناتٍ أَيِ: القرآن، فإنَّه قد اشتمل على بيان كلِّ شيءٍ،ومنه قوله تعالى: ﴿وما فرَّطنا في الكتاب من شيءٍ﴾.(٣) و قال الطاهر ابن عاشور : " والآيات جُمَلُ القرآن لأَنَّها لكمال بلاغتها وإعجازها المعاندين عن أن يأتوا بمثلها كانت دلائل على أنَّه كلامٌ منزَّل من عند اللَّه".(٤)

و مما سبق من أقوال المفسرين نجد أن المقصود بـ ﴿آيَاتٍ﴾ في هذا الموضع هي آيات القرآن الكريم التي بينت كل شي و وضحت ما دل على أمر أو نهي ، وهي كثيرة لا يقال بقلتها أبدا؛ لذلك وصفت تلك الآيات بـ ﴿مُبَيَّنَاتٍ﴾ التي جاءت على صيغة المفعول. على معنى : أَنَّ اللَّه بيَّنها ووضَّحها. أو على صيغة الفاعل ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ أي: أنَّها أبانت المقاصد الَّتي أُنزلت لأجلها.

---

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٦ / ٥٧

(٢) ينظر : تفسير البحر المحيط لأبي حيان . ٨ / ٤٢

(٣) ينظر : فتح القدير للشوكاني . ٤ / ٥١

(٤) ينظر : التحرير و التنوير لابن عاشور . ١٨ / ٢٢٩

والمعنيان متلازمان لا تفاوتَ بين مفادهما ومفاد قوله:﴿وأنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ﴾ [النُّور: ١] في أوَّل السُّورة لأنَّ البيِّنات هي الواضحة ، أي واضحة الدَّلالة والإفادة ؛ ففي الآيتين جاءت كلمة ﴿آيَاتٍ﴾ موصوفة على سبيل الإيضاح من الله لما تقدم في سورة النور من الآيات السابقة واللاحقة، وبيان جلالة شأن تلك الآيات، المستوجبة للإقبال الكلي على العمل بمضمونها، وعندما وصفت بقوله : ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ أفادت الكثرة و إن كانت بلفظ القلة؛ وذلك أنَّها بهذه الصفة متعدِّيةً أَي مُبَيِّناتٍ لغيرها من الأحكام والحدود وهذا فيه معنى للكثرة؛ إذ هي تبين كل شيء. و النحاة يقولون: إن جمع القلة إذا قُرِنَ بأل التي للاستغراق، أو أضيف إلى ما يدل على الكثرة انصرف بذلك إلى الكثرة. و ﴿آيَاتٍ﴾ هنا وصفت بما يصرفها إلى الكثرة ، لاسيما أنها وصفت بمشتق فيه معنى التكرار الذي يشير على الكثرة ، وهذا من التفنن في الأسلوب القرآني المعجز. والله أعلم .

ثانياً : المواضع التي وردت فيها كلمة (آيات) غير موصوفة و ذلك في موضعين منها:

١ . قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ [يوسف ٧]

٢ . قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات ٢٠]

الآية الأولى جاءت في مساق قصة يوسف عليه السلام، ففي قصته و إخوته آيات و علاماتٌ ودلائل على قدرة الله تعالى وحكمته في كلِّ شيءٍ، و للسَّائلين لمن سأل عنهم وعرف قصَّتهم. وقيل: آياتٌ على نبوَّة النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم للذين سألوه من اليهود عنها، فأخبرهم بالصِّحَّة من غير سماعٍ من أحدٍ، ولا قراءة كتابٍ.(١)

أما الآية الثانية فقد جاءت بعد أن أقسم الله بالذاريات و الحاملات و الجاريات والمقسمات، ثم جاء سبحانه بجواب القسم وهو قوله :﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ أي فبعد أن أقسم – تعالى– بهؤلاء الآيات، ذكر أن أمر الساعة الذي توعدون لَصادِقٌ، ثم قال سبحانه: ﴿وإِنَّ الدِّينَ لَواقِعٌ﴾ أي: إن الحساب لكائن، ثم لما ذكر أمر الفريقين المصدقين بذلك من المؤمنين

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان . ٦ /٢٤٠

والمنكرين للبعث والنشور؛ بيَّن سبحانه أنَّ في الأرض علامات تدلُّ على قدرته على البعث والنُّشور فقال : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ .[1]

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة هنا هي: ﴿آيَاتٍ﴾ و هي جمع بألفٍ وتاء لكلمة (آية) وقد جاءت نكرة دالة على القلة على قاعدة النحاة ، إلا أنها في هذين الموضعين في موضع الكثرة؛ وذلك أن الآيات التي في قصة يوسف كثيرة، وكذلك الأمر بالنسبة للآيات التي في الأرض في سورة الذاريات . فلماذا جاء التعبير القرآني هنا بلفظ القلة ؟ أم أن هناك عدم اطراد في القاعدة النحوية ؟؟

قرأ الجمهور ﴿آيَاتٍ﴾ في سورة يوسف بالجمع ، وقرأ ابن كثير- وحده- (آية) بالإفراد، وهي قراءة مجاهد وشبل وأهل مكة ، فالأولى: على معنى أن كل حال من أحوال يوسف و إخوته آية فجمعها. والثانية: على أن أحوالهم بجملتها آية .[2] و قيل:﴿آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ أي بصيرة وقيل:أي عبرة. وروي أنها في بعض المصاحف (عبرة للسائلين).[3]

قال أبو جعفر:" «آية» هاهنا قراءة حسنة ، أي لقد كان للسائلين عن قصة يوسف آية فيما أُخبروا به لأنهم سألوا النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو بمكة فأخبرهم بها".[4]

وقد ذكر المفسرون أقولاً مختلفة حول تفسير قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ ، فقيل : المقصود بالآيات أي: آيات على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها، فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب.[5] وقيل: معنى: ﴿ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴾ أي: أن فيها عبرة للمتعبرين ؛ فإنها تشتمل على حسد إخوة يوسف،

(١) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان . ٤ / ١٢٧
(٢) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٣ / ٢٢١
(٣) ينظر : معاني القرآن للنحاس . ٣ / ٣٩٩
(٤) ينظر : إعراب القرآن للنحاس . ٢ / ١٩٢
(٥) ينظر : الكشاف للزمخشري . ٢ / ٤٤٥

وما آل إليه أمرهم من الحسد، وتشتمل على صبر يوسف عن قضاء الشُّهُود، وعلى الرقِّ والسِّجن، ما آل إليه أمرهُ من الوُصول إلى المراد، و انتظار يعقوب عليه السلام للفرج من ربه وعلمه بصدق الرؤيا التي عبرها، و إن لم يتحقق إلا بعد زمن بعيد .[1]

و الأقرب للصواب والله أعلم ، أن الآيات يقصد بها ما في سورة يوسف من عبر للمعتبرين وذلك لأمور منها :

١ . المفهوم من سياق الآية أن في واقعة يُوسف عليه الصَّلاة والسَّلام آياتٌ للسَّائلينَ، إذ من الناحية الإعرابية نجد أن ﴿آيَاتٍ﴾ اسم كان مؤخّر مرفوع و ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ جارّ ومجرور متعلّق بنعت لآيات، و خبر كان هو جملة ﴿فِي يُوسُفَ﴾ فكأنَّ المعنى (لقد كانت آيات للسائلين في يوسف و أخيه). ولو قلنا: إن المقصود بها آيات على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، ما كانت الآيات في قصَّة يُوسف، بل كانت في إخبار محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها .

٢ . إن الله تبارك وتعالى إنما أنزل هذه السورة على نبيه، يعلمه فيها أنَّ إخوة يُوسُف بالغُوا في إيذائه لأجل الحسد، ثم إن الله نصره، وقواه، وجعلهم تحت يده، ومثل هذه الواقعة إذا سمعها العاقل، كانت زاجرة له عن الإقدام على الحسد، كما كانت تسليةً له صلى الله عليه وسلم مما يلقى من أدانيه وأقاربه من مشركي قريش .

أما بالنسبة لكلمة ﴿آيَاتٍ﴾ في سورة الذاريات ، فقد قال الطاهر ابن عاشور في تفسيره: " هذا متَّصل بالقسمِ وجوابه من قوله: ﴿والذَّارِياتِ﴾ وقوله: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَواقِعٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ ﴾، فبعد أن حقَّق وقوع البعث بتأكيده بالقسم انتقل إلى تقريبه بالدَّليل؛ لإبطال إحالتهم إيَّاه، فيكون هذا الاستدلال كقوله: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى ﴾ والمعنى: أن ما يشاهد من أحوال الأرض آياتٌ للموقنين، وهي الأحوال الدَّالَّة على إيجاد موجودات بعد إعدام أمثالها وأصولها، مثل إنبات الزَّرع الجديد بعد أن باد الَّذي قبله وصار هشيمًا. وهذه دلائل واضحة

(١) ينظر : اللباب في علوم الكتاب . ١١ / ٢٠

متكرِّرةٌ لا تحتاج إلى غوص الفكر؛ فلذلك لم تقرن هذه الآيات بما يدعو إلى التَّفكُّر كما قرن قوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ .(١)

وزاد الإمام الشوكاني فقال :" ومن الآيات ما فيها آثار الهلاك للأمم الكافرة ، المكذِّبة لما جاءت به رسل اللَّه ودعتهم إليه، وخُصَّ الموقنين باللَّه؛ لأنَّهم الَّذين يعترفون بذلك، ويتدبرون فيه فينتفعون". (٢)

و مما سبق من الأقوال نجد أن كلمة ﴿آيَاتٍ﴾ في الآيتين السابقتين جاءت دالة على القلة على قاعدة النحاة؛ إذ أن الآيات في آية سورة يوسف يقصد بها العبرة و الموعظة ، وقد تلخصت العبرة في سورة يوسف في أمور قليلة هي :

الإشارة إلى ما للصَّبر وحسن الطَّوية من عواقب الخير والنَّصر، والإشارة إلى ما للحسد والإضرار بالنَّاس من الخيبة والاندحار والهبوط، والإشارة إلى ما للثقة بالله ومراقبته و تقواه من حسن الخواتيم و الإشارة إلى أن السرور يأتي بعد اليأس و الفرج بعد الصبر . وهذه الأمور قليلة دون العشرة.

و في آية الذاريات قصد بـ ﴿آيَاتٍ﴾ ما في الأرض من مآثر و علامات تدل على قدر الله على البعث والنشور ؛ إذ أن قوله تعالى: ﴿ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ متعلّق بنعت لـ ﴿آيَاتٍ﴾ و التي هي مبتدأ مؤخر، خبره جملة ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ والتقدير (و آيات في الأرض للموقنين) وقد ذكر المفسرون أن الآيات التي جعلها الله في الأرض دالة على قدرته على البعث والنشور هي: إحياء الزرع بعد أن أصبح هشيما، و التفكر في مآثر الأمم السالفة،و كيف هلكوا وجاء غيرهم بعدهم.

فإن قال قائل: إن في الأرض آيات كثيرة غيرها . قلنا : إن ما ذكرناه هو الدال على قدرة الله على البعث والنشور، و الآية التي نحن بصدد الحديث عنها جاءت متصلة بالقسم الذي جاء جوابه في بداية السورة على وقوع البعث والحساب .

ومما سبق ذكره نجد أن كلمة ﴿آيَاتٍ﴾ في سياق الآيتين السابقتين جاءتا دالتين على القلة على قاعدة النحاة، وإن كانت في ظاهرهما للكثرة، وهذا من التفنن في الأسلوب القرآني المعجز. و الله أعلم.

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير لابن عاشور . ٢٦ / ٣٥٢

(٢) ينظر : فتح القدير للشوكاني . ٥ / ١٠١

٢ . كلمة (باسقات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في موضع الكثرة، في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله تعالى.و ذلك في قوله تعالى:﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾[ق ١٠]

تبين هذه الآية قدرة الله و عظمته ، و التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا منه حين أرسل إليهم رسولاً منهم ، حيث بين لهم سبحانه قدرته الباهرة على إنزال الماء من السماء ، ثم إنه أنبت به لهم حدائق و بساتين و﴿ حَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ وَهُوَ الزَّرْعُ المحصود ، ثم قال سبحانه: ﴿ والنخل بَاسِقَاتٍ﴾ أي أنبتنا النخل طوالاً شاهقات، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة.(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ ، وهي جمع بألف وتاء لكلمة (باسقة) ، و قد جاءت دالة على القلة ؛ إذ هي نكرة ، إلا أنها في موضع الكثرة ؛ فهي في محل نصبٍ على الحال من كلمة ﴿وَالنَّخْلَ﴾ و النخل كثير فهو اسم جنس ، لا يقول أحد بقلته ، فكيف أمكن ذلك ؟؟

إن كلمة ﴿النَّخْلَ﴾ في الآية نصبت بالفعل (أنبتنا) ؛ فهي معطوفة على﴿جَنَّاتٍ﴾، في قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ [ق ٩] ،ثم جاءت كلمة ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ حالاً لذلك النخل الذي نبت ، و﴿بَاسِقَاتٍ﴾ تعني طويلات شاهقات كما نُقل عن ابن عباس و غيره ، لكن النخل لم يكن كذلك عند الانبات ، أي لا ينبت النخل طوالاً شاهقاً ، وإنما يكون باسقاً بعد زمنٍ من إنباته ، فكلمة ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ هنا حال من النخل لكنها حال مقدرة .(٢) و هناك من قال:﴿بَاسِقَاتٍ﴾ منتجات للتمر، يُقال: بسقت الشاةُ: وَلَدت،

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٢ / ٣٧٢

(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان . ٩ / ٥٣١

وأبسقت الناقةُ: وقع في ضرعها اللِّبَأ قبل النِّتاج ، ونوقٌ مباسيقُ من ذلك أيضاً.(١) و على هذا المعنى أيضاً تكون كلمة ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ حال مقدرة ، إذ أن النخل لا يظهر ثمره منذ إنباته مباشرة .

فلما كانت كلمة ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ في موضع الحال لكلمة ﴿النَّخْلَ﴾ وهي حال مقدرة كما أسلفنا، ثم إنها حال واحدة من أحوال النخل المتعددة التي لا نعلم الكثير منها ؛ عبر الله سبحانه بـ ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ الدالة على القلة في القاعدة النحوية ؛ لأنها حال واحدة من أحوالٍ كثيرة، وهذا إعجاز بلاغي رباني ، و تفنن في الأسلوب القرآني ، استدعى المقام و المعنى مجيئه . والله أعلم

٣ . كلمة (ثمرات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في موضع الكثرة ، في موضعين من كتاب الله تعالى .وذلك في الآية السابعة والعشرين من سورة فاطر ، و في الآية السابعة و الأربعين من سورة فصلت، و سوف أتناول الموضعين بالبحث والدراسة .

١ . قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر ٢٧]

٢ . قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾ [فصلت ٤٧]

تبين الآية الأولى جانباً من جوانب قدرة الله سبحانه ، و خلقاً من مخلوقاته سبحانه وتعالى، وكيف أنه أنزل من السماء ماءً فأخرج به أصناف و أنواع الثمرات. كما تبين الآية الثانية شيئاً من

(١) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ١٠ / ٢٠

علم الله الذي أحاط بكل شيء علما ، و أنه سبحانه عنده علم قيام الساعة ، و علم إخراج الثمار من أكمامها ، و علم خلق الإنسان منذ خلقه إلى أن تضعه أمه و ما بعد ذلك . (١)

دراسة المسألة:

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هاتين الآيتين هي كلمة ﴿ثَمَرَاتٍ﴾، وهي جمع بألف و تاء زائدتين لكلمة (ثمرة)، و الثمرة اسم لكل ما يطعم من أحمال الشجر . (٢) و قد جاءت نكرة، أي دالة على القلة على قاعدة النحاة، فهل الثمرات التي أخرجها الله من الأرض قليلة ؟

إن كلمة ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ في الآية الأولى وقعت في محل نصب مفعول به للفعل﴿أَخْرَجْنَا﴾، و الذي أسند إلى ضمير المتكلم ، بخلاف الفعل ﴿أَنْزَلَ﴾ قبله ؛لأنَّ نعمة الإخراج أتمُّ من نعمة الإنزال.(٣) ثم وصفت بقوله :﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ وهذا يجعلها كثيرة لاختلاف ألوانها ، فقوله:﴿مختلفاً أَلْوانُها﴾ يحتمل أن يراد به الحمرة والصفرة والبياض والسواد وغير ذلك، ويؤيد هذا اطراد ذكر هذه الألوان فيما بعد ، ويحتمل أن يريد بالألوان الأنواع ، و المعتبر فيه على هذا أو ذاك كثرة الثمرات التي أخرجها الله لخلقه؛ إذ لا يقول أحد بقلتها. و﴿مختلفاً﴾ نعتٌ لـ ﴿ثمرات﴾ من هذا المعنى.

أما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا ﴾ و ذلك في الآية الثانية ، فإننا نجد كلمة ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ وقعت موقع الفاعل المرفوع محلاً المجرور لفظاً ؛ إذ إن ﴿مَا﴾ نافية، و﴿مِنْ﴾ الأولى زائدة ، و الثانية لابتداء الغاية .(٤) و قيل: إن ﴿مِنْ﴾ الأولى مزيدة لتأكيد الاستغراق .(٥) و هناك من قال: إن ﴿مَا﴾ موصولة ، و ﴿مِنْ﴾ الأولى لبيان النوع ، وهو رأي أبو البقاء.(٦)

---

(١) ينظر : تفسير فتح القدير للشوكاني . ٤ / ٣٩٨ و ٤ / ٥٩٧

(٢) ينظر : روح البيان . ٧ / ٣٤٢

(٣) ينظر : البحر المحيط . ٩ / ٢٨

(٤) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٩ / ٥٣٣

(٥) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل . ٥ / ٧٤

(٦) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٩ / ٥٣٤

و عليه فإن كانت ﴿مَا﴾ نافية فإن ﴿مِنْ﴾ الأولى زائدة وهذا يفيد الاستغراق والاستغراق يفيد الكثرة ، و إن كانت ﴿مَا﴾ موصولة فإن ﴿مِنْ﴾ الأولى لبيان النوع، فيكون المعنى: لا يخرج ثمرة من أكمامها إلا يعلمها الله. وكل ثمرة لا بد وأنها تخرج من أكمها ، فهو معنى عام لكل الثمرات ، إذ أن علم الله محيط بكل شيء ، والعام مستغرق في الكثرة أيضاً .

ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾ [سورة هود ٦] قال الطاهر ابن عاشور: "والتَّقدير وما من دابَّةٍ إلا يعلم الله مستقرَّها ومستودعها، وإنَّما نظم الكلام على هذا الأسلوب تفنُّنًا لإفادة التنصيص على العموم بالنَّفي المؤكَّد بـ (مِنْ) .[1]

ثم إن كلمة ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ في الآية الثانية ، وقعت فاعلاً للفعل﴿تَخْرُجُ﴾ و هو في زمن المضارع، أي يدل على التكرار والاستمرار ، وهذا يدل على كثرة الإخراج للثمرات فكيف نقول بقلتها.

و مما سبق ذكره نجد أن كلمة ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ في الآيتين السابقتين ، جاءت جمعاً بألف وتاء نكرة دالة على القلة على قاعدة النحاة ، إلا أنها في موضع الكثرة ، و ذلك أنها كثرت في الآية الأولى عندما وصفت بقوله:﴿ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ ففي اختلاف ألوان الثمرات ما يدل على كثرتها و إن كانت بلفظ القلة، و كثرت في الآية الثانية بمجيئها في أسلوب التنصيص بـ﴿مَا﴾ النافية و﴿مِنْ﴾ الزائدة ، والذي يدل على الاستغراق في العموم ، وهذا من التفنن والإعجاز في أسلوب القرآن الكريم . و الله أعلم

٤ . كلمة (جنات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في موضع الكثرة ، في اثنين وأربعين موضعاً من كتاب الله تعالى ، و قد جاءت على قسمين ، ففي القسم الأول: يشار بـ (الجنات) إلى جنة الآخرة ، وهي دار الثواب التي أعدها الله لعباده المؤمنين ، و ذلك في أربعة وثلاثين موضعاً من كتاب الله تعالى ، و القسم الثاني: و يشار بها في كتاب الله إلى ما خلق الله في هذه الدنيا و أخرج لعباده من بساتين و حدائق ، وجاءت في ثمانية

(١) ينظر : التحرير والتنوير لابن عاشور . ١٢ / ٥

مواضع من كتاب الله تعالى ، وسوف أتناول بالبحث والدراسة موضعاً واحداً على كل قسم من القسمين .

أولاً: المواضع التي وردت فيها كلمة (جنات) يشار بها إلى جنة الآخرة ومنها :

قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [البقرة ٢٥]

تبين هذه الآية الكريمة أنه سبحانه لما ذكر ما أعدَّه لأعدائه من الأشقياء الكافرين به وبرسله من العذاب والنَّكال، عطف بذكر حال أوليائه من السُّعداء المؤمنين به وبرسله، الَّذين صدَّقوا إيمانهم بأعمالهم الصَّالحة، لذلك قال تعالى:﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ فوصفها بأنَّها تجري من تحتها الأنهار، كما وصف النَّار بأنَّ وقودها النَّاس والحجارة .(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿جَنَّاتٍ﴾، وهي جمع بألف وتاء لكلمة (جنة) ، نكرة دالة على القلة على قاعدة النحاة ، إلا أنها في موضع الكثرة ؛ إذ لا يقول أحد إن الجنات التي أعدها الله لعباده المؤمنين قليلة ، فما السر في ذلك ؟

اختلف المفسرون في عدد الجنات ، فروي عن ابن عبَّاس أنَّها سبع جنَّات. وقال قوم: هي ثمان جَنَّاتٍ. وزعم بعض المفسِّرين أنَّ في تضاعيف الكتاب والسُّنَّة ما يدلُّ على أنَّها أكثر من العدد الَّذي أشار إليه ابن عبَّاس وغيره ، قالوا : فإنّه سبحانه قال:﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾[القمر: ٥٤]،و قال : ﴿ وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦] ، وقال سبحانه : ﴿عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى﴾ [الرحمن: ٦٢]، وقال : ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [النجم: ١٥] وعن النَّبي صلَّى

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ١ / ٢٠٤

اللَّه عليه وسلَّم قال: (جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ)

قال أبو حيان :"وهذا الَّذي أورده هذا المفسِّر لا يدلُّ على أنَّها أكثر ممَّا روي عن ابن عبَّاس". (١)

وقال الزَّمخشريُّ :"الجنَّة اسمٌ لدار الثَّواب كلِّها، وهي مشتملةٌ على جنان كثيرة مرتَّبة مراتب على حسب استحقاق العاملين، لكلِ طبقة منهم جنَّة من تلك الجنان". (٢)

و عليه فإن كلمة ﴿جَنَّاتٍ﴾ جاءت في هذا الموضع على بابها دالة على القلة ؛ إذ هي جمع بألف و تاء غير معرفة بـ (أل) و لا مضافة على قاعدة النحاة . وكما رأينا أن أبا حيان نقل عن ابن عباس أن الجنات سبع، و السبعة من أعداد القلة ، و قال البعض إنها ثمان ، و زاد الأمر إيضاحا ما قاله الزمخشري: بأن الجنة مراتب ، فكأنَّ كل جنة من تلك الجنان السبع مقسمة إلى مراتب على حسب أعمال العباد و درجاتهم . ثم إن القرآن ذكر أسماء تلك الجنات وهي:(جنة المأوى ، و جنة النعيم ، و جنات عدن ، و جنة الخلد ، و جنة الفردوس ، و دار السلام) و في الحديث عن عبادة بن الصَّامت، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: (مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ، وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ) (٣) فكأن لكل جنة من تلك الجنان باب ، فالأبواب ثمانية والثمانية من أعداد القلة . والله أعلم..

ثانياً: المواضع التي وردت فيها كلمة (جنات) يشار بها إلى بساتين وحدائق و أشجار الدنيا ،و منها :

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام ١٤١]

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان . ١ / ١٢٨

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري . ١ / ١٠٦

(٣) ينظر : المسند الصحيح . للإمام مسلم ١ / ٥٧

تبين هذه الآية الكريمة ما أنعم الله به على عباده من فضله ، و أنه الخالقُ لكلِّ شيء ، من الزُّروعِ والثِّمار والأنعام التي تصرَّف فيها المشركون بآرائهم الفاسدة وقسَّموها وجزَّءوها، فجعلوا منها حرامًا وحلالًا. ذم الله سبحانه الذين يصرمون وَلَا يَتَصَدَّقُونَ ، و نهى سبحانه عن الإسراف في العطاء ، كأن يُعطي فوق ما هو معروف. (١)

دراسة المسألة :

يشار بكلمة ﴿جَنَّاتٍ﴾ في هذه الاية إلى بساتين الدنيا ، و الجنات جمع بألف و تاء لكلمة جنة ، و الجنة : البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه .(٢) إلا أنها جاءت في هذه الاية موصوفة بكلمة ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾، و قد نقل ابن عطية الأندلسي عن ابن عباس رضي الله عنه قوله : " مَعْرُوشاتٍ : ذلك في ثمر العنب ، منها ما عرش وسمك ومنها ما لم يعرش ". (٣) يقال: عَرَشْت الكَرم أعْرِشُه عَرْشاً وعَرَّشْهُ تَعْرِيشاً إذا عطفت العيدان الَّتِي تُشَال عليها قُضْبَان الكَرْم، وبهذا الوصف تكون كلمة ﴿جَنَّاتٍ﴾ في الآية مخصوصة بأشجار العنب دون غيرها، لكنها جاءت هي و صفتها جمع بألف وتاء نكرتين تفيدان القلة على قاعدة النحاة ، فهل هذا يعني أن أشجار العنب التي خلقها الله لعباده قليلة ؟ أم أن قاعدة النحاة غير مطردة ؟ أم ماذا؟؟

أقول و بالله التوفيق : إن الله سبحانه وصف كلمة ﴿جَنَّاتٍ﴾ بصفتين في هذه الآية ، الأولى قال تعالى: ﴿ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾، أي مسموكات مرتفعة على عرائش، و الثانية : قوله:﴿غَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ و التي هي معطوفة على معروشات أي غير مسموكات. وهاتان الصفتان تجعلان كلمة ﴿جَنَّاتٍ﴾ دالة على الكثرة و إن كانت بلفظ القلة؛ إذ إن جنات الأعناب لا تخلوا من أن تكون على إحدى هاتين الصفتين، إما معروشات أو غير معروشات ، و بهاتين الصفتين تكون كلمة ﴿جَنَّاتٍ﴾ عامة لجميع جنات الأعناب ، فهي كثيرة بهذا العموم، مخصوصة بثمر العنب دون غيره؛ لذلك جاء في الآية ذكر النخل و الزرع خارجاً عن الجنات .

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٣ / ٣٤٧

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري . ١ / ١٠٥

(٣) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٢ / ٣٥٣

و عليه نجد أن قوله : ﴿جَنَّاتٍ﴾ و التي يقصد بها حدائق العنب في هذه الآية جاءت للدلالة على الكثرة و إن كانت بلفظ القلة ، فقد كثرت بهاتين الصفتين ، و هذا من التفنن في الأسلوب القرآني المعجز . والله أعلم .

٥ . كلمة (درجات) وردت هذه الكلمة مجموعة بألف و تاء نكرة دالة على القلة في موضع الكثرة ، في اثني عشر موضعاً من كتاب الله، و سوف أتناول موضعين من تلك المواضع بالبحث والدراسة؛ وذلك لما ورد فيهما من آراء متباينة و تأويلات مختلفة بين العلماء والمفسرين، وما يقال فيهما يمكن القول به على بقية المواضع التي على شاكلتهما، وموضعي البحث هما:

١ . قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ... الآية ﴾ [البقرة ٢٥٣]

يخبر تعالى أنَّه فضَّل بعض الرُّسل على بعض كما قال: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [الْإِسْرَاءِ:٥٥] وقال هاهنا: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ يعني: موسى ومحمَّدًا صلَّى اللَّه عليه وسلَّم.(١)

دراسة المسألة :

وقعت كلمة ﴿دَرَجَاتٍ﴾ موقع نصب ، حيث قيل في إعرابها: إنها حال من بعضهم ؛ أي ذا درجات. و قيل: مصدر في موضع الحال.وقيل : انتصابه على المصدر؛ لأن الدرجة بمعنى الرفعة؛ فكأنه قال : و رفعنا بعضهم رفعات ، و قيل التقدير : على درجات ، أو في درجات، أو إلى درجات، فلما حذف حرف الجر ، وصل الفعل بنفسه .(٢)

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ١ / ٦٧٠

(٢) ينظر: التبيان في إعراب . ١ / ٢٠١ .

وزاد أبو حيان في ذلك قائلا : "و يحتمل أن يكون بدل اشتمال ، أي : ورفع درجات بعضهم، والمعنى : على درجات البعض ". (١)

وقد اختلف العلماء في تأويل هذا المعنى ، قال أبو حيان :" وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، أَوْ إِبْرَاهِيمُ، أَوْ إِدْرِيسُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ، قَالُوا: وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ، وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ".(٢) قَالَ ابن عطية:" ويحتمل اللَّفْظُ أَنْ يُرَادَ بِهِ مُحَمَّدٌ وَغَيْرُهُ مِمَّنْ عَظُمَتْ آيَاتُهُ، وَيَكُونُ الْكَلَامُ تَأْكِيدًا لِلْأَوَّلِ".(٣) انْتَهَى. ويعني أَنَّه توكِيدٌ لقولهِ:﴿ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ:"وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ أَيْ وَمِنْهُمْ مَنْ رَفَعَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، فَكَانَ بَعْدَ تَفَاوُتِهِمْ فِي الْفَضْلِ أَفْضَلَ مِنْهُمْ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّهُ هُوَ الْمُفَضَّلُ عَلَيْهِمْ، حَيْثُ أُوتِيَ مَا لَمْ يُؤْتَهُ أَحَدٌ مِنَ الْآيَاتِ الْمُتَكَاثِرَةِ الْمُرْتَقِيَةِ إِلَى أَلْفِ آيَةٍ وَأَكْثَرَ، وَلَوْ لَمْ يُؤْتَ إِلَّا الْقُرْآنَ وَحْدَهُ لَكَفَى بِهِ فَضْلًا مُنِيفًا عَلَى سَائِرِ مَا أُوتِيَ الْأَنْبِيَاءُ، لِأَنَّهُ الْمُعْجِزَةُ الْبَاقِيَةُ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ دُونَ سَائِرِ الْمُعْجِزَاتِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدًا وَغَيْرَهُمَا مِنْ أُولَى الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ. انْتَهَى كَلَامُ الزَّمَخْشَرِيِّ ، وَهُوَ كَلَامٌ حَسَنٌ".(٤)

و ذكر الألوسي : أن المعنى أي ومنهم من رفعه الله تعالى على غيره من الرسل بمراتب متباعدة ومن وجوه متعددة . والمراد ببعضهم هنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما ينبئ عنه الأخبار بكونه صلّى الله عليه وسلم منهم فإنه قد خص بمزايا تقف دونها الأماني حسرى ، وامتاز بخواص علمية وعملية لا يستطيع لسان الدهر لها حصرا. (٥)

وقال الإمام الطبري في تفسيره:" هَذِهِ آيَةٌ مُشْكِلَةٌ وَ الْأَحَادِيثُ ثَابِتَةٌ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ" وَ" لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ" رَوَاهَا الْأَئِمَّةُ الثِّقَاتُ، أَيْ لَا تَقُولُوا: فُلَانٌ خَيْرٌ مِنْ فُلَانٍ، وَلَا فُلَانٌ أَفْضَلُ مِنْ فُلَانٍ. وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمَنْعَ مِنَ التَّفْضِيلِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ خَصْلَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَفَاضُلَ فِيهَا، وَإِنَّمَا التَّفْضِيلُ فِي

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير . ٢ / ٦٠٢

(٢) ينظر: البحر المحيط . ٢ / ٦٠٢

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ١ / ٣٣٨

(٤) ينظر : الكشاف للزمخشري . ١ / ٢٩٧ .

(٥) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ٢ / ٤

زِيَادَةِ الْأَحْوَالِ وَالْخُصُوصِ وَالْكَرَامَاتِ وَالْأَلْطَافِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْمُتَبَايِنَاتِ، وَأَمَّا النُّبُوَّةُ فِي نَفْسِهَا فَلَا تَتَفَاضَلُ وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِأُمُورٍ أُخَرَ زَائِدَةٍ عَلَيْهَا، وَلِذَلِكَ مِنْهُمْ رُسُلٌ وَأُولُو عَزْمٍ، وَمِنْهُمْ مَنِ اتُّخِذَ خَلِيلًا، وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ الله ." (١)

ومن المعلوم أن رسل الله و أنبياءه من حيث الرسالة والنبوة في درجة واحدة ، فقد جاء في الحديث الشريف عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: يَا أَبَا القَاسِمِ ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ:" مَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: ادْعُوهُ ، فَقَالَ: أَضَرَبْتَهُ؟ ، قَالَ: سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، قُلْتُ: أَيْ خَبِيثُ، عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ ضَرَبْتُ وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى". (٢)

و الراجح من أقوال العلماء و العلم عند الله، ما قال به الإمام الطبري حيث ذكر أن التَّفْضِيلُ كان فِي زِيَادَةِ الْأَحْوَالِ وَالْخُصُوصِ وَالْكَرَامَاتِ وَالْأَلْطَافِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْمُتَبَايِنَاتِ لا في النبوة والرسالة التي هي في درجة واحدة. و أن الدرجات هنا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث إن الآية في مجملها تتحدث عن تفضيل الله لأنبيائه بعضهم على بعض، فذكر الله سبحانه و تعالى تفضيله لموسى عليه السلام بأن كلمه تكليما ،ثم ذكر تفضيله سبحانه لرسولنا عليه الصلاة والسلام بأن رفع له الدرجات ، ثم ثلث بذكر فضل عيسى بن مريم و ما آتاه من البينات، و إنما رجحنا أن تكون لدرجات لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام بعث في زمن وجدت فيه أمة موسى و أمة عيسى عليهما السلام (اليهود و النصارى) فذكر الله سبحانه موسى وذكر عيسى عليهما السلام ، وجعل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بينهما ؛ ليكون كواسطة العقد بينهما ؛ و لتكون أمته بين أممهم كذلك .

(١) ينظر : تفسير الجامع لأحكام القرآن . للقرطبي . ٣ / ٢٦٢

(٢) ينظر : صحيح البخاري . ٣ / ١٢٠

ولكن كيف جاءت كلمة ﴿دَرَجَاتٍ﴾ مجموعة بألف و تاء زائدتين منكرة دالة على القلة لا الكثرة كما يقول جمهور النحاة ، فهل هذا يدل على أن الدرجات التي فضل بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أقل من العشرة .

أقول والعلم عند الله أن المقصود بالدرجات التي فضل الله بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على غيره ، هي : الخمسة الأمور التي أعطاه الله إياها عن سائر الأنبياء عليهم السلام ، فقد جاء في الصحيحين أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ من الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، وَلاَ فَخْرَ، بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ، والأَسْوَدِ، وكان النَّبي قبل يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ، وجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِداً وطَهُوراً وَنُصِرْتُ بالرُّعْبِ أَمَامِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ ولَمْ تُحَلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وأُعْطِيتِ الشَّفَاعَةَ، فادَّخَرْتُهَا لأُمَّتِي، فهِيَ نائلة إن شاء الله تعالى مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيئاً).[1]

لذلك جاءت كلمة ﴿دَرَجَاتٍ﴾ مجموعة بألف وتاءٍ زائدتين ، منكرة لتدل على تلك الدرجات الخمس ، وقد ذكر ذلك ابن عطية الأندلسي قائلاً : " وقوله تعالى " ورفع بعضهم درجات " قال مجاهد وغيره هي إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم لأنه بعث إلى الناس كافة وأعطي الخمس التي لم يعطها أحد قبله وهو أعظم الناس أمة وختم الله به النبوات . [2]

بل و حددها بعض العلماء عند تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام ٨٣] فقال :" أي بالعلم والفهم والإمامة والملك "[3] وكذلك في قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف ٧٦]

و بهذا يترجح والله أعلم أن كلمة (درجات) في هذه الآية جاءت دالة على القلة ، مطردة مع قاعدة النحاة في القلة والكثرة في هذا النوع من الجمع . و الله أعلم.

٢ . قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأحقاف ١٩]

(١) ينظر : صحيح البخاري . ١ / ٧٤

(٢) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ١ / ٣٣٢

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي . ٧ / ٣٠

لما ذكر تعالى حال الدَّاعين للوالدين البارِّين بهما وما لهم عنده من الفوز والنَّجاة، عطف بحال الأشقياء العاقِّين للوالدين، فبين سبحانه أن لكلٍّ من الجنسين المذكورين دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر.(١)

دراسة المسألة :

كلمة ﴿دَرَجَاتٍ﴾ هي المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية ، وهي جمع بألف وتاء نكرة دالة على القلة على قاعدة النحاة ، إلا أنها في موضع الكثرة ؛ إذ أن درجات الثواب التي أعدها الله للمحسنين كثيرة وكذلك دركات العذاب للمسيئين ، فكيف جاءت كلمة ﴿دَرَجَاتٍ﴾ دالة على القلة في هذا الموضع ؟

إن كلمة ﴿دَرَجَاتٍ﴾ قد جاءت في هذه الآية مرفوعة على أنها مبتدأ مؤخر، خبره الجار والمجرور في قوله:﴿وِلِكُلٍّ﴾.(٢) و المعنى أن لكل واحد من الفريقين ـ المحسنين و المسيئين ـ درجات مما عملوا.(٣) و على هذا المعنى فإن كلمة ﴿دَرَجَاتٍ﴾ دالة على العموم والكثرة بدلالة كلمة﴿كُلٍّ﴾ على العموم ، ثم إن المحسنين كثير، والمسيئين كذلك ، والدرجات لهم فهم الفريقين، فتكثر لكثرتهم، وإن كانت بلفظ القلة وهذا المعنى يفهم من قول من قدر مضافاً محذوفاً في قوله تعالى :﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ ﴾ و التقدير ولكل من الفريقين درجات.(٤)

و عليه و مما سبق ذكره فإن كلمة ﴿دَرَجَاتٍ﴾ في الموضع السابق جاءت دالة على القلة على قاعدة النحاة إلا أنها في موضع الكثرة إذ كثرت بإسناد الخبر ﴿لِكُلٍّ﴾ إليها لأنه دال على العموم، وهذا من التفنن في الأسلوب القرآني البديع . و الله أعلم...

٦ . كلمة (راسيات) : وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في موضع الكثرة في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله عز وجل. و هو :

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري . ٤ / ٣٠٤

(٢) ينظر : إعراب القرآن وبيانه للدرويش . ٩ / ١٨٣

(٣) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٥ / ١٠٠

(٤) ينظر : روح المعاني للألوسي . ١٣ / ١٧٩

قوله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ ١٣]

تبين الله هذه الآية ، جانباً من ملك سليمان عليه السلام ، وما وهبه الله له من تسخير المخلوقات للعمل بين يديه ، ومنها الجن الذين يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل و جفان وقدور ، وقد وصف سبحانه هذه القدور بقوله:﴿رَاسِيَاتٍ ﴾ وقد فسر المفسرون هذه الكلمة بأنها تدل على ضخامة تلك القدور و ثباتها ، حتى إنها لا تتحرك من أماكنها .

دراسة المسألة :

كلمة ﴿رَاسِيَاتٍ ﴾ هي الكلمة المعنية بالدراسة والبحث في هذه الآية ، و هي جمع لكلمة (راسية) صفة مؤنثة لـ (راسي) وهي في موقع جر صفة لكلمة ﴿قُدُورٍ﴾ ، و هي جمع (قدر) وهو الإناء الذي يطبخ فيه الطعام ، والقدور جمع كثرة ، إلا أنها وصفت بـ ﴿رَاسِيَاتٍ ﴾ مجموعة بألف و تاء زائدتين منكرة ؛ لتدل على القلة ، فكيف يوصف الشيء الكثير بالقليل ؟؟

قال أبو حيان :"و﴿رَاسِيَاتٍ ﴾ الثابتات على الأَثافي ، فلا تنْقَل ولا تحمل لعظمها. وقدمت المحاريب على التَّماثيل، لِأَنَّ النُّقُوش تكون في الأَبنية . وقدم الجفان على القدور، لأَن القدور آلة الطبخ ، و الجفان آلة الأَكلِ، والطَّبْخ قبل الأَكل ، لما بين الأبنية الملكِية. وأَراد بيان عظمة السماط الذي يمد فِي تلك الدور، وأشار إِلى الجفان لأَنها تكون فِيها، والقُدور لا تكون فيها ولا تحضر هنَاك، ولهذا قال: راسياتٍ". (١)

قال الإمام الطبري رحمه الله :" وقوله:﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ يقول: وقدور ثابتات لا يحركن عن أماكنهن، ولا تحول لعظمهن. و ذكر مجموعة من الأحاديث الدالة على ذلك نقلاً عن أهل التأويل فقال: حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أَبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أَبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ قال: عظام.

(١) ينظر : البحر المحيط . ٨ /٥٢٩

حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة قال: ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ عظام ثابتات الأرض لا يزلن عن أمكنتهن.

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ قال: مثال الجبال من عِظمها، يعمل فيها الطعام من الكبر والعظم ، لا تحرك ولا تنقل ، كما قال للجبال: راسيات." (١)

وقال ابن كثير رحمه الله :" وَالْقُدُورُ الرَّاسِيَاتُ : أي الثَّابتات ، في أَماكنها لا تتحول ولاتتحَرك عنْ أَماكنها لعظمها. كذا قال مجاهِد ، و الضحَّاك، وغيرهما. وقال عكرمةُ : أثافيها منها." (٢)

ومما سبق من أقوال النحاة والمفسرين حول قوله تعالى : ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾، نجد أن الله سبحانه و تعالى ذكر المصنوعات التي كان يصنعها الجن لنبيه سليمان عليه السلام ، بتسخير منه سبحانه و تعالى ، وهي:﴿مَحَارِيبَ﴾ وَ﴿تَمَاثِيلَ﴾ وَ﴿جِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ وَ﴿قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ ، وكل هذه المصنوعات جاءت بألفاظ تدل على الكثرة ، إذ هي كلها على أوزان الكثرة ، وليس لها جمع غيره في العربية ، ما عدا ﴿جِفَانٍ﴾ فإنها تجمع أيضا على (جفنات). غير أن كلمة ﴿قُدُورٍ﴾ هي التي وصفت بكلمة ﴿رَاسِيَاتٍ﴾ من بين تلك المصنوعات، والراسيات كما ذكر النحاة والمفسرون آنفاً هي الثابتات التي لاتتحرك من أماكنها ، وهذا دليل على ضخامتها و عظم حجمها؛ لتكون كافية لإطعام الجيوش، ومن يعمل بين يدي سليمان عليه السلام، فالقدور تستعمل لطبخ الطعام كما يذكر أهل التفسير، لذلك وصفت بكلمة ﴿رَاسِيَاتٍ﴾ منكرة لتدل على القلة في دلالتها، وعلى الضخامة في معناها، فإن قال قائل: فلم لم تجمع القدور جمع قلة ؟ قلنا إنه لم يرد لها في كلام العرب جمعا لها غير هذا الجمع، قال صاحب اللسان : " وجَمْعُ القِدْرِ قُدورٌ، لَا يُكَسَّرُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ." (٣)

فلما كانت كلمة ﴿قُدُورٍ﴾ لا تجمع إلا جمع كثرة في كلام العرب ، و المعنى في الآية يقتضي أن تقلل و تضخم إذ لا داعي لكثرتها مع ضخامتها ؛ وصفت بما يناسب الدلالة و المعنى من بين

(١) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن . ٢٠ / ٣٦٨

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٦ / ٥٠١

(٣) ينظر : لسان العرب . ٥/ ٨٠

تلك المصنوعات الواردة في الآية ، فكان الوصف الأنسب لها أن توصف بـ ﴿رَاسِيَاتٍ﴾ المجموعة بألف وتاء زائدتين نكرة دالة على القلة ؛ و لو أراد الله لها الكثرة لقال سبحانه (وقدور رواسي) ولا ملزم على الله ، كما أنه سبحانه لما أراد بـ (الجفان) الكثرة لم يجمعها على (جفنات) حتى لا يفهم منها القلة ، و بهذا تكون كلمة ﴿رَاسِيَاتٍ﴾ في هذه الآية دالة على القلة لا الكثرة على قاعدة النحاة، وقد جاءت في سياق الآية صفة لـ﴿قُدُورٍ﴾ لتخرج بها إلى القلة . و الله أعلم .

٧ . كلمة (سابغات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في موضع الكثرة في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله ، و ذلك في قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ ١٠.١١]

يقول تعالى ذكره في هذه الآية: ولقد آتينا داود منا فضلا وقلنا للجبال ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾: سبحي معه إذا سبح ، وقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ أي أن الله جعل الحديد في يد نبيه داود كالطين المبلول يصرفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار ولا ضرب بحديد.(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿سَابِغَاتٍ﴾ و هي جمع بألف وتاء لكلمة (سابغة) مؤنّث سابغ بمعنى واسع.(٢) وقد جاءت في هذا الموضع نكرة ، أي دالة على القلة على قاعدة النحويين، وهي من الناحية الإعرابية في محل نصب صفة لموصوف محذوف يقدره أهل الصناعة بـ (دروع) أي (اعمل دروعا سابغات) والدروع مؤنثة إذا كانت للحرب.(٣) و صفتها ﴿سَابِغَاتٍ﴾ مؤنثة أيضاً، وهذا من التطابق بينهما ، لكن الدروع كثيرة فهي مجموعة

(١) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن . لابن جرير الطبري . ٢٠ / ٣٩٥

(٢) ينظر : الجدول في إعراب القرآن الكريم . ٢٢ / ٢٠٦

(٣) ينظر : إعراب القرآن . للنحاس . ٣ / ٢٢٩

على (فعول)، فكيف أمكن أن تأتي صفتها ﴿سَابِغَاتٍ﴾ قليلة مع وجود جمع الكثرة لها وهو (سوابغ) ؟ قال الطاهر ابن عاشور : " سابغاتٍ صفة لموصوف محذوف لظهوره من المقام ؛ إذ شاع وصف الدُّروع بالسَّابغات و السَّوابِغ حتَّى استغنوا عند ذكر هذا الوصف عن ذكر الموصوف".(١)

ويذكر المفسرون أقوالاً كثيرة حول معنى ﴿سَابِغَاتٍ﴾، قال ابن عطية :" (السابغات) الدروع الكاسيات ذوات الفضول. فكان داود فيما رُوي يصنع ما بين يومه وليلته درعا تساوي ألف درهم حتى ادخر منها كثيرا، وتوسعت معيشة منزله، وكان ينفق ثلث المال في مصالح المسلمين.(٢) وقيل : كان داود عليه السّلام يرفع في كل يوم درعا فيبيعها بستة آلاف درهم ألفان له ولأهله وأربعة آلاف يطعم بها بني إسرائيل. وقيل: كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء. و قيل : إنه عمل ثلاثمائة وستين درعا فباعها بثلاثمائة وستين ألف درهم فاستغنى عن بيت المال".(٣)

ومما سبق من أقوال النحاة والمفسرين نجد أن كلمة ﴿سَابِغَاتٍ﴾ جاءت في الآية السابقة دالة على القلة على قاعدة النحاة في موضع الكثرة؛ إذ هي وصفة لـ (دروع) المحذوفة الدالة على الكثرة ، و إنما جاءت على هذا؛ للفت الانتباه إلى صفة تلك الدروع ، لا إلى قلتها أو كثرتها، إذ لا معنى لقلتها أو كثرتها في سياق الآية، وإنما المعنى أن تكون الدروع خفافاً يستطيع الفارس حملها، و هي إلى ذلك طوالاً ساترة فاضلة عن جسم الفارس حتى لا يصاب في القتال، و الدليل على ذلك أنه سبحانه حذف الموصوف –الدروع – وأقام الصفة مقامه للفت الانتباه إليها . فإن قال قائل : فلم لم يقل سوابغ بالكثرة ؟ قلنا إن المحذوف مؤنث و هي كلمة (دروع) وهي آلة الحرب لذلك جاءت الصفة مؤنثة لما قامت مقام المؤنث .

و عليه فإن كلمة ﴿سَابِغَاتٍ﴾ جاءت دالة على القلة في موضع الكثرة في هذا الموضع لغرض بلاغي و هو لفت الانتباه إلى الصفة و ترك الموصوف . والله أعلم.

(١) ينظر : التحرير والتنوير لابن عاشور . ٢٢ /١٥٧

(٢) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٤ / ٤٠٨

(٣) ينظر : تفسير ورح المعاني للألوسي . ١١ / ٢٩٠

٨ .كلمة(شامخات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في موضع الكثرة، في موضع واحد من كتاب الله. وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات ٢٧].

في هذه الآية الكريم يبين الله سبحانه و تعالى قدرته ، و يذكر المكذبين بالنعم التي أنعم بها عليهم ، ومنها أنه جعل في الأرض جبالاً شامخات ، و أسقاهم ماءً عذباً فراتا ، أي: خلقنا الجبال، وأنزلنا الماء الفرات، وهذه الأمور أعجبُ من البعث. (١)

دراسة المسألة :

كلمة ﴿شَامِخَاتٍ﴾ هي الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية ، و قد وقعت صفة منصوبة لكلمة ﴿رَوَاسِيَ﴾ وهي الجبال الثابتة ، و ﴿رَوَاسِيَ﴾ جمع كثرة على وزن (فواعل) وهو من أوزان جموع الكثرة ، إلا أنها وصفت بـ ﴿شَامِخَاتٍ﴾ المجموعة بألف وتاء زائدتين الدالة على القلة ؛ لأنها نكرة كما يقول جمهور النحاة . فكيف يوصف الكثير بالقليل ؟؟

ذكر الزمخشري في الكشاف أن التنكير في ﴿رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ للتبعيض ونص كلامه: " فإن قلت: فالتنكر في رَوَاسِيَ شامِخاتٍ وماءً فُراتاً ؟ قلت: يحتمل إفادة التبعيض." (٢)

و ذكر ذلك أبو حيان بقوله :"رَوَاسِيَ: جِبَالًا ثَابِتَاتٍ، شامِخاتٍ: مُرْتَفِعَاتٍ، وَمِنْهُ شَمَخَ بِأَنْفِهِ: ارْتَفَعَ، شَبَّهَ الْمَعْنَى بِالْجِرْمِ ". (٣)

و قال صاحب اللباب : " وقوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ ﴾ . أي جعلنا في الأرض رواسي وهي الثوابت شامخات ، وهي الجبال الطُّوال، جمع شامخ، وهي المرتفعة جدًّا،

(١) ينظر : اللباب في علوم الكتاب . ٢٠ / ٧٦

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري . ٤/٦٨٠

(٣) ينظر : البحر المحيط . ١٠ / ٣٧٦

ومنه شمخ بأنفه إذا تكبّر، جعله كناية عن ذلك ، كثني العطف ، وتصعير الخد ، وإن لم يحصل شيء من ذلك ". [1]

و جاء في إعراب القرآن الكريم للنحاس قوله : " ﴿ وَجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ ﴾ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يقول جبالا مشرفات، قال: وماءً فُراتاً عذبا، و روى عنه عكرمة «ماء فراتا» سيحان وجيحان والفرات والنيل، قال: وكل ماء عذب في الدنيا فمن هذه الأنهار الأربعة."[2]

وقد ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة حول قوله تعالى : ﴿ رواسي شامخات ﴾ تبين المقصود بكلمة ﴿شَامِخَاتٍ﴾. منها ما ذكره الإمام الطبري في تفسير هذه الآية فقال : " حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله:﴿رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ يقول: جبالا مشرفات."[3]

و ذكر الألوسي: "﴿وَجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ﴾ أي جبالا ثوابت شامِخاتٍ مرتفعات، ومنه شمخ بأنفه. ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كقوله: ﴿أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ﴾ وتنكيرها للتفخيم أو للإشعار بأن في الأرض جبالا لم تعرف ولم يوقف عليها، فأرض الله تعالى واسعة وفيها ما لم يعلمه إلّا الله عز وجل." [4]

مما سبق من أقوال النحاة والمفسرين حول قوله تعالى :﴿ رواسي شامخات ﴾ وجدنا أن كلمة ﴿شَامِخَاتٍ﴾ جاءت مجموعة بألف وتاء زائدتين منكرة ، في موقع الصفة لكلمة:﴿رَوَاسِيَ﴾ وهي الجبال الثابتة ،و هي جمع لكلمة (راسي) وقد جمعت جمع كثرة على وزن (فواعل) إلا أنها وصفت بـ ﴿شَامِخَاتٍ﴾ الدالة على القلة .

(١) ينظر : اللباب في علوم الكتاب . ٢٠ / ٧٦

(٢) ينظر : إعراب القرآن الكريم للنحاس . ٥ / ٧٥

(٣) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن للطبري . ٢٤ / ١٣٥

(٤) ينظر : روح المعاني للألوسي . ١٥ / ١٩٤

وقد رأينا أن أهل اللغة يقولون: إن ﴿شَامِخَاتٍ﴾ من الشموخ ، و هو التكبر ، ومنه يقال شمخ بأنفه، وهو قول أبي حيان، ورأينا أن صاحب اللباب يذكر أن الشموخ في قوله: ﴿شَامِخَاتٍ﴾ كناية، أي ليس بالمقصود الحقيقي كما ذكر بعض المفسرين أنها المرتفعات .

ورأينا الزمخشري يذكر قولا جميلا في سبب تنكير كلمة ﴿شَامِخَاتٍ﴾ فيقول أن التنكير للتبعيض ، أي أن الشموخ لبعض تلك الرواسي لا للكل ، كما رأينا النحاس في إعراب القرآن يفسر قوله تعالى: ﴿شَامِخَاتٍ﴾ بالمشرفات ، أي ذات شرف على بقية الجبال ، وهو ما قال به الطبري في تفسيره نقلا عن ابن عباس رضي الله عنه، وقال الألوسي رحمه الله أن تنكير ﴿شَامِخَاتٍ﴾ للتفخيم.

ومما سبق من نجد أن أقوال العلماء السابقة يعضد بعضها بعضا فيترجح عندي والله أعلم أن كلمة ﴿شَامِخَاتٍ﴾ أراد بها الله سبحانه الجبال المشرفات، أي ذات المكانة والشرف عن غيرها من الجبال، و الجبال المشرفات في الأرض قليلة ، ومنها جبل أحد الذي قال عنه رسولنا صلى الله عليه وسلم : (هذا جبل يحبنا ونحبه)، و الذي يقوي هذا القول عندي ويرجحه؛ مجيء قوله تعالى: ﴿ وأسقيناكم ماءً فراتا ﴾ بعد قوله: ﴿ رواسي شامخات ﴾ مباشرة . و قد جاء في الحديث الصحيح أن في الأرض أربعة أنهار من أنهار الجنة ، جاء في صحيح مسلم : عن أَبِي هريرة رضي الله عنه قال ،قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : (سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ) .(١)

فلما ذكر الله سبحانه الجبال المشرفات ، أعقب سبحانه و تعالى ذلك بذكر الماء الفرات العذب الصافي ، و بما أن الأنهار ذات الماء الفرات قليلة إذ هي أربعة كما جاء في الحديث،فالراجح أن الجبال الشامخات المشرفات قليلة أيضا ومنها جبل أحد كما ذكرنا ؛ ولهذا

(١) ينظر : شرح صحيح مسلم ، المؤلف: أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري . ٧ / ٦

وصف الله تلك الرواسي بـ ﴿شَامِخَاتٍ﴾ الدالة على القلة على قاعدة النحاة، و إن كانت في ظاهر الأمر للكثرة؛ لتخرج كلمة ﴿رَوَاسِيَ﴾ بها إلى القلة. والله أعلم.

٩ . كلمة (صافات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في موضع الكثرة ، في موضعين من كتاب الله تعالى، و قد جاءت في كلا الموضعين في محل نصب على الحال من كلمة (الطير) ، لذا سوف أتناول موضعاً واحداً منهما بالبحث و الدراسة ، و ما يقال فيه يمكن القول به على الآخر ، و موضع الدراسة هنا هو:

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ [الملك ١٩].

لما ذكر سبحانه وتعالى ما تقدم من الوعيد ، ذكر البرهان على كمال قدرته ، وعلى إيصال جميع أنواع العذاب إليهم ، ومعناه :كما ذلل الأرض للآدمي ذلل الهواء للطيور ، و نبَّههم على الاعتبار بالطَّير وما أحكم من خلقها ، و عجز آلهتهم عن شيءٍ من ذلك ، فالآية في مجملها للدلالة على عجيب صنعِ اللَّه المنفرد به سبحانه.(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث في هذه الآية هي﴿صَافَّاتٍ﴾وهي جمع بألف وتاء لكلمة (صافة)، جاءت نكرة دالة على القلة على قاعدة النحاة ، إلا أنها في محل نصب على الحال من كلمة ﴿الطَّيْرِ﴾ وهو اسم جنس لنوعٍ من المخلوقات دالٌ على الكثرة ، فكيف أمكن ذلك ، أن يأتي حال قليل من كثير ؟؟

إن الطير له أحواله الكثيرة التي لا يعلمها إلا الله سبحانه و تعالى، سواءً في سيرها على الأرض أو في طيرانها في جو السماء ،كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان . ١٠ / ٢٢٧

السَّمَاءِ ﴾ [النحل ٧٩] . و في بناء أعشاشها و طرق تكاثرها، و في غدوها لطلب أقواتها، فهي عالم آخر أبدع الخالق خلقه و أتقن صنعه سبحانه وتعالى .

إلا أنه سبحانه ذكر في الآية ثلاثة أحوال من أحوال الطير فقط و هي : الأولى أنها في الهواء وذلك في قوله :﴿ فَوْقَهُمْ ﴾ ، والثانية أنها باسطات أجنحتها عند طيرانها فقال سبحانه : ﴿ صَافَّاتٍ ﴾ ، والثالثة : أنها تقبض أجنحتها تارة بعد تارة لتعاود صفها من جديد و ذلك في قوله سبحانه : ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ .

و عندما كان بسط اجنحتها للطيران في الهواء هو أحد أحوالها الكثيرة، وهو موطن التحدي والإعجاز في الآية ؛ ذكره الله هنا وعبر عنه بلفظ القلة تحدياً لهم؛ إذ لا يملكون هم وما يعبدون من دونه سبحانه أن يتحكموا بحالة واحدة من أحوال الطير القليلة ، وذكر ذلك الحال بالخصوص؛ لما ذكر قبله من التَّخويف بخسف الأرض، و الأرض معلَّقة في الهواء كتعلُّق الطَّير المشاهد إليكم، وإيقاع الخسف بها، كإسقاط الطَّير من الهواء.(١) لذا جاء سبحانه بلفظ﴿صافات﴾ ليدل به على القلة ، ولا ملزم على الله سبحانه ، فهو حال قليل من أحوال الطير المتعددة ، وذلك على سبيل التحدي والإعجاز و التفنن في الأسلوب .

و مما سبق نجد كلمة ﴿صافات﴾ في هذا الموضع دالة على القلة، وإن كانت في موضع الكثرة لأنها حال من ﴿الطَّيْرِ﴾ وهو كثير؛ وذلك تفنن في الأسلوب و إعجاز في اللفظ و القدرة الإلهية. و الله أعلم...

١٠ . كلمة (ظلمات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في موضع الكثرة في ثلاثة مواضع من كتاب الله، منها : قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة ١٧]

(١) ينظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . ٨ / ٢٤٢

هذه الآية وردت في مضرب المثل للمنافقين ، الذين يظهرون الإيمان و يتزينون بنوره،ويبطنون الكفر ويستخفون بظلامه، و قد ساق الله هذه الآية على سبيل التشبيه و التمثيل، حيث شبه الله المنافقين حين دخولهم في الإيمان بعد الكفر بالمستوقد للنار المستضيء بنورها، ثم شبه خروجهم منه إلى النفاق بالذي ذهب الله بنور ناره بعد أن أضاءت له ، فهو في ظلمات لا يبصر ما حوله.

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في الآية السابقة هي كلمة ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ و هي جمع بألف وتاء لكلمة (ظلمة) ، و لكن ما سبب مجيء كلمة ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ مجموعة بألف وتاء نكرة دالةً على القلة على قاعدة النحاة ، علما أنه لا يُعقل أن يقال إن ظلمات المنافقين التي يعشونها فيها بعيداً عن الهدى والإيمان هي ظلمات قليلة.

لكننا عند تتبعنا لأقوال النحاة و المفسرين حول قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾ نرى أن أكثر النحاة على أن قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿تَرَكَهُمْ﴾ في محل نصب مفعول ثان له، و أو في محل نصب حال .

قال أبو حيان في البحر : " إن كان (ترك) متعدِّيًا لواحد فيحتمل أَن يكون:(فِي ظُلُمَاتٍ) في موضع الحال من المفعول ، فيتعلَّق بمحذوف، ولا يبصرون : في موضع الحال أيضًا ، إِمَّا من الضَّمير في ﴿تَرَكَهُمْ﴾ وإِمَّا من الضَّمير المستكنّ في المجرور فيكون حالًا متداخلةً، وهي في التَّقديرين حالٌ مُؤَكِّدةٌ. وإن كان (ترك) ممَّا يتعدَّى إلى اثنين كان ﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾ في موضع المفعول الثَّاني ، ولا يبصرون جملة حاليَّة . [1]

فإن قلنا: هو متعدٍّ لاثنين كان المفعول الأول هو الضميرَ في ﴿تَرَكَهُمْ﴾، والمفعول الثاني ﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾ و ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ حالٌ ، وهي حالٌ مؤكدة لأنَّ مَنْ كان في ظلمة فهو لا يُبْصِرُ،وصاحبُ الحالِ: إمّا الضميرُ المنصوبُ أو المرفوعُ المستكنُّ في الجارِّ والمجرورِ.

وإن كان (تَرَكَ) متعدياً لواحد كان ﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾ متعلَّقاً به، و ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ هي الحالٌ المؤكِّدة، ويجوز أن يكونَ ﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾ حالاً من الضمير المنصوب في ﴿تَرَكَهُمْ﴾ ، فيتعلَّقَ

(١) ينظر : البحر المحيط . ١ / ١٣٢

بمحذوفٍ و﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ حالٌ أيضاً: إمَّا من الضميرِ المنصوب في ﴿تَرَكَهُمْ﴾ أو من الضمير المستكن في الجار والمجرور .(١)

قال العكبري في التبيان : قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ ﴾: تركهم هاهنا يتعدَّى إلى مفعولين ؛ لأَنَّ المعنى صيَّرهم، وليس المراد به التَّرك الَّذي هو الإهمال . فعلى هذا فقوله : ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ﴾ هو المفعول الثَّاني : فلا يتعلَّق الجارُّ بمحذوف ، ويكون ﴿ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ هو الحال.(٢)

و ذكر الطبري في تفسيره لهذه الآية اختلافات أهل التأويل في ذلك، فقال :" ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾ أي كانوا يُبصرون الحق ويقولون به ، حتى إذا خَرجوا به من ظلمة الكفر،أطفئوه بكُفرهم ونفاقِهم فيه، فتركهم في ظلمات الكفر، فهم لا يبصرون هدى ولا يستقيمون على حق.وهو مري عن ابن عباس . ونقل أيضاً عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال :﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ إلى آخر الآية: هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزُّون بالإسلام ، فيناكحُهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العزَّ، كما سلب صاحب النار ضَوءَه. ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ ﴾ يقول: في عذاب. ونقل عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله : ، أما النُّور، فالإيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. وكانت الظلمة نفاقهم". (٣)

و قال أبو الليث السمرقندي عن مقاتل :" نزلت في المنافقين ، يقول : مثل المنافق مع النبيّ صلّى الله عليه وسلم كمثل رجل في مفازة فأوقد ناراً فأمن بها على نفسه واهله وعياله وماله، فكذلك المنافق يتكلم بلا إله إلا الله مرآة الناس ، ليأمن بها على نفسه و اهله وعياله وماله و يناكح مع المسلمين ، وكان له نور بمنزلة المستوقد النار يمشي في ضوءها ما دامت ناره تتقد، فلما أضاءت النار أبصر ما حوله بنورها وذهب نورها فبقي في ظلمة". (٤)

وبعد أن أوردنا أقوال النحاة و المفسرين ، نجد أن هناك اتفاقاً واضحاً بين الأوجه الإعرابية التي ذكرها النحاة و الآراء التي ذكرها أهل التفسير، حيث إن أغلب النحاة أعربوا قوله تعالى: ﴿ فِي

(١) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ١ / ١٤٦

(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري . ١ / ٣٣

(٣) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن . ١ / ٣٢١

(٤) ينظر : بحر العلوم . للسمرقندي . ١ / ٣٠

ظُلُمَاتٍ ﴾ مفعولاً ثانياً للفعل ترك ، و منهم الذين جعلوها حالاً من الضمير العائد على المنافقين في قوله:﴿تَرَكَهُمْ﴾ ، وكلا الرأيين يتفق مع ما ذكره المفسرون حيث أن ملخص الأقوال التي أوردها الإمام الطبري عن ابن عباس وقتادة ومجاهد في قوله تعالى: ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ﴾ تعني ظلمات نفاقهم و كفرهم بعد أن كانوا في نور الإيمان ، و قال به السمرقندي أيضاً نقلا عن مقاتل بأن المقصود بالظلمات ضلالهم و كفرهم ، أو العذاب في الآخرة .

و كأن التقدير على من قال بأنها حال من النحويين هو:(تركهم مظلمين) أي ذهب بنور الإيمان ، وتركهم في ظلام نفاقهم و كفرهم ، و أكد ذلك الظلام بقوله تعالى : ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾

وإذا كانت كلمة ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ يقصد بها ظلمات النفاق والكفر والضلال بعد الإيمان، أو العذاب في الآخرة كما رأينا؛ فهل يقول عاقل بأن هذه الظلمات قليلة دون العشرة ؟ لذلك جاءت نكرة مجموعة بألف وتاء زائدتين على تقعيد النحاة ؟ أم أنه كسر لتلك القاعدة النحوية ؟ لاسيما أن من النحاة من أعربوها مفعولاً به و المفعول به خبر في الأصل و الخبر لا بد أن يوافق المخبر عنه و يطابقه ، والمخبر عنهم المنافقون و ليسوا قلة ، فكيف تكون كلمة ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ للقلة؟ وعلى الرأي الآخر للنحاة الذين يجعلونها حالاً، فهي حالٌ من الضمير (هم) في الفعل (ترك) العائد على المنافقين، فهل يمكن أن يأتي حال قليل لصاحب حالٍ كثير ؟

فأقول والعلم عند الله : إن هذه الآية جاءت ضرباً للمثل في حال المنافقين ، الذين كانوا كفاراً فأسلموا و رأوا نور الإيمان ، ثم نكسوا على رؤوسهم و نافقوا فذهب الله بنور الإيمان عنهم، و جعلهم في ظلمات نفاقهم وكفرهم ، و إن ما نقله الطبري عن ابن عباس حين قال :" هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزُّون بالإسلام، فيناكحُهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العزَّ، كما سلب صاحب النار ضَوءَه. ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ ﴾ يقول: في عذاب ". هو الأقرب للصواب .

فهذه الآية جاءت بعد أن ذكر الله صفات المنافقين و خداعهم للمؤمنين، و أنهم آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة ٨ ٩].

ثم بين الله خداعهم ذلك بقوله تعالى :﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة ١٤] .

ذلك بأنهم إذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا، فهم يقضون أغلب أوقاتهم معهم، يوارثونهم، ويناكحونهم ، و يقاسمونهم ، و يبتاعون منهم ، وإذا خلوا في بعض أوقاتهم، و أقلها إلى شياطينهم قالوا ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾، فلما كان أكثر أوقاتهم يقضونها مع المؤمنين حتى يستمر خداعهم ولا ينكشف أمرهم، و أقل أوقاتهم يختلون فيها بشياطينهم وأعوانهم، جاءت كلمة (النور) اسم الجنس للدالة على الكثرة ليوافق طول بقائهم مع المؤمنين في أغلب أحوالهم؛ إذا هم ببقائهم معهم ينتفعون بنور الإيمان، لكنهم عند خلوتهم في بعض أوقاتهم وأقلها إلى أعوانهم وشياطينهم ، يذهب الله بذلك النور عنهم ، فتعود لهم ظلمات نققهم ؛ لذلك جاءت كلمة ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ مجموعة بألف و تاء زائدتين نكرة؛ لتدل على قلة خلوتهم بشياطينهم؛ خوفا أن يُفضح أمرهم و ينكشف خداعهم .

وكذلك أيضا جيء في الآية بـ (إلى) في قوله تعالى : ﴿ خلوا إلى شياطينهم ﴾ ولم يقل سبحانه و تعالى : (خلوا بشياطينهم) ؛ لأن (إلى) تفيد الغاية، والباء تفيد الالتصاق .

فلو جيء بالباء لدل ذلك على طول بقائهم مع شياطينهم، وليس هذا موافق للمعنى، بل كانت خلوتهم بشياطينهم لحاجة، وهي إخبارهم أنهم منهم و على دينهم وليسوا مع المؤمنين، وقد أشار إلى هذا القول الطبري في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٤]، بقوله :" قيل: قد اختلف في ذلك أهل العلم بلغة العرب ، فكان بعض نحوِيِّي البصرة يقول : يقال خلوت إلى فلان ، إذا أريد به: خلوت إليه في حاجةٍ خاصَّة. فأما إذا قيل:"خلوت به" احتمل معنيين : أحدهما الخلاء به في الحاجة ، والآخَر في السخرية به " .(١) و هم لم يكونوا يسخرون من شياطينهم .

و عليه فإن كلمة ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ في هذا الموضع جاءت دالة على القلة على قاعدة النحاة، وإن كانت في ظاهرها في موضع الكثرة؛ وهذا من صور التفنن في الأسلوب القرآني، و حسن صياغة العبارة ؛ للتناسب اللفظ مع المعنى المقصود . والله أعلم

(١) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن .

١١ .كلمة (متجاورات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في موضع الكثرة ، في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله تعالى ، وذلك في قوله تعالى :﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد ٤]

لما ذكر الله تعالى العالم العلويَّ، شرع في ذكر قدرته وحكمته وإحكامه للعالم السُّفليِّ، فقال سبحانه :﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾ أي: أراضٍ تجاور بعضها بعضًا، مع أنَّ هذه طيِّبةٌ تنبت ما ينتفع به النَّاس، وهذه سبخة مالحةٌ لا تنبت شيئًا. هكذا رُوِيَ عن ابن عبَّاسٍ، ومجاهدٍ، وسعيد بن جبير، والضَّحَّاك، وغيرهم.(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي ﴿مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾، وهي جمع بألف وتاء لـ (متجاورة) دالة على القلة على قاعدة النحاة ، و قد جاءت في محل رفع صفة لكلمة ﴿قِطَعٌ ﴾ و قطعٌ جمع قطعةٍ وهي الجزء.(٢) و القطع جمع كثرة، فكيف أمكن أن يوصف الكثير بالقليل ؟؟

اختلف المفسرون في المقصود بـ ﴿مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾ في الآية ، فقيل: متجاورات متلاصقة متداينة، قريب بعضها من بعضٍ. قال ابن عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وأبو العاليةِ، والضَّحَّاكُ: أرض طيِّبةٌ وأرضٌ سبخةٌ، نبتت هذه، وهذه إلى جنبها لا تنبت. وقال ابن قتيبة وقتادة: يعني القرى المتجاورة. وقيل: متجاورة في المكان، مختلفةً في الصِّفة، صلبة إلى رخوة. وصحراء إلى مردٍ أو مخصبةً إلى مجدبةٍ، وصالحةً للزَّرع لا للشَّجر، وعكسها مع انتظام جميعها في الأرضيَّة.(٣) و قيل:المتجاوراتُ: المدن وما كان عامرًا، وغير المتجاورات: الصَّحارى وما كان غير عامرٍ.(٤)

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ٤ / ٤٣١
(٢) ينظر : الجدول في إعراب القرآن الكريم . ١٣ / ٨٩
(٣) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان . ٦ / ٣٤٨
(٤) ينظر : تفسير فتح القدير . للشوكاني . ٣ / ٧٨

و مع اختلاف أقوال المفسرين إلا أننا لا نجد ما يوضح لنا سر مجيء ﴿مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾ الدالة على القلة صفة لـ ﴿ قِطَعٌ ﴾ إلا ما ذكره النحاس في معانيه فقال : " أن في الكلام حذفا والمعنى وفي الأرض قطع متجاورات وغير متجاورات كما قال سرابيل تقيكم الحر والمعنى وتقيكم البرد ثم حذف ذلك لعلم السامع ".(١) و على المعنى الذي ذكره النحاس نجد أن كلمة القطع وصفت بصفتين صفة ظاهرة مذكورة وهي ﴿مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ و صفة مستترة محذوفة تفهم مما ذكر، وهي (غير متجاورات)، وهاتين الصفتين يفهم منها الكثرة ؛ لأن قطع الأرض إما متجاورات أو غير متجاورات ، وإنما خصت المتجاورات بالذكر هنا لإظهار قدرة الله في اختلاف مذاق الأكل فيها مع قربها وتجاورها ؛ لذلك قيدت كلمة ﴿ قِطَعٌ ﴾ بصفة ﴿مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾ لهذا الغرض البلاغي الرائع الذي يظهر بديع صنع الله وحكمته وجماله ألفاظ كتابه وحسن سبكه وصياغته.

و عليه ومما سبق ذكره نجد كلمة ﴿مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ قد جاءت دالة على القلة على قاعدة النحاة إلا أنها في موضع الكثرة ؛ وذلك للغرض البلاغي الذي ذكرناه آنفا. و الله أعلم.

١٢ . كلمة (معدودات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في موضع الكثرة ، في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله تعالى .وذلك في الآية الرابعة والعشرين من سورة آل عمران ، حيث قال الله تعالى :﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران ٢٤]

تبين هذه الآية الكريمة تولي و إعراض اليهود عما جاءهم من الحق ، زاعمين أنهم لن يدخلوا النار إلا أياما معدودات ، و هي الأربعون يوماً ، بعدد الأيام التي عبدوا فيها العجل.

(١) ينظر : معاني القرآن للنحاس . ٣ / ٤٦٩

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة هنا هي كلمة ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾، وهي جمع بألف و تاء زائدتين لكلمة (معدودة) ، وقد جاءت نكرة دالة على القلة كما يقول النحاة ، فهل هذا يعني أن المدة التي يقضيها اليهود في النار قليلة ؟

إن كلمة ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ في الآية السابقة وقعت نعتاً لـ ﴿ أيام ﴾ جمع يوم ، وهو جمع يستوي فيه الكثير والقليل ؛ إذ لا جمع لكلمة (يومٍ) غيره . و عليه فلا بد من سبب لمجيء هذا النعت بصيغة الجمع بالألف والتاء الدالة على القلة؛ لاسيما أنه جاء بالإفراد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ [البقرة ٨٠] . فما هو السر في ذلك ؟

إن جمهور المفسرين يذكرون أقوالاً متباينة حول هذه الآية، فمنهم من قال : إن هذه الأيام أربعون يومًا ، وهن الأيام التي عبدوا فيها العجل .(١) و قيل : سبعة أيَّامٍ ، لزعم اليهود أن الدنيا سبعة آلاف سنة، فهم يزعمون أنهم يعذبون عن كلِّ ألفِ سنةٍ في الدنيا يومًا.(٢)

وعليه أقول و العلم عند الله ، إن صح قول القائلين أن المقصود بقوله تعالى:﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ سبعة أيام ، فإن مجي كلمة ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ نعتاً لـ ﴿ أيام ﴾ للدلالة على قلة تلك الأيام على حد زعمهم الباطل ، وتكون هنا في موضعها الصحيح ، مطردة مع ما قعد له النحاة.

وإذا صح قول من قال: إن المقصود بقوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ الأربعين يوماً التي عبدوا فيها العجل ، فإن الأربعين خارجةٌ عن القلة، ويكون سببُ مجيء ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ نعتاً لـ ﴿ أيام ﴾ تفنناً بلاغي في الأسلوب القرآني؛ إذ إن الأربعين يوماً في نظرهم قليلة بالنسبة للخلود

(١) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن . ٦ / ٢٩٢

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٢ / ٢٨

في النار. لاسيما أن الآية جاءت في سياق التشنيع عليهم فيما قالوه و زعموه، فجيء بالجمع دون الإفراد مبالغةٌ في زجرهم، وزجر من يقول بقولهم أو يعمل بعملهم . والله أعلم

١٣ . كلمة (مقصورات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في موضع الكثرة ، في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله تعالى و ذلك في قوله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن ٧٠ . ٧٢]

تبين الآية الكريمة أن الله سبحانه لما ذكر أحوال أهل النَّار ذكر ما أعدَّه للأبرار من نعيم الجنان ، وذكر سبحانه من ذلك النعيم جنتان لمن خاف مقام ربه و بين ما فيها من النعيم العظيم ثم قال سبحانه :﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن ٦٢] أي من دون الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان أخريان ، فيهما ﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ ، أي نساءٌ قُصرنَ على أزواجهنَّ فلا يبغين بهم بدلا ولا يرفعن أطرافهن إلى غيرهم من الرجال.(١)

دراسة المسألة :

كلمة ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ جمعٌ بألف وتاء لكلمة (مقصورة) ، و قد جاءت نكرة ؛ فهي على قاعدة النحاة دالة على القلة ، وهي أيضاً في محل رفع نعت لكلمة ﴿ حُورٌ ﴾ و الحور جمع حوراء، والحوراء : البيضاء. والمقصود الحور العين في الجنة وهن كثير، كيف لا وهن من نعيم الجنة؟ لكن كيف أمكن أن ينعت الكثير ـ حور ـ بما هو دالٌ على القليل وهي كلمة ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾؟

الجواب و الله أعلم: أن كلمة ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ جاءت في سياق الصفات لنعيم الجنتين الأخريين، وذلك بعد أن وصف الله سبحانه نعيم الجنتين الأُوليين بقوله: ﴿قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾، فعُلم أن لِكُلِّ الجَنَّاتِ الأَربع حُورٌ مَقْصُورَاتٌ لَا يَنْتَقِلْنَ من قصورهنَّ، لكن هناك تفاوت في صفات الجنات الأربع بحسب المراتب.

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى :﴿وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ﴾ : " ولعَلَّ ما لم يذكر من تفاوت ما بينهما أكثر ممَّا ذكر. فإن قيل: كيف لم يذكر أهل هاتين الجنَّتين كما ذكر أهل الجنتين

(١) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن للطبري . ٢٣ / ٦٧

الأُولَيينِ؟ قيل: الجنان الأربع لمن خاف مقام ربِّه إلَّا أنَّ الخائفين لهم مراتب، فالجنَّتانِ الأُولَيَانِ لأعلى العباد رتبة في الخوفِ منَ اللَّهِ تعالى، والجنَّتان الأخريان لمن قصرت حاله في الخوف من اللَّه تعالى. " [1]

و من هذا التفاوت : أن ﴿قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾ و التي هي من صفات الحور في الجنتين الأوليين ليست مثل ﴿ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾؛ إذ أن كلمة ﴿قاصِراتُ﴾ اسم فاعل أي : قصرنَ هن أعينهنَّ على أزواجهنَّ فلا يرين غيرهم.[2] أما قوله سبحانه :﴿مَقْصُوراتٌ﴾ فهو اسم مفعول ، أي حُبِسنَ ، فلا يُرِدْنَ غير أزواجهن ، ولا يطمحن إلى سواهم .[3] قال ابن عطية : "وقوله: ﴿ مَقْصُوراتٌ﴾ أي محجوبات. وكانت العرب تمدح النساء بملازمة البيوت "[4]

و قيل:(المقصورات) :المحبوسات المستورات في الخيام ، وهي الحجال ، لسن بالطَّوافات في الطرق ، قاله ابن عباس.[5]

و مما سبق من أقوال العلماء نفهم أن ﴿قاصِراتُ﴾ أعظم نعيماً من ﴿ مَقْصُوراتٌ﴾، وهذا من التفاوت بين النعيم في الجنات الأربع لتفاوت المراتب، أما ﴿ مَقْصُوراتٌ ﴾ فأقل نعيماً؛ إذ هن المقيمات في خدورهن و المخدومات الاتي لا يخرجن لقضاء حوائجهن ، و يعضد هذا و يرجحه قوله تعالى : ﴿ فِي الْخِيَامِ ﴾ فهي جملة متعلقة بـ ﴿ مَقْصُوراتٌ﴾. فلما كانت الجنتين الأوليين أعظم في النعيم من الأخريين جاءت كلمة ﴿ مَقْصُوراتٌ﴾ بلفظ القلة، ولم يقصد بها القلة في العدد وإنما القلة في الهيئة والكيفية و النعيم، و لعل قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ دُونِهِما ﴾ بمعنى أقل.

وعليه نقول أن كلمة ﴿ مَقْصُوراتٌ﴾ جاءت جمعاً بألف وتاء نكرة دالة على القلة على قاعدة النحاة، وإن كانت في موضع الكثرة؛ و ذلك لغرض بلاغي، و إعجاز بياني، وتفننٍ في الأسلوبي قرآني. والله أعلم.

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي . ١٧ / ١٨٤

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم . للقرطبي . ١٧ / ١٨٠

(٣) ينظر : معاني القرآن للفراء . ٣ / ١٢٠

(٤) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٥ / ٢٣٥

(٥) ينظر : اللباب في علوم الكتاب . ١٨ / ٣٦١

١٤ . كلمة (مهاجرات) وردت هذه الكلمة نكرة دالة على القلة في موضع الكثرة ، في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله تعالى. وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [الممتحنة ١٠] .

نزلت هذه الآية إثر صلح الحديبية، وذلك أن الصلح تضمن أن يرد المؤمنون إلى الكفار كل من جاء مسلما من رجل وامرأة، فنقض الله تعالى من ذلك أمر النساء بهذه الآية، وحكم أن المهاجرة لا ترد إلى الكفار بل تبقى تستبرئ وتتزوج ويعطى زوجها الكافر الصداق الذي أنفق.(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿مُهَاجِرَاتٍ﴾، وهي جمع بألف وتاء لكلمة (مهاجرة) ، وقد جاءت في محل نصب على الحال من كلمة المؤمنات على القراءة المشهورة ، إلا أن كلمة ﴿ الْمُؤْمِنَاتُ ﴾ جمع بألف وتاء معرف بـ (أل) ، فهو دال على الكثرة على قاعدة النحاة، و الحال منه ﴿مُهَاجِرَاتٍ﴾ جمع بألف وتاء نكرة ، دالٌ على القلة على قاعدتهم أيضاً ، فكيف أمكن مجيء حالٍ قليلٍ من كثير ؟؟

ذكر أبو حيان : نقلاً عن ابن عباس و مجاهد و قتادة و عكرمة ، أن معنى قوله تعالى: ﴿ فامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ أي بالحلف ، فكانت المؤمنة المهاجرة تُستحلف ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحلفها بالله أنَّها ما هاجرت لبغض في زوجها ، ولا لجريرة جرَّتها، ولا لسبب من أغراض الدُّنيا سوى حبِّ اللَّه ورسوله والدَّار الآخرة .(٢)

(١) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٥ / ٢٩٧

(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان . ١٠ / ١٥٨

فنجد أن المؤمنة المهاجرة كانت تُسأل من قِبلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي دعتها إلى الهجرة ، فإن كانت محبةً لله و لرسوله بقيت مع المؤمنين ، وإن كانت غير ذلك ردت إلى زوجها أو أهلها ؛ إذ أن الناس في هجرتهم على أحوال متعددة .

فلما تعدد الأحوال في الهجرة، وكان الشرط لقبول المؤمنة المهاجرة أن تكون على حالٍ واحدة من تلك الأحوال، وهي حب الله ورسوله ، عبر الله سبحانه وتعالى في الآية بلفظ يدل على القلة وهو قوله تعالى : ﴿مُهَاجِرَاتٍ﴾، فهو دال على القلة على قاعدة النحاة ، وإن كان في موضع الكثرة ؛ وذلك ليناسب الحال؛ إذ هي حال واحدة مشروطة عن بقية الأحوال المتعددة، و هذا من التفنن في الأساليب اللغوية القرآني. والله أعلم

المبحث الثاني : ما دل على الكثرة في موضع القلة .

في هذا المبحث من هذا الفصل ، سأتناول بالبحث والدراسة الكلمات التي جاءت مجموعة بألف وتاء زائدتين في القرآن الكريم دالة على الكثرة على قاعدة النحاة ، لكنها في موضع القلة ، و سوف أوردها مرتبة بالترتيب الهجائي على النحو الآتي :

١ .كلمة (الآيات) وردت هذه الكلمة معرفة بـ (أل) دالة على الكثرة في موضع القلة ، في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله تعالى

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾ [يوسف ٣٥]

تبين هذه الآية أنه لما أبى يوسف المعصية، ويئست منه امرأة العزيز طالبته بأن قالت لزوجها: إن هذا الغلام العبراني قد فضحني في الناس وهو يعتذر إليهم ويصف الأمر بحسب اختياره، وأنا محبوسة محجوبة، فإما أذنت لي فخرجت إلى الناس فاعتذرت وكذبته، وإما حبسته كما أنا محبوسة. فحينئذ بدا لهم سجنه.(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي ﴿الْآيَاتِ﴾ و هي جمع بألف وتاء لكلمة (آية)، وقد عرفت بـ (أل) فهي دالة على الكثرة على قاعدة النحاة. إلا أن أهل التفسير مختلفون في المقصود بالآيات التي بدت لهم مبرئة ليوسف من التهمة التي وجهتها له من امرأة العزيز، فقيل: هي قَدُّ القميص، قاله مجاهد وغيره، وخمش الوجه الذي كان مع قد القميص، قاله عكرمة، وحز النساء أيديهن، قاله السدي.(٢) و قد رد أبو حيان قول عكرمة و السدي فلم ير في خمش الوجه و حز

(١) ينظر : المحرر والوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٣ / ٢٤٢

(٢) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن. لابن جرير الطبري . ١٦ / ٩١

الأيدي علامة و دلالة على براءة يوسف، وهو بقوله هذا يخرج هاتين الآيتين من مجمل الآيات فلا يبق إلا قد القميص ، ثم إنه يضيف آية الشاهد فيقول: " فإن كان الشَّاهد طفلًا فهي آيةٌ عظيمةٌ، وإن كان رجلًا فيكون استدلالًا بالعادة. والَّذي يظهر أنَّ الآية إنَّما يعبَّر بها عن الواضح الجليِّ، وجمعها يدلُّ على ظهور أمورٍ واضحةٍ دلَّت على براءته".(١)

و مما سبق من أقوال المفسرين نجد أن مجمل الآيات التي أشاروا إليها وجعلوها علامات على براءة يوسف عليه السلام من تهمة امرأة العزيز أربع آيات هي :(قد القميص ، و خمش الوجه ، و حز الأيدي ، و الشاهد) وهذه الآيات قليلة في عددهن ، فكيف أمكن أن يعبر عنها في الآية بقوله: ﴿ الآيات ﴾ و التي تدل على الكثرة على قاعدة النحاة ؛ إذ هي معرفة بـ (أل) ؟؟

الجواب على ذلك ـ والله أعلم ـ هو: إنَّ (أل) في قوله : ﴿الْآيَاتِ﴾ إما أن تكون جاءت للتعظيم لا للتكثير والعموم ، وقد أشار إلى ذلك أبو حيان بقوله : " فإن كان الشَّاهد طفلًا فهي آيةٌ عظيمةٌ ".(٢) و إما أن تكون (أل) فيها للعهد ؛ وهنا تكون دالة على القلة موافقة للقاعدة النحوية؛ فجموع القلة، إذا تعرفت بالألف واللام الاستغراقية غير العهدية أو أضيفت، عمَّت وصارت لا تخص القليل. وإما أن تكون هناك آيات غير ما ذكر ترك ذكرها كما ترك ذكر كثير من معجزات الأنبياء عليهم السلام. و الرأيين الأول و الثاني هما الأقرب للصواب؛ إذ أن شهادة الصبي ببراءة يوسف وتحدُّثه أمرٌ لا يمكن كتمه و مداراته عن الناس، فهو أمر عظيم غير معهود؛ فتكون (أل) في الآيات لتعظيم ذلك الأمر عندهم، مما جعل العزيز وأصحابه الذين شاركوه في الرأي يشيرون بسحبه إلى مُدَّةٍ يرون فيهَا رأيهم. أو أن (أل) في قوله: ﴿الْآيَاتِ﴾ للعهد و ليست للاستغراق؛ لأن العزيز و قومه يعلمون عنها، ويعرفونها .

(١) ينظر : البحر المحيط . لأبي حيان . ٦ / ٢٧٤

(٢) ينظر : البحر المحيط . لأبي حيان . ٦ / ٢٧٤

و عليه نقول أن كلمة ﴿الْآيَاتِ﴾ جاءت في هذا الموضع معرفة بـ (أل) لا للدالة على الكثرة على قاعدة النحاة بل لغرض بلاغي هو التعظيم؛ ليدل المعنى على أن براءة يوسف أثبتها الله بآية عظيمة لم يحدث مثلها من قبل. أو أن (أل) فيها للعهد فهي دالة على القلة لقلة الآيات المذكورة. والله أعلم.

٢ . كلمة (البينات) وردت هذه الكلمة معرفة بـ (أل) دالة على الكثرة على قاعدة النحاة في موضع القلة، في موضعين من كتاب الله تعالى و سوف أتناول موضعاً منها بالبحث والدراسة و ما يقال فيه يمكن القول به على الآخر، وموضع البحث هو:

قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ [النساء ١٥٣]

تبين هذه الآية الكريمة معاذير أهل الكتابين في إنكارهم رسالة محمَّد صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ومطالبهم الكاذبة التي جعلوها شرطاً لإيمانهم بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فقد سألوا معجزةً مثل معجزة موسى، بأن ينزَّل عليه كتاباً مثل ما أنزلت الألواح فيها الكلماتُ العشر على موسى، و المراد بأهل الكتاب هنا خصوص اليهود.(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾، وهي جمع بألف وتاء لكلمة (بينة)، معرفة بـ(أل) دالة على الكثرة على قاعدة النحاة، إلا أنها في موضع القلة ؛ إذ أن المقصود بها في الآية المعجزات التي جاء بها موسى وهي تسع آيات بينات كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ٢ / ٤٤٦

مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [الإسراء ١٠١]. و سنرى ذلك في أشهر أقوال المفسرين لاحقا . فكيف جاءت كلمة ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ هنا معرفة بـ (أل) دالة على الكثرة على قاعدة النحويين ؟

اختلف المفسرون في المقصود بكلمة ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ في الآية السابقة، قال ابن جرير الطبري: " ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ الآيات والدلالاتُ الواضحات على أنهم لن يروا الله عيانًا جهارًا، ومنها إصعاقُ الله إياهم عند مسألتهم موسى أن يريهم ربه جهرة، ثم إحياءه إياهم بعد مماتهم، مع سائر الآيات التي أراهم الله دلالةً على ذلك".(١) و قال أبو حيان:"﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ التسع الآيات وهي: العصا، والسُّنون، واليد، والدَّم، والطُّوفانُ، والجرادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادعُ، وفلق البحر. وهي المعنية بقوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ ﴾ [الإسراء ١٠١] ". (٢) و قيل : البينات هي الصَّاعقة، وسمَّاها بيِّناتٍ وإن كانت شيئاً واحداً؛ لأنها دالَّةٌ على قدرة الله تعالى وعلى علمه وعلى قِدمِهِ. وقيل : المراد بـ ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ التوراة وما فيها من الدّلالات .(٣)

و مما سبق من أقول المفسرين نجد أن ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ في قول ابن جرير الطبري دالة على الكثرة موافقة لقاعدة النحاة؛ إذ أنه جعل الآيات كثيرة عندما أدخل آية إصعاقُ الله إياهم، وآية إحياءه إياهم بعد مماتهم مع الآيات التسع، فخرجت من القليل إلى الكثير. وعلى قول أبي حيان نجد أن كلمة ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ دالة على القلة ؛ إذ أنه حدها بالتسع الآيات فقط، فهي دالة على الكثرة في اللفظ إلا أنها في موضع الكثرة في المعنى. وهناك من قال: إن المقصود بـ ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ الصاعقة فقط، وإنما جمعت دلالة على القدرة الإلهية، و هناك من قال: إن المقصود آيات التورة، فكثرها فهي كثيرة في اللفظ والمعنى.

لكن القول الأقرب للصوب والله أعلم أن المقصود بـ ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ في الآية السابقة الآيات والمعجزات التسع التي جاء بها موسى وذلك من وجوهٍ منها :

(١) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن . لابن جرير الطبري . ٩ / ٣٦٠

(٢) ينظر : البحر المحيط . لأبي حيان . ١ / ٤٩٣

(٣) ينظر : اللباب في علوم الكتاب . ٧ / ١٠٥

أولاً: ما ذكره الفراء في معانيه حيث قال: " وقوله: ﴿ ثم اتخذوا العجل ﴾ ليس بمردود على قوله تعالى: ﴿ فأخذتهم الصاعقة ﴾ فإن ظاهر الآية أن اتخاذ العجل بعد أن أخذتهم الصاعقة لسؤال الرؤية، والواقع أن اتخاذ العجل سابق على هذا " و ذكر أيضاً أن العرب تستأنف بـ (ثم) والفعل الَّذِي بعدها ما قد مضى قبل الفعل الأول، وذكر من ذَلِكَ أن تقول للرجل: قد أعطيتك ألفًا ثُمَّ أعطيتك قبل ذَلِكَ مالا. فتكون(ثُمَّ) عطفًا عَلَى خبر المخبر كأنه قَالَ: أخبرك أني زرتك اليوم، ثُمَّ أخبرك أني زرتك أمس".[1]

وهذا رد على من أدخل آية إصعاقُ الله إياهم، وآية إحياءه إياهم بعد مماتهم مع الآيات التسع.

ثانياً: ما ذكره البيضاوي في تفسيره للآية فقال : "والبينات، المعجزات، ولا يجوز حملها على التوراة إذ لم تأتهم بعد ".[2]

وعليه فإن كلمة ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ يراد بها في هذه الآية المعجزات التسع وهي : العصا، والسُّنون، واليد، والدَّم، والطُّوفانُ، والجرادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادعُ، وفلق البحر . فهي للقلة. إلا أنها جاء بلفظ الكثرة على قاعدة النحاة ؛ عندما تعرفت بأل وهي من جموع القلة، ونخرج المسألة فيها على أحد أمرين :

الأول: أن (أل) في كلمة ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ للعهد و ليست للاستغراق؛ وبهذا تكون جاءت للقلة في هذا الموضع على قاعدة النحاة، فهي في موضعها الحقيقي؛ إذ لا يمكن أن تأتي الآيات تخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بكذب اليهود عندما طلبوا منه أن ينزل عليهم كتابا من السماء شرطا منهم لإيمانهم، وأنهم عبدوا العجل بعد أن جاءتهم الآيات البينات؛ إلا أن تكون تلك الآيات التي جاء بها موسى معلومة معروفة، و إلا كيف تشير الآية إلى شيء مجهول .

الثاني: أن تكون (أل) ليست للعهد، وهنا تكون كلمة ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ خارجة عن تقعيد النحاة، فهي للكثرة. وعليه فإن (أل) هنا جاءت للتعظيم، حيث إنها جعلت ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ صفةً تشتهر بها معجزات موسى . قال الزجاجي :" تدخل الألف واللام للتعريف على صفات شهر بها قوم حتى صارت تنوب عن أسمائهم "[3]

---

(١) ينظر : معاني للقرآن للفراء . ١ / ٣٩٦

(٢) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل . للبيضاوي . ٢ / ١٠٧

(٣) ينظر : اللامات . ١ / ٤٦

و الأمر الثاني هو الأقرب عندي للصواب ـ و الله أعلم ـ لأن الآيات المعجزة التي جاء بها موسى عليه السلام وصفت بـ ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ في أكثر من موضع فقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ ﴾ [الإسراء ١٠١] و في قوله: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ [طه ٧٢]

و عليه فإن كلمة ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ جاءت دالة على القلة في موضع الكثرة و ذلك لغرض بلاغي هو التعظيم لها، ولفت الانتباه إلى عظم تلك الآيات و وضوحها وجلائها، وهذا من الفنون البلاغية في الأسلوب القرآني. والله أعلم.

٣ . كلمة (الحجرات) وردت هذه الكلمة معرفة بـ (أل) دالة على الكثرة على شرط النحاة في موضع القلة، في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله تعالى .

قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات ٤]

في هذه الآية يذمُّ الله تبارك وتعالى الَّذِينَ يُنَادونَ رسوله صلى الله عليه وسلم من وراءِ الحُجُراتِ وهي بيوت نسائه، عليه الصلاة والسلام، كما يصنع أجلافُ الأعرابِ فقال سبحانه :﴿ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك فقال عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ ﴾ أَي لكان لهم في ذلك الخيرةُ والمصلحةُ في الدنيا والآخرة.(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة هي كلمة ﴿الْحُجُرَاتِ﴾، وهي جمع بألف وتاء لـ (حجرة) والحجرة:الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها، ويقال : حُجْراتٌ وحُجُراتٌ و حُجَراتٌ، لُغَاتٌ

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٧ / ٣٤٤

كُلُّهَا.[1] و الحجرات في هذه الآية منازل الرَّسولِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم، و حجرات نسائه وكانت تسعَ حجرات .[2] و التسعة عدد من أعداد القلة، إلا أن كلمة ﴿الْحُجُرَاتِ﴾ جاءت في الآية السابقة معرفةً بـ (أل) ؛ فهي دالة على الكثرة على قاعدة النحاة، فكيف أمكن ذلك ؟؟

يذكر المفسرون : أن هذه الآية نزلت في أعراب بني تميمٍ، عندما قدمَ وفدٌ منهم على النَّبِيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، فدخلوا المسجد ونادوا النَّبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم من وراء حجرته أن اخرج إلينا، فإنَّ مدحنا زينٌ وذمَّنا شينٌ. وكانوا سبعين رجلًا.[3]

وقد أسند النداء في الآية إلى الجماعة فقال سبحانه :﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ ﴾ ثم جات جملة ﴿مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ متعلقة بالفعل ﴿يُنَادُونَكَ﴾، فكانت مناداتهم من وراء الحجرات تحتمل أنهم قد تفرّقوا على الحجرات متطلبين له، فناداه بعضهم من وراء هذه، وبعضهم من وراء تلك، أو أنهم قد أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها، أو أنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها، ثم إن الفعل جاء في الآية بصيغة المضارع فقال سبحانه :﴿ يُنَادُونَكَ ﴾ وهذا فيه تكرار و كثرة نداء .

و عليه نقول : إنه لما كَثُر المنادون وتكرر النداء منهم، اقتضت المعنى أن تأتي كلمة ﴿الْحُجُرَاتِ﴾ بصيغة الكثرة، لا نقصد كثرة عدد الحجرات و إنما كثرة الجفاء من أولئك الأعراب و عِظم جرم الذي وقعوا فيه، وسوء الأدب منهم، عندما رفعوا أصواتهم بمناداتهم له صلى الله عليه وسلم بأسلوب لا يليق بأقل البشر مكانة، فكيف يليق به صلى الله عليه وسلم وهو أعظم الخلق شرفاً و أكرمهم منزلة. أو أن يكون قصد بذلك التعظيم تعظيم شخص الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك جاءت الآية التي قبل هذه الآية تثني على الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ

(١) ينظر : لسان العرب . ٤ / ١٦٨

(٢) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٥ / ١٤٦ و البحر المحيط . ٩ / ٥١١ و التحرير والتنوير . ٢٦ / ٢٢٦

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي . ١٦ / ٣٠٩

الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات ٣] . حتى أن الله أعظم لهم الجزاء عندما غضُّوا أصواتهم ؛ دلالةً على عظم موقعه صلى الله عليه وسلم عند اللَّه تعالى، وقد أشار إلى ذلك صاحب الكشاف فقال :" ولكنها جمعت إجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم و لمكان حرمته ".(١)

و مما سبق ذكره نجد أن كلمة ﴿الْحُجُرَاتِ﴾ جاءت في هذا الموضع دالة على الكثرة في موضع القلة ؛ وذلك لغرض بلاغي هو التعظيم. سواءً كان المقصود تعظيم مقام الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو الإشارة إلى عظيم جرم الذين نادوه بذلك الأسلوب الخالي من الأدب. و الله أعلم ....

٤ . كلمة (الحسنات) وردت هذه الكلمة معرفة بـ (أل) غير العهدية دالة على الكثرة على تقعيد النحاة في موضع القلة في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله تعالى

قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود ١١٤] .

قال المفسرون : نزلتْ في رجل من الأَنصار، قيل : هو أبو اليُسْرِ بن عمْرو. وقيل : اسْمه عبَّاد، خلا بامرأة فقبلها وتلذَّذ بها فيما دون الفرج، فأتى النبي صلى الله عليه و سلم فذكر له ذلك، فلم يردَّ عليه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلَّم شيئا فانطلق الرجل، فأتبعه رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم رجلًا فدعاه، فتلا عليه : " ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ﴾ " إلى آخر الآيَة، فقال رجل من القوم : هذا له خاصَّة ؟ قال صلى الله عليه وسلم :" لَا بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً ".(٢)

(١) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل . للزمخشري . ٤ / ٣٥٧

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي . ٩ / ١١١

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في الآية هي كلمة ﴿الْحَسَنَاتِ﴾، وهي جمع بألف وتاء لكلمة (حسنة) معرفة بـ (أل) غير العهدية ؛ لتدل على الكثرة، وهي واقعة في محل نصب اسم (إن) وخبرها الجملة الفعلية ﴿يُذْهِبْنَ﴾،وجملة ﴿إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾ مساقة مساق التعليل لإقامة الصلاة .[1]

و اختلف المفسرون في تأويلهم لقوله: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾، فقيل: إن المراد بالحسنات : أي إن هذه الصلوات تكفر ما بينها من الذنوب.[2] و قيل عموم الحسنات أي إِنَّ فعل الخيرات يكفر الذُّنوب السَّالفة.[3] و نقل عن مجاهد أن الحسنات هي : قول الرجل : سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلَّا اللَّه، واللَّه أكبر، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه العليِّ العظيم. وذهب جمهور المتأوِّلين من الصَّحابة و التَّابعين : إلى أنَّ الحسنات يراد بها الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ عُثْمَانُ. وهو تأويل مالك. [4]

و مما سبق ذكره نجد أن المفسرين اختلفوا في تأويل كلمة ﴿الْحَسَنَاتِ﴾، فمنهم من جعلها عامة، تعم جميع أعمال الخير، ومنهم من قال إنها الصلوات الخمس، و الرأي الثاني هو الأقرب للصواب؛ لورود كلمة الصلاة في بداية الآية، وتحديد أوقاتها بقوله: ﴿طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾، كما أن سبب نزول الآية يشير إلى ذلك. إلا أن الصلوات خمس في عددها، فكيف عبر عنها بما يدل على الكثرة ؟؟

(١) ينظر: التحرير والتنوير . ١٢ / ١٨٠

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج . ٣ / ٨٢

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير . ٤ / ٣٥٥

(٤)ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٣ / ٢١٣ ، ينظر: البحر المحيط . ٦ / ٢٢٣ ، ينظر: فتح القدير للشوكاني . ٢ / ٦٠٣

و الجواب على هذا هو: إن الصلوات المفروضة و إن كانت خمساً في عددها؛ إلا أنها بأجر خمسين صلاة، كما إن واجباتها و سننها التي أمرنا بأدائها كثيرة في الصلاة الواحدة، من تسبيح و تكبير وتهليل و تحميد وقراءة، في الفرض الواحد، فما بالك بالصلوات الخمس، و يعضد ذلك ما ذكرناه آنفا بأن قوله :﴿ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ﴾ مسوقةٌ مساق التَّعليل للأمر بإقامة الصلوات .

وعلى هذا فإن كلمة ﴿الْحَسَنَاتِ﴾ جاءت في هذا الموضع دالة على الكثرة و إن كان المراد بها القليل وذلك لتعظيم أمر الصلاة، و عظم شأنها و جزيل ثوابها. وهذا من التفنن في الأسلوب القرآني المعجز . والله أعلم..

٥ . كلمة (السماوات) وردت هذه الكلمة معرفة بـ (أل) دالة على الكثرة على قاعدة النحاة في موضع القلة، في مئة وخمسة و ثمانين موضعاً من كتاب الله عز وجل، و سوف أتناول بالبحث والدراسة ثلاثة مواضع منها، وهي تلك المواضع التي يظهر فيها الإشكال صريحا واضحا، وما يقال في تلك المواضع الثلاثة يمكن القول به على البقية، و مواضع الدراسة هنا هي :

١ . قال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء ٤٤]

٢ . قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [المؤمنون ٨٦]

٢ . قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر ٦٧]

تذكر الآية الأولى أن السَّموات السَّبع والأرض ومن فيهنَّ، أي : من المخلوقات، تقدِّس الله وتنزِّهه وتعظِّمه وتجِّله وتكبِّره عمَّا يقول المشركونَ، وتشهد له بالوحدانيَّة في ربوبيته وإلهيَّته. أما الآية الثانية:

فإنها تقرِّر وحدانيَّته سبحانه و تعالى، واستقلالُه بالخلق والتَّصرُّف و الملك، لترشد إلى أنَّه الَّذي لا إله إلَّا هو، ولا تنبغي العبادة إلَّا له وحده لا شريك له؛ ولهذا أمر سبحانه رسوله محمَّد صلَّى اللَّه عليه وسلَّم أن يقول للمشركين العابدين معه غيره، المعترفين له بالرُّبوبيَّة، وأنَّه لا شريك له فيها: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾، فكيف مع هذا أشركتم معه في الألوهية غيره، فكيف تعبدون غيره معه، مع اعترافكم أنَّ الَّذين عبدتموهم لا يخلُقُون شيئًا، ولا يملكون شيئًا. و في الآية الثالثة: يقول سبحانه وتعالى: إن المشركين ما قدروا اللَّه حقَّ قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيمُ الَّذي لا أعظم منه، القادر على كلِّ شيءٍ، المالك لكلِّ شيءٍ، وكلُّ شيءٍ تحت قهره وقدرته.(١)

دراسة المسألة :

كلمة ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ في الآيات السابقة مجموعة بألف وتاء، مفردها (سماء) مشتقةٌ من السُّمُوِّ، والأصل: سَماوٌ؛ وإنما قُلِبَتِ الواو همزةً لوقوعها طرفاً بعد ألفٍ زائدةٍ، ولذلك لَمَّا دَخلت عليها تاءُ التأنيث صَحَّتْ نحو: سَماوة، قال العجَّاجُ :

طَيَّ اللَّيَالِي زُلَفًا فَزُلَفَا ... سَمَاوَةَ الْهِلَالِ حَتَّى احْقَوْقَفَا. (٢)

و ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ في الآيات السابقة معرفة بـ (أل) أي دالة على الكثرة على قاعدة النحاة، والمقصود بها السماوات السبع ؛ ولذلك جاءت موصوفة في الآيتين الأولى و الثانية بكلمة ﴿السَّبْعِ﴾ فهي سبعٌ في عددهن لا يُقال بغير ذلك . كما جاء الخبر عنها في الآية الثالثة بـ ﴿مَطْوِيَّاتٌ﴾ والعامَّةُ على رفعِ ﴿مَطْوِيَّاتٌ﴾ خبراً للسماوات.(٣)

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ٥ / ٧٨ ، ٤٩٨ و ٧ / ١١٣

(٢) ينظر : البحر المحيط . لأبي حيان . ١ / ١٣٦

(٣) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . ٩ / ٤٤٤

و﴿مَطْوِيَّاتٌ﴾ على قاعدة النحاة قلة . فكيف أمكن وصف الكثير بالقليل، و الإخبار بالقليل عن الكثير في الآيات السابقة ؟؟

يقول الفراء: "وقوله: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ ﴾ أكثر القراء عَلَى التاء. وهي فِي قراءة عبد الله (سبَّحت لَهُ السموات السبع) فهذا يقوِّي الَّذِينَ قرءوا بالتاء. ولو قرئت بالياء لكان صوابا كما قرءوا ﴿تَكادُ السَّماواتُ﴾ [مريم ٩٠] بالياء، وإنَّما حسنت الياء لأنه عدد قليل، وإذا قلَّ العدد من المؤنث والمذكر كانت الياء فِيهِ أحسن من التاء قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي المؤنث القليل: ﴿ وَقالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ [يوسف ٣٠]، وقال فِي المذكر: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴾ [التوبة ٥]، فجاء بالتذكير. وَذَلِكَ أن أول فعل المؤنث إذا قلّ يكون بالياء ".(١) فنجد الفراء في هذا القول يحسن قراءة (تسبح) بالياء بحجة أن السموات قليلة، فلا بد لنا من تخريج لهذه المسألة ؛ لنعلم كيف أمكن أن تأتي كلمة ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ معرفة بـ (أل) دالة على الكثرة على قاعدة النحاة وهي في الأصل قليلة ؟

و يمكن أن نخرِّج هذه المسألة من طريقين :

الأول : هو أن القاعدة النحوية عند النحويين تقول : إن جموع القلة، إذا تعرفت بالألف واللام غير العهدية أو أضيفت، عمَّت وصارت لا تخص القليل، والعام مستغرق لجميع الأفراد.(٢) فهم يشترطون أن تكون (أل) في جموع القلة غير عهدية لتدل على الكثرة ؛ وعليه فإن (أل) في كلمة السماوات هنا هي (أل) العهدية، فـ ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ هنا قليلة، و يزيد الأمر إيضاحاً، أن (أل) العهدية تأتي لتعريف الاسم على معنى العهد، كقولك : جاءني الرجل، فإنك تخاطب بهذا الجملة من بينك وبينه عهد برجل تشير إليه فلا ينصرف ذهنه إلى غيره؛ لعهده به، و معرفته له . وهذا هو الحاصل في السماوات ؛ إذ هي معروفة معلومة لدى المخاطبين، فهم يرون السماء ويشاهدونها، و العرب يسمون كل ما ارتفع وعلا سماء . (٣) فإن قال قائل : إنهم يرون سماءً واحدة، فكيف تقول إن (أل) في قوله: ﴿ السَّماواتُ السَّبْعُ ﴾ للعهد ؟ و هم لم يعرفوا السبع السماوات وليس لهم بها عهد ؟؟ قلنا إن في

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء . ٢ / ١٢٤

(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان . ٨ / ٤٢٢

(٣) ينظر : لسان العرب . ١٤ / ٣٩٨

معنى الآية ما يدل على أنهم على عهد ومعرفة ذهنية بأنها سبع سماوات ؛ وذلك حين أجابوا على قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾، فكان جوابهم قوله تعالى:﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون ٨٧] فقد اعترفوا في إجابتهم أن السماوات السبع معروفة لديهم و أنها ملك لله وحده .

الثاني : أن تكون (أل) في كلمة ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ ليست للعهد، وهذا يخرجها من القاعدة فتكون دالة على الكثرة في موضع القلة، وعندها تكون (أل) هنا جاءت لغرض التعظيم . أي تعظيم شأن الله وقدرته و ملكه وسلطانه، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر ٥٧] . قال فيه ابن عطية :" أي أكبر وأجلُّ من خلق البشر، لأنَّها خلق عظيم لا يُقَادَرُ قَدْرُهُ".(١) فهي في خلقها ـ السماوات ـ تدل على أن الله تعالى له السلطان القاهر، والاستيلاء الباهر، المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي- إيجادا وإعداما، وأمرا ونهيا- حسبما تقتضيه مشيئته، لا معارض لأمره، ولا معقب لحكمه، فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته شيء من الأشياء .

و إلى هذا المعنى الذي أشرنا إليه تشير جميع الآيات التي وردت فيها كلمة السموات مجموعة بألف وتاء معرفة بـ (أل) كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة ١٠٧] ففي إضافة السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إلى (الملك) ما يدل على أنهما من أعظم المخلوقات الظاهرة ؛ لأن كل مخلوق لا يخلو عن أن يكون في إحدى هاتين الجهتين فكان في الاستيلاء عليهما إشارة إلى الاستيلاء على ما اشتملا عليه .(٢) و هذا من عظيم ملكه سبحانه، وكمال قدرته، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران ١٩٠] ففي إضافة السماوات والأرض إلى كلمة الخلق و الاقتصار عليهما دون باقي المخلوقات ما يدل على عظيم خلقهما و بديع صنعه سبحانه و تعالى فيهما .

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٤ / ٥٦٥

(٢) ينظر : تفسير روح المعاني للألوسي . ١ / ٣٥٣

و في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[فاطر ٣٨] دليلٌ واضح على تعظيم السماوات و أنها خلق عظيم ؛ إذ في الإحاطة بغيبها و ما فيها دليل على سعة علم المحيط سبحانه و تعالى . و الشواهد في بقية الآيات كثيرة وليس هذا مكان ذكرها وسردها .

وعليه ومما سبق ذكره يترجح عندي والله أعلم أن القول الثاني هو الأقرب للصواب ،أي :أن (أل) في كلمة ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ جاءت لغرض التعظيم، إذ هي خلق عظيم و في خلقها و بديع صنعها، وتدبير شؤونها دليل واضح على سلطان الله و قدرته وعظيم شأنه سبحانه. لذا تكون كلمة ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ جمعٌ بألف وتاء معرف بـ (أل) دالٌ على الكثرة على قاعدة النحاة جاء في موضع القلة لغرض بلاغي هو التعظيم، وهذا من تفنن الأسلوب القرآني و إعجازه . والله أعلم

٦ .كلمة (الصلوات) وردت هذه الكلمة معرفة بـ (آل) دالة على الكثرة في موضع القلة، في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة ٢٣٨]

يأمر الله سبحانه وتعالى عباده في هذه الآية الكريمة بالمحافظة و المواظبة على الصلوات المكتوبة، والخطاب لجميع الأمة، والآية أمر بالمحافظة على إقامة الصلوات في أوقاتها وبجميع شروطها، وذكر تعالى الصَّلَاةِ الْوُسْطى ثانية وقد دخلت قبل في عموم قوله الصَّلَوَاتِ لأنه قصد تشريفها وإغراء المصلين بها.(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث في هذه الآية هي ﴿الصَّلَوَاتِ﴾ وهي جمع بألف وتاء لكلمة (صلاة)، وقد عُرِّفت بـ (أل) فهي في ظاهرها دالة على الكثرة على شرط النحاة، فالقاعدة عندهم : أن جموع القلة، إذا تعرفت بالألف واللام غير العهدية أو أضيفت، عمَّت وصارت لا تخص القليل، والعام مستغرق لجميع الأفراد ؛ إلا أن الصلوات المعنية في الآية هي الصلوات الخمس المفروضة و المعروفة، وهي قليلة .

(١) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ١ / ٣٢٢

فإن قال قائل : لعل المقصود جميع الصلوات، المفروضة و النوافل وهي كثيرة. قلنا: إن قوله تعالى: ﴿ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ يدل على أن هناك صلاة واقعة في وسط تلك الصلوات، وهذا يقتضي أن تكون تلك الصلوات معلومة؛ حتى نستطيع معرفة الوسطى منها . و لو قلنا إن المقصود جميع الصلوات لتعذرت معرفة الصلاة الوسطى لكثرت الصلوات؛ فدلَّ هذا على أن المقصود الصلوات الخمسُ المفروضة. و بهذا فلا بد لنا أن نخرج المسألة من حيث اضطراب القاعدة النحوية في الآية ؟؟

يقول أبو حيان في تفسيره لهذه الآية : " ومعنى المحافظة هنا: دوام ذكرها، أَو الدَّوام على تعجيلها في أوَّل أَوقاتها، أَو: إِكمال فروضها وسُنَنِها . والأَلف واللَّام فيها للعهد، وهي : الصَّلَواتُ الخمسُ. قالوا : وكلُّ صلاةٍ في القُرآنِ مقرونةٌ بالمحافظة، فالمرادُ بها الصَّلَوَاتُ الخمسُ " .(١)

و مما سبق ذكره من كلام أبي حيان نجد أن كلمة ﴿الصَّلَوَاتِ﴾ في الآية جاءت دالة على القلة على قاعدة النحاة ؛ وذلك أن (أل) فيها للعهد وليست للاستغراق ، و هذا يخرجها من كونها للعموم والكثرة، فالقاعدة عند النحاة أن جموع القلة، إذا تعرفت بالألف واللام الاستغراقية أو أضيفت، عمَّت وصارت لا تخص القليل ، و هي في هذا الموضع موافقة للمعنى المقصود في الآية أي الصلوات الخمس المكتوبة ، مطردة مع قاعدة النحاة . والله أعلم .

٧ . كلمة (الظلمات) وردت هذه الكلمة معرفة بـ (أل) دالة على الكثرة في موضع القلة ، في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله تعالى.

قال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء ٨٧]

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان . ٢ / ٥٤٣

يذكر الله سبحان في هذه الآية الكريمة قصة نبيه يونس إذ ذهب مغاضباً، يعني مراغما لقومه، لحزقيل بن أجار ومن معه من بني إسرائيل،ففارقهم من غير أن يؤمنوا، فظنَّ أَنْ لَنْ نقدر عليه، أي فحسب يونس أن لن نعاقبه بما صنع، وقيل : نُضيِّق عليه ، قاله ابن عباس ومجاهد واختاره ابن جرير، فنادى : أي فدعا ربه فِي الظُّلُماتِ يعني ظلمات ثلاث ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، فنادى: ﴿ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ ﴾ يوحد ربه- عز وجل- سُبْحانَكَ نزه- تعالى- أن يكون ظلمه ، ثم أقر على نفسه بالظلم، فقال:﴿ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: إني ظلمت نفسي ، فاستجاب الله له دعاءه ونجَّاه من الغمِّ يعني من بطن الحوت وكذلك يُنجي الله عباده المؤمنين.(١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ ، وهي جمع بألف وتاء لكلمة (ظلمة)، معرفة بـ (أل) دالة على الكثرة على قاعدة النحاة ، إلا أنها في موضع القلة، فقد اختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذه ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ ، فقال بعضهم: عُني بها ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت. قال ابن جرير الطبري :" حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن زياد، عن عبد الله بن أبي سلمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: نادى في الظلمات : ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت". (٢) وقيلَ: ابتلع حوته حوت آخرُ فصار في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر.(٣) ولا شك أنه قد عنى بإحدى الظلمات: بطن الحوت، وبالأخرى: ظلمة البحر، وفي الثالثة اختلاف، وجائز أن تكون تلك الثالثة: ظلمة الليل، وجائز أن تكون كون الحوت في جوف حوت آخر، ولا دليل يدلّ على أيّ من ذلك .

لكن كيف جاء هذا الجمع معرفاً بـ (أل) دالاً على الكثرة ، إذا كانت الظلمات المعنية ثلاث ظلمات كما يقول المفسرون ؟

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ٥ / ٣٦٦

(٢) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن . للطبري . ١٨ / ٥١٦

(٣) ينظر : البحر المحيط . لأبي حيان . ٧ / ٤٦١

يقول ابن عطية :"عُبر بـ ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ عن جوف الحوت الأول فقط ،كما قال: في(غيابات الجب)؛ إذ إن في كل جهاته ظلمة فجمعها سائغ".(١) و قال أبو حيان :" جُمِعت الظُّلُماتِ لشدَّة تكاثفها فكأنَّها ظلمةٌ مع ظلمة".(٢) و يقول الطاهر ابن عاشور :" الظُّلُمَاتُ مُبَالَغَةٌ فِي شِدَّةِ الظُّلْمَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ".(٣)

وعليه ومما سبق ذكره نجد أن العلماء في أقوالهم السابقة مجمعون على أن كلمة ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ عُني بها شدة الظلمة وكثافتها، بغض النظر عن عدد تلك الظلمات، فكأن التعريف في كلمة ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ جاء لغرض المبالغة في شدة الظلمات وإن كانت قليلة إلا أنها كثيفة شديدة، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور ، و فيه إشارة إلى قدرة الله سبحانه وسعة علمه، فهو سبحانه محيط بكل شيء ، لا يخفى عليه شيء.

وبهذا فإن كلمة ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ في هذا الموضع جاءت دالة على الكثرة في موضع القلة ؛ وذلك لغرض المبالغة في شدة تلك الظلمات، وهذا من التفنن في الأسلوب القرآني المعجز . والله أعلم.

٨ . كلمة (المؤتفكات) وردت هذه الكلمة معرفة بـ (أل) دالة على الكثرة على قاعدة النحاة في موضع القلة، في موضعين من كتاب الله تعالى هما:

١ . قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [التوبة ٧٠].

٢ . قوله تعالى:﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ [الحاقة ٩].

(١) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٤ / ٩٧

(٢) ينظر : البحر المحيط . لأبي حيان . ٧ / ٤٦١

(٣) ينظر : التحرير والتنوير . لابن عاشور . ١٧ / ١٣٣

في الآية الأولى يقول عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر الأمم السالفة التي عصت الله بتكذيب رسله فأهلكها، وفي الآية الثانية ذكر الله الأمم التي كذبت رسله فأنزل سبحانه عليهم أنواعاً من العذاب، وذكر من ضمنها ﴿ الْمُؤْتَفِكَاتِ ﴾ و هي قرى قوم لوط. (١)

دراسة المسألة :

الكلمة المعنية بالبحث والدراسة في هذه الآية هي كلمة ﴿ الْمُؤْتَفِكَاتِ ﴾، وهي جمع بألف وتاء لـ مُؤْتَفِكَةٍ: اسم فاعلٍ من الائْتفاكِ وهو الانقلابُ، معرفة بـ (أل) دالة على الكثرة على قاعدة النحاة، إلا أنها في موضع القلة؛ إذ أن المقصود بها في قرى قوم لوط، وهي سَبْعُ مَدَائن. وقيل: خمس عدَّهَا المفسِّرون:(صبعة، وصعرة وعمرة، ودوما، وسدوم) و سدوم هي القرية العظمى.(٢) فما هو السر في تعريفها بـ (أل) الذي ينقلها إلى الكثرة؟

ذكر الفراءُ في معانيه أن المقصود بـ ﴿ الْمُؤْتَفِكَاتِ ﴾ ليست القرى السبع أو الخمس المذكورة، وإنما الشِيع والطوائف التي كانت في تلك القرى، كما قيل: قتلت الفُدَيكات، نسبوا إلى رئيسهم أبي فديك.(٣) فكأنهم نسبوا إلى الذنب الذي وقعوا فيه،أو إلى العذاب الذي وقع بهم، فكأن معنى ﴿الْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ هم الذين ائتفكوا بذنوبهم، أي أهلكوا بذنوبهم الَّتي أعظمُها الإفك، وهو الكذبُ في أمر الله، بأنهم كفروا وكذَبوا بالرسل فلذلك قيل لهم: مؤتفكون، وكذلك الذين ائتفكت بهم الأرض، أي خُسِفَ بهم، ومعناه انقلبت بِهِمْ ،كما يقلب الكذاب منهم الحق إلى البَاطِلِ.(٤) قال الطاهر ابن عاشور :" وأُريدَ بالمؤْتَفِكَاتِ سُكَّانُهَا وهم قوم لوطٍ وخصُّوا بالذِّكر لشُهرةِ جريمتهم".(٥)

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٣ / ٥٧ ، و البحر المحيط . ١٠ / ٢٥٦ .
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي . ١٨ / ٢٦٢ .
(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء . ١ / ٤٤٦ .
(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج . ٥ / ٢١٥
(٥) ينظر : التحرير والتنوير لابن عاشور . ٢٩ / ٢١٢

و عليه ومما سبق ذكره نجد أن كلمة ﴿الْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ جاءت في هذين الموضعين مجموعتان بألف وتاء معرَّفتان بـ (أل)، دالتان على الكثرة على قاعدة النحاة في هذا النوع من الجمع، وإن كانت في ظاهر الأمر في موضع القلة، وهذا من التفنن في الأسلوب القرآني؛ حين نُسبَ الائتفاك إلى تلك الطوائف والشيع التي تسكن تلك القرى السبع أو الخمس، وذلك إشارة إلى عظم ذنوبهم و تكذيبهم لرسولهم ، وما جاءوا به من الفواحش والمنكرات. و الله أعلم ...

الفصل الثالث

أثر القرينة فيما جُمع بألف و تاء زائدتين للدلالة على الكثرة في موضع القلة ، أو العكس .

و تحته مبحثان :

الأول : ما دل على القلة بوجود قرينة لفظية أو معنوية .

الثاني : ما دل على الكثرة بوجود قرينة لفظية أو معنوية .

المبحث الأول : ما دل على القلة بوجود قرينة لفظية أو معنوية .

في هذا المبحث من هذا الفصل ، أورد بإذن الله تعالى بعض القرائن اللفظية والمعنوية ، التي لها الأثر الواضح في دلالة ما جمع بألف وتاء زائدتين على القلة .

أولاً : ما دل على القلة بوجود قرينة لفظية .

١ . قال تعالى:﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [المؤمنون ٨٦]

في هذه الآية نجد قرينة المطابقة، حيث جاءت كلمة ﴿السَّبْعِ﴾ في محل جر صفة لـ ﴿السَّمَاوَاتِ﴾، كما أن العلامة الإعرابية تعتبر بذاتها قرينة لفظية مهمة، إذ يتوقف عليها المعنى أحياناً ؛ لذا أولاها القدماء أهمية خاصة . ولما كانت كلمة ﴿السَّبْعِ﴾ عدداً من أعداد القلة ، وبها وصفت كلمة ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ و الصفة تطابق الموصوف ؛ دل على أن المقصود بالسماوات (السبع السماوات) التي ذكرها الله في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة ٢٩] . وليس المقصود كل ما علا و ارتفع ؛ لذا دخلت في القلة بهذا الصفة ، و إنما عرفت بـ (أل) لغرض بلاغي هو التعظيم، وليس التعريف فيها للعموم و الكثرة .

٢ . قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود ١١٤]

في هذه الآية نجد قرينة الربط بعود الضمير ، حيث عاد الضمير في قوله:﴿ يُذْهِبْنَ ﴾ بصيغة الجمع على ﴿الْحَسَنَاتِ﴾ و التي يقصد بها الصلوات الخمس ، والخمس قلة والضمير عاد بلفظ الكثرة ، وقد ذكر الزمخشري في المفصل نقلاً عن أبي عثمان المازني قوله :" العرب تقول :(الأجذاع انكسرن) للأدنى العدد ، و (الجذوع انكسرت) ."[1] فنفهم من كلام المازني أن الضمير في كلام

(١) ينظر : المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري . ١ / ٢٥٠

العرب يعود بصيغة الجمع على ما دل على القلة ، ويعود بصيغة المفرد على ما دل على الكثرة ؛ فلما كانت (الأجذاع) قلةً وعاد عليها الضمير بالجمع في (انكسرن) .

لذا نجد ضمير الجمع في قوله تعالى : ﴿ يُذْهِبْنَ ﴾ عاد على ﴿الْحَسَنَاتِ﴾ ليدل على أن المقصود بها الصلوات الخمس ، وهي قليلة وإن كانت على قاعدة النحاة كثيرة ؛ إذ هي معرفة بـ (أل) الاستغراقية ، وقد بينا السر البلاغي في مجيئها دالة على الكثرة في موضع القلة .

كما نجده كذلك في قوله تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء ٤٤] . قد عاد الضمير في قوله :﴿وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ بصيغة الجمع على ﴿السَّمَوَاتُ﴾ و التي يقصد بها السماوات السبع ؛ وذلك إشارة إلى أن المقصود القلة لا الكثرة ، و إن كانت جاءت بلفظ الكثرة على قاعدة النحاة ، وقد بينا في موضعه الغرض البلاغي لمجيء ﴿السَّمَوَاتُ﴾ معرفة بـ (أل) في هذا الموضع .

٣ . قال تعالى : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن ٧٠ . ٧٢]

نجد في هذه الآية قرينة لفظية تدل على أن كلمة ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ جاءت في الآية بدلالة القلة؛ وإن كانت في محل رفع صفة لكلمة ﴿حُورٌ ﴾ و التي هي جمع كثرة. و تلك القرينة اللفظية نجدها في مبنى الصيغة الصرفية لكلمة ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾، و التي جاءت بصيغة اسم المفعول، و المعنى أنهن محبوسات ، ابن عطية : "وقوله: ﴿ مَقْصُوراتٌ ﴾ أي محجوبات. وكانت العرب تمدح النساء بملازمة البيوت "[1] وهذا يدل على التفاوت في النعيم بين مراتب الجنان، حيث قال في وصف حور الجنتين الأوليين ﴿قاصرات﴾ وهو اسم فاعل ، وقال في وصف حور الجنتين الأخريين

(١) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٥ / ٢٣٥

﴿مَقْصُورَاتٌ﴾، و ﴿قاصرات﴾ أعظم نعيماً من ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾؛ فلما كانت الجنتين الأوليين أعظم في النعيم من الأخريين جاءت كلمة ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ بلفظ القلة ، ولم يقصد بها القلة في العدد وإنما القلة في الهيئة والكيفية، و تفاوت نعيم الجنات. وهذا من التفنن في الأسلوب القراني .

ثانياً : ما دل على القلة بوجود قرينة معنوية .

١ . قال تعالى :﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة ٢٣٨]

يقصد بكلمة ﴿ الصَّلَوَاتِ ﴾ في هذا الموضع الصلوات الخمس ، وذلك لوجود قرينة معنوية في قوله : ﴿ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ أي : المتوسطة بينها أو الفضلى منها ، فالصلوات جمعٌ ، فلو قلنا أن المقصود عموم الصلوات المفروضة والنوافل ؛ لما استطعنا تحديد الوسطى من بينها ، فلا بد من عدد معلوم حتى نستطيع أن نحدد وسطه ، فأشار قوله : ﴿ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ إلى المعنى المقصود بـ ﴿ الصَّلَوَاتِ ﴾ ، أي : الصلوات الخمس ؛ وهي في أشهر أقوال المفسرين صلاة العصر لوجود صلاتي النهار و صلاتي الليل .(١)

٢ . قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ [النساء ١٥٣]

كلمة ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ يقصد بها في هذ الموضع المعجزات التسع التي جاء بها موسى ، لكنها هنا جاءت دالة على الكثرة على قاعدة النحاة ، إلا أن في الآية قرينة معنوية تدل على أن المقصود بها القلة لا الكثرة وهي :

(١) ينظر : تفسير روح المعاني للألوسي . ١ / ٥٤٨

أن عطف جملة اتِّخاذهم العجل بحرف العطف ﴿ ثُمَّ ﴾ و الذي يفيد في عطفه الجمل معنى التَّراخي الرُّتبيِّ . ما يدل على إنَّ اتِّخاذهم العجل إلهًا أعظم جرما من سؤالهم رؤية الله. [1] فهم اتخذوا العجل إلها بعد أن رأوا المعجزات التسع الباهرة التي تدل على وحدانية الله سبحانه ، ومع ذلك عبدوا غيره و اتخذوا من دونه إلهاً ، وهذا يدل على أن آية صعقهم ليست داخلة مع المعجزات التسع ، كما أن آية إحيائهم بعد صعقهم ليست مذكورة في الآية ، علما أنهما آيتان متلازمتان ؛ وعليه فإن آية صعقهم و آية إحيائهم لا تدخل مع الآيات التسع التي عبر عنها بكلمة ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ في الآية .كما أن التوراة لا تدخل في المقصود بـ ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ هنا أيضا ؛ إذ لم تأتهم بعد .[2]

و عليه ومما سبق فإن القرائن المعنوية المذكورة تجعل المقصود بكلمة ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ في الآية المعجزات التسع : العصا، والسُّنون، واليد، والدَّم ، والطُّوفانُ ، والجرادُ، والقُمَّلُ ، والضَّفادعُ ، وفلق البحر . و قد جاءت بلفظ الكثرة على قاعدة النحاة في هذا الموضع والذي هو موضع القلة لغرض بلاغي وهو لفت الانتباه إلى عظيم المعجزات التسع و عظيم الجرم الذي وقع فيه أولئك القوم بعد أن رأوا تلك المعجزات .

٣ . قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود ١١٤]

نجد أن الفعل ﴿ وَأَقِمِ ﴾ فعل أمر والأمر بالإقامة يؤذن بأنَّه عملٌ واجبٌ؛ لأنَّ الإقامة إيقاع العمل على ما يستحقّه، فتقتضي أنَّ المراد بالصَّلاة هنا الصَّلاة المفروضة، وقوله: ﴿طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ الطَّرفان ظرفان لإقامة الصَّلاة المفروضة ، والتَّثنية صريحةٌ في أنَّ المراد أوَّل النَّهار وآخره .[3] لذا نجد

(١) ينظر : التحرير والتنوير . ٦ / ١٥

(٢) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل . للبيضاوي . ٢ / ١٠٧

(٣) ينظر : التحرير والتنوير لابن عاشور . ١٢ / ١٧٩

أن قوله:﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ ﴾ يقصد بها الصلوات الخمس، و إن كانت ﴿ الْحَسَنَاتِ ﴾ جاء بالكثرة على قاعدة النحاة، إلا إن القرائن المذكورة بينت أن المراد منها القلة؛ وإنما عرفت بـ (أل) للفت الانتباه إلى عظيم أمرها و كثير أجرها ، فهي بأجر خمسين صلاة .

٣ . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات ٤]

كلمة ﴿الْحُجُرَاتِ﴾ جاءت معرفة بـ (أل) فهي دالة على الكثرة على قاعدة النحاة، لكن المقصود بها حجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي تسع حجرات .(١) و التسعة من أعداد القلة ، وفي الآية ما يدل على معنى القلة و أن المقصود بالحجرات حجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم وهذه القرينة في قوله تعالى : ﴿ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾ فالحجرات جمع حجرة، والحجرة: الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها، والوراء: الخلف، وهو جهةٌ اعتبارية بحسب موقع ما يضاف إليه ، والمعنى: أنَّ الحجرات حاجزةٌ بينهم وبين النبي صلَّى الله عليه وسلَّم فهم لايرونه فعبَّر عن جهة من لا يرى بأنَّها وراء، ومِنْ للابتداء، أَيْ ينادونك نداءً صادرًا من وراء الحجرات فالمنادون بالنِّسبة إلى النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كانوا وراء حجراته، و لو حذفت﴿ مِنْ﴾ لكان محتملًا لأن يكون المنادِي والمنَادَى كلاهما في جهةٍ وراء الدَّار.(٢)

وبهذه القرائن يتضح لنا أن كلمة ﴿ الْحَسَنَاتِ ﴾ في الآية يقصد بها حجرات نساء النبي التسع ، فهي دالة على القلة و جاءت بلفظ الكثرة لغرض بلاغي هو التعظيم و الإجلال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته حرمة تلك الحجرات .

٤ . قال تعالى:﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ ١٣]

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان . ٩ / ٥١١

(٢) ينظر : التحرير والتنوير . لابن عاشور . ٢٦ / ٢٢٦

نجد في هذه الآية قرينة معنوية، تدل على أن كلمة ﴿رَاسِيَاتٍ﴾ دالة على القلة على قاعدة النحاة ، و إن كانت وصفة لجمعٍ من جموع الكثرة ـ قدور ـ و القرينة المعنوية في الآية هي :

إن الآية جاءت في مساق ذكر النعم التي أنعم الله بها على نبيه سليمان عليه السلام، وكيف أن الله سبحانه سخر له الجن يعملون بين يديه، ويصنعون المحاريب والتماثيل والجفان والقدور الراسيات، و بالنظر إلى تلك المصنوعات نجد أنها كلها جاءت بصيغ الكثرة من غير وصف لها، ماعدا كلمة ﴿ قُدُورٍ ﴾ فقد وصفت من بين تلك المصنوعات بصفة ﴿رَاسِيَاتٍ﴾ لتبين أن المراد منها القلة؛ لأنه لا حاجة لكثرة القدور ، فالقدر الواحد يمكن أن يطبخ فيه للآلاف، بينما بقية المصنوعات تستوجب الكثرة فبقيت على كثرتها بدلالة ألفاظها غير موصوفة بما يقللها.

كما أن كلمة قدور لا تجمع جمع قلة ، و لم يرد لها في كلام العرب جمعا غير هذا الجمع ، قال صاحب اللسان : " وجَمْعُ القِدْرِ قُدورٌ، لَا يُكَسَّرُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ." (١)

فلما كانت كلمة ﴿ قُدُورٍ ﴾ لا تجمع إلا جمع كثرة في كلام العرب ، و المعنى في الآية يقتضي أن تقلل و تضخم؛ إذ لا داعي لكثرتها مع ضخامتها، وصفت بما يناسب الدلالة و المعنى من بين تلك المصنوعات الواردة في الآية ، فكان الوصف الأنسب لها أن توصف بـ ﴿رَاسِيَاتٍ﴾ المجموعة بألف وتاء زائدتين نكرة دالة على القلة، و لو أراد الله لها الكثرة مع الضخامة لقال سبحانه: (وقدور رواسي) ولا ملزم على الله .

٤ . قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾ [المرسلات ٢٧] .

نجد في هذه الآية بعض القرائن المعنوية الدالة على أن كلمة ﴿شَامِخَاتٍ﴾ جاءت دالة على القلة على قاعدة النحاة ، و إن كانت في محل نصب صفة لـ ﴿ رَوَاسِيَ ﴾ و التي هي جمع كثرة، و من القرائن الدالة على ذلك ما ذكره الإمام الطبري في تفسير هذه الآية حيث قال : " حدثني

(١) ينظر : لسان العرب . ٥/ ٨٠

عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ يقول: جبالا مشرفات." [1] و المشرفات من الجبال قليل؛ إذ لو كثرت لما كان الشرف فيها مزية تمتاز بها عن غيرها، كما أن في قوله تعالى : ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ قرينة معنوية أخرى؛ فهي معطوفة على قوله تعالى: ﴿رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ ﴾ والعطف بالواو يقتضي المشاركة، و الفرات الماء العذب، و قد جاء في الحديث الصحيح أن في الأرض أربعة أنهار من أنهار الجنة ، جاء في صحيح مسلم : عن أَبِي هريرة رضي الله عنه قال ،قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : (سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ) . [2]

فلما ذكر الله سبحانه الجبال المشرفات ، أعقب سبحانه و تعالى ذلك بذكر الماء الفرات العذب الصافي ، و بما أن الأنهار ذات الماء الفرات قليلة إذ هي أربعة كما جاء في الحديث،فالراجح أن الجبال الشامخات المشرفات قليلة أيضا ومنها جبل أحد؛ ولهذا وصف الله تلك الرواسي بـ ﴿شَامِخَاتٍ ﴾ مجموعة بألف و تاء زائدتين منكرة دالة على القلة على قاعدة النحاة .

والله أعلم ...

(١) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن للطبري . ٢٤ / ١٣٥

(٢) ينظر : شرح صحيح مسلم . ٧ / ٦

المبحث الثاني : ما دل على الكثرة بوجود قرينة لفظية أو معنوية .

في هذا المبحث من هذا الفصل ، أورد بإذن الله تعالى بعض القرائن اللفظية والمعنوية، التي لها الأثر الواضح في دلالة ما جمع بألف وتاء زائدتين على الكثرة وإن جاء في بعض المواضع بلفظ القلة. ومن تلك القرائن الآتي :

أولاً : ما دل على الكثرة بوجود قرينة لفظية .

قال أبو حيان عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة ١٨٩] :" والضَّمير في: أبوابها، عائد على البيوت. وعاد كضمير المؤَنَّث الواحدة، لأنَّ البيوت جمع كثرة، وجمع المؤنَّث الَّذي لا يعقل فرّق فيه بين قليله وكثيره، فالأفصح في قليله أن يجمع الضَّميرُ، والأفصح في كثيره أن يفرد. كهو في ضمير المؤنَّث الواحدة، ويجوز العكس". وقال في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ متعقبا قول الزمخشري حين جعل المعنى: (جماعة أزواجٍ مطهَّرة) ، فقال: " إنَّ جمع ما لا يعقل، إمَّا أن يكون جمع قلَّةٍ، أو جمع كثرةٍ، فإن كان جمع كثرةٍ فمجيء الضَّمير على حدِّ ضمير الواحدة أولى من مجيئه على حدِّ ضمير الغائبات، وإن كان جمع قلَّة فالعكس ".[1] و منه نفهم أن عود الضمير بالمفرد على جمع مالا يعقل إذا دل على الكثرة أولى في لغة العرب.

(١) ينظر : البحر المحيط . لأبي حيان . ١ / ١٨٩ و ٢ / ٢٣٩

وذكر الفراء لهذه القاعدة سرًّا لطيفاً، وهو أنَّ المميّز مع جمع الكثرة ـ وهو ما زاد على العشرة ـ لما كان واحداً وحّد الضمير. ومع القلّة ـ العشرة وما دونها ـ لما كان المميِّز جمعاً جمع الضمير.[1]

لذلك نجد قرينة الربط بعود الضمير جليه واضحة في كثير من المواضع التي جاء فيها الجمع بألف وتاء دالاً على القلة على قاعدة النحاة وهو في موضع الكثرة؛ مما يدل على أن ذلك الجمع يقصد به الكثرة و إن كان بلفظ القلة. ومن تلك المواضع الآتي :

١ ـ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ [البقرة ٩٩]

في هذه الآية نجد أن الضمير في قوله ﴿ بِهَا ﴾ عاد على الآيات، وهذا يدل على كثرتها، وقد رأينا عود الضمير المفرد في ﴿ بِهَا ﴾ على الآيات ، فيما سبق وهذا يدل على كثرتها، و إنما جاءت بلفظ القلة؛ لغرض بلاغي هو لفت الانتباه إلى وضوح تلك الآيات التي كذب بها المشركون؛ لذلك جاءت الآيات موصوفة بقوله:﴿بَيِّنَاتٍ﴾ للدالة على القلة أيضاً؛ مما يدل على عنادهم و تكبرهم على الحق مع جلائه و وضوح آياته .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾ [ق ١٠]

في هذه الآية أيضا نجد ضمير الغائبة في قوله:﴿ لَهَا ﴾ عائد على ﴿النَّخْلَ﴾ ، والنخل اسم جنس، فيجوز أَنْ يذكَّرَ، نحو قوله:﴿ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ [القمر : ٢٠] ، وأَنْ يؤَنَّث نحو قوله تعالى:﴿ نَخْلٍ خاوِيَةٍ﴾ [الحاقة : ٧]، وأن يجمع، ومنه قوله تعالى : ﴿والنخل بَاسِقَاتٌ﴾.[2] فلما قصد به الجمع في هذا الموضع عاد الضمير عليه بالإفراد؛ ليدل على الكثرة، و لا يقول عاقل إن النخل قليل؛ لذلك جاءت كلمة ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ في هذا الموضع دالة على القلة لحكمة

(١) ينظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران). ٣ / ٤٦٩

(٢) ينظر : البحر المحيط . لأبي حيان . ٩ / ٥٣١

بلاغية، هي أن البسوق حالة واحدة من أحوال النخل المتعددة ، كما أنها حالة مقدرة؛ لذلك عبر عنها بلفظ القلة؛ ليفهم السامع أن هناك الكثير من الأحوال التي لم تذكر و لم تعرف .

٣ . قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾ [فصلت ٤٧]

نجد في الآية أن كلمة ﴿ ثَمَرَاتٍ﴾ جاءت دالة على القلة على قاعدة النحاة، إلا أن الضمير عاد عليها بالمفرد في قوله: ﴿أَكْمَامِهَا ﴾، فهي دالة على الكثرة و إن كانت بلفظ القلة؛ كما أن لمجيئها في أسلوب التنصيص بـ ﴿ مَا ﴾ النافية و ﴿ مِنْ ﴾ الزائدة ، ما يدل على الاستغراق في العموم ؛ إذ إن كل الثمرات لا بد أن تخرج من أكمامها وهذا من التفنن والإعجاز في الأسلوب القرآني البديع.

ثانياً : ما دل على الكثرة بوجود قرينة معنوية .

١ . قال تعالى :﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام ١٤١]

في هذه الآية نجد كلمة ﴿جَنَّاتٍ﴾ جاءت دالة على القلة؛ إذ هي جمع بألف وتاء نكرة على قاعدة النحاة ، إلا إننا نجد هناك قرينة معنوية تجعلها دالة على الكثرة ، وإن كانت بلفظ القلة ، وهي قرينة التبعية ، والتي يفهم منها ارتباط التابع بالمتبوع ، والتبعية في هذه الآية هي الصفة في قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ حيث إن كلمة ﴿جَنَّاتٍ﴾ عندما وصفت بهاتين الصفتين ﴿ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ دلت بذلك على جميع جنات العنب ؛ إذا لا تخلو جنات الأعناب من أن تكون على إحدى هاتين الصفتين؛ لذا فقد عمت وصارت للكثير بوصفها بهاتين الصفتين.

٢ . قال تعالى﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد ٤].

في الآية السابقة نجد أن كلمة ﴿ مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾ قد جاءت جمعاً بألف وتاء نكرة دالة على القلة على قاعدة النحاة، إلا أنها في موضع الكثرة؛ إذ هي صفة لكلمة ﴿ قِطَعٌ ﴾ جمع كثرة لـ (قطعة) وهي الجزء.(١) إلا أن هناك قرينة معنوية تفهم من سياق الآية تدل على أن المعنى المقصود هو الكثرة، وهذه القرينة هي أيضاً قرينة التبعية (الصفة) فقد وصفت كلمة﴿قِطَعٌ ﴾ بصفة واحدة هي قوله: ﴿ مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾ و المعنى ـ و العلم عند الله ـ يقتضي صفة ثانية هي: (وغير متجاورات)، وإنما خصت المتجاورات بالذكر هنا؛ لإظهار قدرة الله في اختلاف مذاق الأكل فيها مع قربها وتجاورها؛ لذلك قيدت كلمة ﴿ قِطَعٌ ﴾ بصفة ﴿مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾ لهذا الغرض البلاغي. و قد أشار النحاس في معانيه إلى هذا المعنى فقال : " أن في الكلام حذفا والمعنى وفي الأرض قطع متجاورات وغير متجاورات كما قال سرابيل تقيكم الحر والمعنى وتقيكم البرد ثم حذف ذلك لعلم السامع ".(٢)

هذا وصلى الله على نبينا محمد .

(١) ينظر : الجدول في إعراب القرآن الكريم . ١٣ / ٨٩

(٢) ينظر : معاني القرآن للنحاس . ٣ / ٤٦٩

الخاتمة :

الحمد لله الذي أتم عليَّ النعمة ، وأعانني على إتمام هذا البحث ، والذي صحبت فيه كتاب الله عز وجل ، الذي لا تنتهي عجائبه، ولا تمل مصاحبته، و لا يُسأم من كثرة الترداد عليه.

كما تشرفت بمصاحبة كتبِ و آثارِ علماء أجلاء، بذلوا جهدهم في خدمة كتاب الله، وأفنوا أعمارهم يكشفون شيئاً من أسراره و عجائبه .

و بعد هذه الرحلة الماتعة و التطواف الرحيب في كتاب الله العزيز ، والذي جمعت فيه الكلمات التي جمعت بألف وتاء زائدتين ، و بيَّنتُ ما جاء منها دالاً على القلة ، و ما جاء منها دالاً على الكثرة، وما جاء دالاً على القلة في موضع الكثرة والعكس، و ذكرت بعض القرائن التي اهتديت إليها، لفظية كانت أو معنوية ، والتي كان لها الأثر في تحديد دلالة القلة والكثرة في بعض المواضع التي جاء فيها المجموع بألفٍ وتاء للقلة في موضع الكثرة أو العكس ؛ لأخرج في نهاية هذا البحث بنتائج كان من أبرزها الآتي :

أولاً : ورد في القرآن الكريم أكثر من أربعةٍ و عشرين وثمان مئة كلمة مجموعة بالألف والتاء الزائدتين. وقد جاءت من حيث دلالتها على القلة والكثرة على النحو الآتي :

١ . ورد في القرآن الكريم أكثر من اثنين وستين كلمة مجموعة بألف وتاء زائدتين كلها نكرات تدل على القلة على قاعدة النحاة .

٢ . ورد في القرآن الكريم أكثر من خمس مئة و تسع كلمات مجموعة بألف وتاء زائدتين، تدل على الكثرة على قاعدة النحاة، منها مئتان وثلاث وثلاثون كلمة عرفت بأل الاستغراقية، ومئتان وستة وسبعون كلمة جاءت مضافةً إلى ما يدل على الكثرة.

٣ . ورد في القرآن الكريم أكثر من أربع و ثمانين كلمة مجموعة بألف وتاء زائدتين، دلت على القلة على قاعدة النحاة، وهي في موضع الكثرة.

٤ . ورد في القرآن الكريم أكثر من مئة وثلاث وتسعين كلمة مجموعة بألف وتاء زائدتين، دلت على الكثرة على قاعدة النحاة، و هي في موضع القلة.

ثانياً : النتائج المتعلقة بالقلة والكثرة فيما جمع بألف و تاء زائدتين في القرآن الكريم .

١ . أثبت البحث أن في القرآن الكريم كلمات قد جمعت بألف و تاء زائدتين، و هي نكرات، و قد دلت على القلة على قاعدة النحاة، منها ما جاء مميزاً لعدد من أعداد القلة. مثل:

ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [الإسراء ١٠١]

ـ قوله تعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت ١٢]

ومنها ما جاء صفة لجمع يصلح للقلة والكثرة؛ فجاء ما جمع بألف و تاء صفة له؛ ليخصه بالقلة دون الكثرة . مثل:

ـ قوله تعالى : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴾ [الحج آية ٢٨]

ـ قوله تعالى:﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ﴾ [فصلت ١٦]

٢ . أثبت البحث مجيء الكثير من الكلمات المجموعة بألف و تاء زائدتين في القرآن الكريم، دالة على الكثرة على قاعدة النحاة. وذلك أنها أما عُرفت بأل الاستغراقية أو أضيفت إلى ما يدل على الكثرة.

٣ . أثبت البحث أن في القرآن الكريم كلمات مجموعة بألف وتاء زائدتين، قد دلت على القلة على قاعدة النحاة، وهي في موضع الكثرة ؛ وذلك لأغراض بلاغية وتفننٍ في الأسلوب القرآني، أو أن سياق الكلام في الآيات يخرجها في كثير من المواضع لتدل على العموم و الكثرة، ومن أمثلة ذلك:

ـ قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام ١٤١] ؛ إذ المقصود بالجنات حدائق الأعناب، والتي لا تخلو من أن تكون إما معروشات أو غير معروشات، فهي بهذه الصفتين تعم جميع حدائق الأعناب؛ لذا كثرت جنات الأعناب بهاتين الصفتين، وهذا من تفنن الأسلوب القرآني .

ـ قال تعالى:﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الأحقاف ١٩]؛ إذ أن الدرجات يقصد بها المراتب والمنازل، ولما أسندت إليها كلمة (كل) الدالة على العموم عمت وكثرت بذلك.

٤ . أثبت البحث أنه قد ورد في القرآن الكريم كلمات مجموعة بألف و تاء زائدتين، دالةً على الكثرة على قاعدة النحاة وهي في موضع القلة؛ وذلك أن سياق الكلام والنظم القرآني يجعلها دالة على القلة، و إنما جاءت بدلالة الكثرة لأغراضٍ بلاغية منها التعظيم كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود ١١٤] .

حيث جاءت (أل) التعريفية في ﴿الْحَسَنَاتِ﴾ و المقصود بها الصلوات الخمس لتعظيم أمرها وجلالة قدرها وعلو شأنها ومكانتها. و كما في قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[الحجرات ٤] فالحجرات يقصد بها حجرات نساء النبي صلى الله

عليه وسلم ، وإنما جاءت معرفة بأل لتعظيم شأنها و حرمتها، قال صاحب الكشاف:" ولكنها جمعت إجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم و لمكان حرمته ".[1]

٥ . أثبت البحث أثر القرينة اللفظية والمعنوية في تحديد دالة القلة والكثرة، خاصة في المواضع التي جاء فيها المجموع بألف وتاء دالاً على القلة في موضع الكثرة أو العكس. ومن أمثلة القرائن:

ـ قرينة المطابقة بين العدد والمعدود، قال تعالى:﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [المؤمنون ٨٦]

ـ قرينة مبنى الصيغة الصرفية، كما في قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن ٧٢]

ـ قرينة التبعية، كما في قوله تعالى: ﴿ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ [الأَنعام ١٤١]

ثالثاً : نتائج البحث العامة.

١ ـ أثبت البحث أن ما جُمع بألف وتاء زائدتين هو من جموع القلة.

٢ ـ أثبت البحث أن ما جُمع بألف وتاء زائدتين إذا قُرِن بـ (أل) الاستغراقية أو أضيف إلى ما يدل على الكثرة انصرف بذلك إلى الكثرة، وأصبح لا يخص القليل.

٣ ـ أثبت البحث أن ما جُمع بألف وتاء زائدتين قد ورد في القرآن الكريم دالاً على الكثرة وهو بصيغة القلة و العكس وذلك لأغراض بلاغية و تفنن في الأسلوب القرآني المعجز.

٤ . أثبت البحث أن القرينة المعنوية و اللفظية ذات أثر واضحٍ، في تحديد دلالة ما جمع بألف وتاء زائدتين على القلة أو الكثرة في النص القراني.

---

(١) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل . للزمخشري . ٤ / ٣٥٧

وفي الختام فهذا جهد مقل ، فإن وفقت فالفضل لله وحده و إن كان غير ذلك، فحسبي أني اجتهدت، ومهدت الطريق لمن بعدي؛ للبحث في بعض أسرار وعجائب كتاب الله عز وجل.

والله أسأل أن يوفق الجميع إلى ما يحب و يرضى.

و صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

و الحمد لله رب العالمين.

الملحقات

- جداول الكلمات .
- فهرس الآيات .
- فهرس المراجع و المصادر.
- فهرس الأبحاث والدوريات
- فهرس الموضوعات.

أولاً : الكلمات التي وردت في القرآن الكريم مجموعة بألف وتاء دالة على القلة.

م	الكلمة	عددها في القرآن	الصفحة
١	آيات	٣٢	٣٠
٢	سماوات	٥	٣٤
٣	بقرات	١	٣٨
٤	سنبلات	١	٣٨
٥	يابسات	١	٣٨
٦	شهادات	٢	٤٠
٧	مرات	١	٤٢
٨	عورات	١	٤٢
٩	ظلمات	١	٤٤
١٠	محكمات	١	٤٥
١١	متشابهات	١	٤٥
١٢	مسلمات	١	٤٨
١٣	مؤمنات	٣	٤٨
١٤	قانتات	٢	٤٨

م	الكلمة	عددها في القرآن	الصفحة
١٥	تائبات	١	٤٨
١٦	عابدات	١	٤٨
١٧	سائحات	١	٤٨
١٨	ثيبات	١	٤٨
١٩	معدودات	٢	٤٩
٢٠	معلومات	٢	٥٥
٢١	نحسات	١	٥٩

ثانياً : الكلمات التي وردت في القرآن الكريم مجموعة بألف وتاء دالةً على الكثرة.

م	الكلمة	عددها في القرآن	الصفحة
١	الأمانات	١	٦٢
٢	الآيات	٣٣	٦٤
٣	الثمرات	١٢	٦٦
٤	الحسنات	١	٧١
٥	الخيرات	٩	٧٣

م	الكلمة	عددها في القرآن	الصفحة
٦	الدرجات	٢	٧٧
٧	الذاريات	١	٨٢
٨	الحاملات	١	٨٢
٩	الجاريات	١	٨٢
١٠	المقسمات	١	٨٢
١١	السيئات	١٥	٨٣
١٢	الشهوات	٣	٨٧
١٣	الصافات	١	٩٠
١٤	الزاجرات	١	٩٠
١٥	التاليات	١	٩٠
١٦	الصافنات	١	٩٢
١٧	الصالحات	٦٠	٩٤
١٨	الصدقات	٦	١٠٣
١٩	الطيبات	١٢	١٠٥
٢٠	الظلمات	١٣	١٠٩

م	الكلمة	عددها في القرآن	الصفحة
٢١	العاديات	١	١١٣
٢٢	الموريات	١	١١٣
٢٣	المغيرات	١	١١٣
٢٤	المحصنات	٧	١١٤
٢٥	المرسلات	١	١٢٠
٢٦	العاصفات	١	١٢٠
٢٧	الناشرات	١	١٢٠
٢٨	الفارقات	١	١٢٠
٢٩	الملقيات	١	١٢٠
٣٠	المسلمات	١	١٢٢
٣١	المؤمنات	١٨	١٢٢
٣٢	القانتات	١	١٢٢
٣٣	الصادقات	١	١٢٢
٣٤	الصابرات	١	١٢٢
٣٥	الخاشعات	١	١٢٢
٣٦	المتصدقات	١	١٢٢

٣٧	الكلمة	عددها في القرآن	الصفحة
٣٨	الصائمات	١	١٢٢
٣٩	الحافظات	١	١٢٢
٤٠	المشركات	٣	١٢٣
٤١	المطلقات	١	١٢٥
٤٢	المنافقات	٥	١٢٧
٤٣	المنشآت	١	١٢٨
٤٤	النازعات	١	١٢٩
٤٥	الناشطات	١	١٢٩
٤٦	السابحات	١	١٢٩
٤٧	السابقات	١	١٢٩
٤٨	المدبرات	١	١٢٩
٤٩	النفاثات	١	١٣١
٥٠	الوالدات	١	١٣٢
٥١	أمهاتكم / أمهاتهم	١١	١٣٣

م	الكلمة	عددها في القرآن	الصفحة
٥٢	بناتكم / بناتي / بنات عمك / بنات خالك	١١	١٣٣
٥٣	أخواتكم / أخواتهن	٥	١٣٣
٥٤	عماتكم	٣	١٣٣
٥٥	خالاتكم	٣	١٣٣
٥٦	آيات الكتاب	٧	١٣٥
٥٧	آيات الله	٤٢	١٣٧
٥٨	آيات (ربهم/ ربنا / ربك / ربكم / ربه)	١٧	١٣٧
٥٩	آياتنا	٩٢	١٣٧
٦٠	آياته	٣٨	١٣٧
٦١	آياتي	١٤	١٣٧
٦٢	ثمرات النخيل	٢	١٤١
٦٣	جنات عدن	١١	١٤٣
٦٤	جنات الفردوس	١	١٤٤
٦٥	خطوات الشيطان	٥	١٤٦
٦٦	روضات الجنات	١	١٤٨
٦٧	غمرات الموت	١	١٤٤٩

م	الكلمة	عددها في القرآن	الصفحة
٦٨	فتياتكم	٢	١٥١
٦٩	قاصرات الطرف	٣	١٥٢
٧٠	كلمات الله	٦	١٥٣
٧١	همزات الشياطين	١	١٥٥

ثالثاً: الكلمات التي وردت في القرآن الكريم مجموعة بألف وتاء دالة على القلة في موضع الكثرة .

م	الكلمة	عددها في القرآن	الصفحة
١	آيات	١٥	١٥٩
٢	باسقات	١	١٦٧
٣	ثمرات	٢	١٦٨
٤	جنات	٤٢	١٧٠
٥	درجات	١٢	١٧٤
٦	راسيات	١	١٧٨
٧	سابغات	١	١٨١
٨	شامخات	١	١٨٣
٩	صافات	٢	١٨٦

م	الكلمة	عددها في القرآن	الصفحة
١٠	ظلمات	٣	١٨٧
١١	متجاورات	١	١٩٢
١٢	معدودات	١	١٩٣
١٣	مقصورات	١	١٩٥
١٤	مهاجرات	١	١٩٧

رابعاً : الكلمات التي وردت في القرآن الكريم دالة على الكثرة في موضع القلة .

م	الكلمة	عددها في القرآن	الصفحة
١	الآيات	١	١٩٩
٢	البينات	٢	٢٠١
٣	الحجرات	١	٢٠٤
٤	الحسنات	١	٢٠٦
٥	السماوات	١٨٥	٢٠٨
٦	الصلوات	١	٢١٢
٧	الظلمات	١	٢١٣
٨	المؤتفكات	٢	٢١٥

فهرس

الآيات القرآنية

أولاً : الآيات التي وردت في الفصل الأول ـ المبحث الأول ـ

م	الآية	الصفحة
١	قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء ١٠١]	٢٦
٢	قال تعالى :﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [النمل الآية ١٢]	٢٦
٣	قال تعالى :﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴾ [الأعراف ١٣٣]	٢٦
٤	قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة ١٦٤]	٢٩
٤	قال تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[البقرة آية ٢٩].	٣٠
٥	قال تعالى :﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [فصلت آية ١٢]	٣٠
٦	قال تعالى :﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [يوسف ٤٣]	٣٤

م	الآية	الصفحة
٧	قال تعالى :﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [النور ٦]	٣٦
٨	قال تعالى :﴿ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[النور الآية ٨]	٣٦
٩	قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ﴾[النور ٥٨]	٣٨
١٠	قال تعالى:﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر٦]	٤٠
١١	قال تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران ٧]	٤١
١٢	قوله تعالى :﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم ٥].	٤٤
١٣	قال تعالى:﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ..الآية ﴾[البقرة ١٨٣-١٨٤]	٤٥

م	الآية	الصفحة
١٤	قال تعالى:﴿ وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[البقرة ٢٠٣]	٤٨
١٥	قال تعالى :﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة ١٩٧]	٥١
١٦	قال تعالى:﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾[الحج٢٨]	٥٤
١٧	قال تعالى :﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [فصلت ١٦].	٥٥

ثانياً : الآيات التي وردت في الفصل الأول ـ المبحث الثاني ـ

م	الآية	الصفحة
١	قال تعالى:﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمَ بيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء ٥٨]	٥٨
٢	قال تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة ١١٨]	٦٠
٣	قال تعالى:﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢٢]	٦٢
٤	قال تعالى:﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [محمد ١٥]	٨١
٥	قال تعالى:﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف ١٦٨]	٨٣
٦	قال تعالى:﴿لَيْسُو اسَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران١١٣ ـ ١١٤]	٨٦
٧	قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء٧٣]	٨٨
٨	قوله تعالى:﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَ وجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُا الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التوبة ٨٨]	٩٠

م	الآية	الصفحة
٩	قال تعالى:﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا﴾ [طه ٧٥]	٩١
١٠	قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ [غافر:١٥]	٩٤
١١	قوله تعالى: ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) ﴾ [الذاريات ١ – ٤]	٩٦
١٢	قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل ٤٥].	٩٨
١٣	قال تعالى :﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران ١٤]	١٠٣
١٤	قال تعالى: ﴿ وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء ٢٧]	١٠٣
١٥	قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم ٥٩]	١٠٣
١٦	قال تعالى: ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) ﴾ [الصافات ١ ـ ٤]	١٠٦

م	الآية	الصفحة
١٧	قوله تعالى :﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾ [ص ٣٠ - ٣١]	١٠٨
١٨	قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [البقرة ٢٥] .	١١١
١٩	قال تعالى :﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء ٩]	١١١
٢٠	قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا ﴾ [طه ٧٥]	١١١
٢١	قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء:١٢٤].	١١٥
٢٢	قال تعالى :﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَ لَا هَضْمًا﴾ [طه:١١٢].	١١٦
٢٣	قال تعالى:﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤].	١١٦
٢٤	قال تعالى:﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء ٣٤]	١١٨

م	الآية	الصفحة
٢٥	قال تعالى: ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة ٢٧١]	١٢٠
٢٦	قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ ﴾ [المائدة ٤]	١٢٢
٢٧	قال تعالى: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور ٢٦]	١٢٤
٢٨	قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الإسراء ٧٠]	١٢٥
٢٩	قال تعالى: ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّار هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة ٢٥٧]	١٢٨
٣٠	قال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام١]	١٢٩
٣١	قال تعالى: ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣)﴾ [العاديات ١ – ٣]	١٣١
٣٢	قال تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء ٢٤]	١٣٣
٣٣	قال تعالى:﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ [المائدة ٥]	١٣٤
٣٤	قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ [النور ٤]	١٣٤

م	الآية	الصفحة
٣٥	قال تعالى: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) ﴾ [المرسلات ١ – ٥]	١٣٩
٣٦	قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٣٥]	١٤٢
٣٧	قال تعالى :﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ [البقرة ٢٢١]	١٤٣
٣٨	قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة ٢٢٨]	١٤٥
٣٩	قال تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [التوبة ٦٧]	١٤٧
٤٠	قال تعالى: ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ [الرحمن ٢٤]	١٤٨
٤١	قال تعالى: ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) ﴾ [النازعات ١ – ٥]	١٥٠
٤٢	قال تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفلق ٤]	١٥٢
٤٣	قال تعالى:﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة ٢٣٣]	١٥٣

ثالثاً : الآيات التي وردت في الفصل الثاني ـ المبحث الأول ـ

م	الآية	الصفحة
١	قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ [البقرة ٩٩]	١٨٢
٢	قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [النور ٣٤]	١٨٥
٣	قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النور ٤٦]	١٨٥
٤	قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ [يوسف ٧]	١٨٧
٥	قال تعالى:﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات٢٠]	١٨٧
٦	قوله تعالى:﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾ [ق ١٠]	١٩١
٧	قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر ٢٧]	١٩٣
٨	قال تعالى:﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ [فصلت ٤٧]	١٩٤
٩	قال تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [البقرة ٢٥]	١٩٧

م	الآية	الصفحة
١٠	قال تعالى :﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأَنعام ١٤١]	١٩٩
١١	قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ... الآية ﴾ [البقرة ٢٥٣]	٢٠٢
١٢	قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأَحقاف ١٩]	٢٠٧
١٣	قال تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ ١٣]	٢٠٨
١٤	قال تعالى :﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ ١٠ - ١١]	٢١١
١٥	قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾[المرسلات ٢٧].	٢١٤
١٦	قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ [الملك ١٩].	٢١٨
١٧	قال تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة ١٧]	٢٢٠

م	الآية	الصفحة
١٨	قال تعالى :﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد ٤]	٢٢
١٩	قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران ٢٤]	٢٢٨
٢٠	قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن ٧٠ . ٧٢]	٢٣٠
٢١	قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [الممتحنة ١٠]	٢٣٣

رابعاً : الآيات التي وردت في الفصل الثاني ـ المبحث الثاني ـ

م	الآية	الصفحة
١	قال تعالى:﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[يوسف ٣٥]	٢٣٥
٢	قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ ...الآية [النساء ١٥٣]	٢٣٧

م	الآية	الصفحة
٣	قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[الحجرات ٤]	٢٤١
٤	قوله تعالى :﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود ١١٤] .	٢٤٤
٥	قال تعالى :﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[الإسراء ٤٤]	٢٤٧
٦	قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[المؤمنون ٨٦]	٢٤٧
٧	قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر ٦٧]	٢٤٧
٨	قال تعالى:﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة ٢٣٨]	٢٥٢
٩	قال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء ٨٧]	٢٥٤
١٠	قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [التوبة ٧٠].	٢١٥
١١	قوله تعالى:﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴾[الحاقة ٩].	٢١٥

فهرس

المراجع والمصادر

م	المرجع و المصدر
١	**القرآن الكريم** .
٢	**الأحكام في أصول الأحكام** .لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلس القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، المحقق :الشيخ أحمد محمد شاكر. الناشر: دار الآفاق الجديدة. بيروت . ج : ٨
٣	**أسرار النحو** . لشمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا . تحقيق : أحمد حسن حامد. الناشر: دار الفكر. ط : ٢ / ١٤٢٢ هـ
٤	**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** . لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت : ١٣٩٣هـ) . الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ .
٥	**إعراب القرآن:** لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ) . وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ـ الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت . ط : ١ /١٤٢١ هـ
٦	**إعراب القرآن وبيانه:** لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ) ،الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، ط :٤
٧	**أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط: ١ – ١٤١٨ هـ
٨	**البحر المحيط** : لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر : دار الفكر – بيروت
٩	**البديع في علم العربية** : لمحي الدين ابن الاثير (ت ٦٠٦هـ). تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد علي الدين . الناشر : مركز إحياء التراث الاسلامي ط: ١، ١٤٢٠هـ.

م	المرجع و المصدر
١٠	**التبيان في إعراب القرآن:** لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ). المحقق : علي محمد البجاوي . الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه ج : ٢
١١	**التحرير والتنوير** «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» : لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) . الناشر : الدار التونسية للنشر تونس . سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
١٢	**تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد** : لمحمد بن عبدالله بن مالك الطباني اللجياني أبي عبدالله جمال الدين (ت٦٧٢). المحقق : محمد كامل بركات الناشر: دار الكتاب العربي ١٣٨٧هـ
١٣	**تفسير بحر العلوم:** لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي. (ت: ٣٧٣هـ).
١٤	**تفسير الجلالين:** لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) . الناشر: دار الحديث – القاهرة . ط : ١ .
١٥	**تفسير القرآن** : لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى : ٦٦٠ هـ) .المحقق : الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي .الناشر : دار ابن حزم – بيروت .ط :١-١٤١٦ هـ
١٦	**تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار:** لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني الحسيني (ت : ١٣٥٤هـ) . الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٩٠ م . ج : ١٢
١٧	**تفسير القرآن العظيم:** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). المحقق: سامي بن محمد سلامة . الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع . ط :٢ ـ ١٤٢٠هـ ج : ٨

م	المراجع والمصادر
١٨	**تفسير مقاتل بن سليمان:** لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته . الناشر: دار إحياء التراث – بيروت . ط: ١ /١٤٢٣ هـ .
١٩	**توجيه اللمع – شرح كتاب اللمع لابن جني** : لأحمد بن الحسين بن الخباز ، الناشر : دار السلام – مصر ١٤٢٨هـ
٢٠	**التوطئة** :لأبي علي عمر بن محمد بن عمر بن عبدالله الازدي ، المعروف بالشلوبين ، الأندلسي الاشبيلي النحوي.
٢١	**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. (ت: ١٣٧٦هـ). المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق . الناشر:مؤسسة الرسالة. ط:١/١٤٢٠هـ
٢٢	**جامع البيان في تأويل القرآن:** لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (ت : ٣١٠هـ). المحقق: أحمد محمد شاكر.الناشر: مؤسسة الرسالة . ط:١/ ١٤٢٠ هـ ج : ٢٤
٢٣	**الجامع الكبير – سنن الترمذي:** لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (ت: ٢٧٩هـ). المحقق: بشار عواد معروف . الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ـ ١٩٩٨ م . ج : ٦
٢٤	**الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١هـ). تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش . الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة . ط : ٢ ـ ١٣٨٤هـ
٢٥	**الجدول في إعراب القرآن الكريم:** لمحمود بن عبد الرحيم صافي (ت : ١٣٧٦هـ) . الناشر: دار الرشيد، دمشق . . ط : ٤ ـ ١٤١٨ هـ . ج : ٣١

م	المراجع والمصادر
٢٦	**الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** : لأبي العباس، شهاب الدين، المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) . المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط . الناشر: دار القلم، دمشق. ج : ١١
٢٧	**روح البيان:** لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبي الفداء . (ت: ١١٢٧هـ). الناشر: دار الفكر – بيروت .
٢٨	**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ). المحقق: علي عبد الباري عطية . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت . ط: ١ ـ ١٤١٥ هـ . ج : ١٦
٢٩	**زاد المسير في علم التفسير:** لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. (ت: ٥٩٧هـ) . المحقق: عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت. ط: ١ / ١٤٢٢ هـ
٣٢	**شرح الأشموني على ألفيه ابن مالك:** لعلي بن محمد بن عيسى ، أبي الحسن ، نور الدين الاشموني الشافعي (ت :٩٠٠هـ) الناشر: دار الكتب العملية بيروت . لبنان. ط : ١/ ١٤١٩هـ
٣٠	**شرح أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك:** لعبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله ابن يوسف ابو محمد جمال الدين ، ابن هشام (ت:٧٦١هـ). المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي . الناشر:دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
٣١	**شرح ابن عقيل على ألفيه ابن مالك** : لعبدالله بن عبدالرحمن العقيل الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ) المحقق : محمد محي الدين عبدالحميد . الناشر دار التراث. القاهر. ط:٢٠ / ١٤٠٠ هـ. ج: ٤
٣٣	**شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك** : لابن الناظم أبي عبدالله بدر الدين . الناشر دار الكتب العلمية . المحقق: محمد باسل عيون السود. ط : ١ / ١٤٢٠ هـ
٣٤	**شرح جمل الزجاجي:** لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن خروف الاشبيلي. (ت ٦٠٩هـ). تحقيق : فواز الشعار . الناشر: دار الكتب العلمية . ١٤١٩ هـ . ط: ١ . ج: ٣

م	المراجع والمصادر
٣٥	**شرح الرضي لكافية ابن الحاجب:** لمحمد بن الحسن الإستراباذي السمنائي النجفي الرضي (ت: ٦٨٦ هـ) تحقيق : محمد نور الحسن ،و محمد محي الدين عبدالحميد . الناشر: دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٠٢ هـ . ط:١ ج : ٤
٣٦	**شرح الكافية الشافية:** لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبي عبد الله، جمال الدين (ت: ٦٧٢هـ) المحقق: عبد المنعم أحمد هريدي .الناشر: جامعة أم القرى. ط: ١ .ج : ٥ .
٣٧	**شرح المفصل للزمخشري** : ليعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي أبو البقاء موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش.(ت: ٦٤٣هـ). الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . ط: ١ ـ ١٤٢٢ هـ . ج : ٦
٣٨	**شرح صحيح مسلم** : لأبي الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري .
٣٩	**شرح كتاب سيبويه:** لأبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي .(ت : ٣٦٨) . حققه : أحمد حسن مهدلي . طبعة : دار الكتب العلمية : ٢٠٠٨ م .
٤٠	**الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها** : لأحمد بن فارس القزويني الرازي أبو الحسن (المتوفى : ٣٩٥هـ) . علق عليه و وضع حواشيه: أحمد حسن بسج . الناشر : محمد علي بيضون الطبعة : ١ – ١٤١٨ هـ
٤١	**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:** لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. ت : ٣٩٣هـ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. الناشر: دار العلم للملايين بيروت . ط : ٤ / ١٤٠٧ هـ . ج : ٦
٤٢	**صحيح البخاري:** لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي . المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر . الناشر: دار طوق النجاة . ط : ١ ـ ١٤٢٢هـ
٤٣	**فتح القدير:** لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ). الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت . ط: ١ – ١٤١٤ هـ
٤٤	**الفصول الخمسون** . لابن عبد المعطي يحي بن عبد المعطي المغربي . ص: ١٦٢

م	المراجع والمصادر
٤٥	**كتاب الواضح**: لأبي بكر الزبيدي الاشبيلي النحوي ، تحقيق أ. د عبدالكريم خليفة ، دار جليفة .
٤٦	**الكتاب لسيبويه** : لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: مكتبة الخانجي. القاهرة. ط : ٣ ـ ١٤٠٨ هـ
٤٧	**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) . الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت . ط : ٣ – ١٤٠٧ هـ
٤٨	**اللامات**: لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي أبو القاسم. (ت: ٣٣٧هـ) . المحقق: مازن المبارك . الناشر: دار الفكر – دمشق . ط : ٢ ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ، ج : ١
٤٩	**اللباب في علل البناء و الإعراب** :لأبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري البغدادي محب الدين (ت ٦٦٦هـ) المحقق: د. عبدالإله النبهان. الناشر: دار الفكر . دمشق ط:١/ ١٤١٦هـ
٥٠	**اللباب في علوم الكتاب**: لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ). المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان . ط : ١ ـ ١٤١٩ هـ . ج : ٢٠
٥١	**لسان العرب**: لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقى (ت: ٧١١هـ) ، الناشر: دار صادر – بيروت ، ط: ٣ – ١٤١٤ هـ . ج : ١٥
٥٢	**اللمع في العربية** . لابي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت. ٣٩٢هـ) المحقق: فائز فارس. للناشر : دار الكتب الثقافية – الكويت. ج : ١
٥٣	**محاسن التأويل المؤلف**: لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي. (ت : ١٣٣٢هـ). المحقق : محمد باسل عيون السود. الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت. ط : ١ – ١٤١٨ هـ

م	المراجع والمصادر
٥٤	**المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢ هـ) .الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ط: ١٤٢٠ هـ .ج : ٢
٥٥	**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت : ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت . ط : ١
٥٦	**المسائل الحلبيات** . للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي أبو علي . الناشر: دار القلم – دمشق ١٤٠٧هـ . المحقق: د. حسن هنداوي. ط :١ / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
٥٧	**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**: لمسلم ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت . ج : ٥
٥٨	**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** : لأحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، أبو العباس (ت: ٧٧٠هـ) الناشر : المكتبة العلمية – بيروت
٥٩	**معاني القرآن للأخفش**: لأبي الحسن المجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري المعروف بالأخفش الأوسط (ت : ٢١٥هـ). تحقيق: الدكتورة : هدى محمود قراعة . الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة. ط: ١ / ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م . ج: ٢
٦٠	**معاني القرآن وإعرابه**: لإبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج. (ت : ٣١١هـ) . المحقق: عبد الجليل عبده شلبي . الناشر: عالم الكتب – بيروت ، ط: ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٦١	**معاني القرآن**: لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ) . المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي. ط :١ .

م	المراجع والمصادر
٦١	**معترك الأقران في إعجاز القرآن**. ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) . دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان ط:١ ــ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م . ج: ٣ .
٦٢	**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**: لمحمود فؤاد عبد الباقي . الناشر : دار الحديث ـ القاهرة . ط : ١ . ١٤٠٧ هـ
٦٣	**المعجم الأوسط**: لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ). المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني . الناشر: دار الحرمين – القاهرة . ج: ١٠
٦٤	**مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري. (ت: ٦٠٦هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي. بيروت . ط : ٣ - ١٤٢٠ هـ
٦٥	**المفصل في صنعة الإعراب**: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ). المحقق: د. علي بو ملحم . الناشر: مكتبة الهلال - بيروت ط : ١ ـ ١٩٩٣م
٦٦	**المقتضب** : لمحمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي أبو العباس المعروف بالمبرد (ت: ٢٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة . الناشر: عالم الكتب. – بيروت
٦٧	**المنتخب في تفسير القرآن الكريم**: لجنة من علماء الأزهر . الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام . ط: ١٨، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م . ج: ١
٦٨	**منتخب من صحاح الجوهري** : لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. ت: ٣٩٣هـ
٦٩	**النحو الوافي**: لعباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ). الناشر: دار المعارف ط: ١٥ .ج : ٤
٧٠	**همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**: لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. (ت: ٩١١هـ) . المحقق: عبد الحميد هنداوي . الناشر: المكتبة التوفيقية ـ مصر. عدد الأجزاء: ٣

الأبحاث و الدوريات

م	الأبحاث و الدرويات
١	**اسم الجمع واسم الجنس في اللغة العربية** . إعداد : إبراهيم بركات خليل . دورية تصدرها كلية الآداب ـ جامعة المنصور . مصر
٢	**التثنية و الجمع أحكامهما واستعمالاتهما في القرآن الكريم** . رسالة دكتوراه . للطالب: إبراهيم أديكنلي سنوسي . جامعة أم القرى كلية اللغة العربية .. ١٤٢٦ هـ
٣	**التذكير والتأنيث في القرآن الكريم** . رسالة دكتوراه . للطالب : محمد عبدالناصر جامعة أم القرى ـ كلية اللغة العربية ـ فرع اللغة .
٤	**الجمع في اللغة العربية** . إعداد : إبراهيم بركات خليل . مجلة دورية تصدرها كلية الآداب ـ جامعة المنصور . مصر
٥	**قرائن الإعراب و الصيغ والمطابقة في اللغة العربية** . رسالة ماجستير . مقدمة من : أمل باقر عبدالمحسن جبارة . كلية الآداب بجامعة الكوفة . عام ١٤٢٩ هـ
٦	**القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني**.رسالة دكتوراه. للطالبة : عدوية عبد الجبار كريم الشرع كلية الآداب ــ جامعة بغداد . ٢٠٠٦ م
٧	**مجلة البحوث والدراسات القرآنية** . (مجلة دورية علمية دينية ثقافية في علوم القرآن الكريم) من تأليف : جماعة من أهل العلم . العدد : الرابع . ١٤٢٨ هـ ـ مركز تفسير للدراسات القرآنية.
٨	**مجلة الدراسات القرآنية (تبيان)**. (مجلة دورية علمية دينية ثقافية في علوم القرآن الكريم) من تأليف: جماعة من أهل العلم . العدد الثاني عشر. ١٤٣٦ هـ ـ مركز تفسير للدراسات القرآنية.
٩	**مشاكلة اللفظ والنظر إلى المعنى** : د. إبراهيم السامرائي ، (مجلة الضاد) تصدرها الهيأة العليا للعناية باللغة العربية في الجمهورية العراقية ، ج١، جمادي الآخرة ٢٤٠٨هـ- شباط ١٩٨٨م .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	الإهداء	١
٢	شكر و عرفان	٢
٣	ملخص الرسالة	٣
٤	ترجمة ملخص الرسالة	٤
٥	المقدمة	٥
٦	التمهيد	١٤
٧	**الفصل الأول** : ما جمع بألف وتاء زائدتين في القرآن الكريم	٢٩
٨	المبحث الأول: ما جمع بألف و تاء زائدتين دالاً على القلة	٣٠
٩	المبحث الثاني: ما جمع بألف و تاء زائدتين دالاً على الكثرة	٦٢
١٠	**الفصل الثاني** : ما جمع بألف و تاء زائدتين في القرآن الكريم مما ظاهره عدم مراعاة القلة والكثرة.....	١٥٨
١١	المبحث الأول : ما دلَّ على القلة في موضع الكثرة.....	١٥٩
١٢	المبحث الثاني: ما دلَّ على الكثرة في موضع القلة	١٩٩

م	الموضوع	الصفحة
١٣	**الفصل الثالث**: أثر القرينة فيما جمع بألف و تاء زائدتين للدلالة على الكثرة في موضع القلة، أو العكس	٢١٨
١٤	المبحث الأول : ما دل على القلة بوجود قرينة لفظية أو معنوية.....	٢١٩
١٥	المبحث الثاني: ما دل على الكثرة بوجود قرينة لفظية أو معنوية.....	٢٢٦
١٦	الخاتمة.	٢٣٠
١٧	الملحقات.	٢٣٥
١٨	جداول الكلمات.	٢٣٦
١٩	جداول الآيات.	٢٤٤
٢٠	جداول المراجع و المصادر	٢٥٧
٢١	جدول الأبحاث و الدرويات	٢٦٦
٢٢	فهارس الموضوعات.	٢٦٨